إقـــــرار

أنا الموقعة أدناه مقدمة الرسالة التي تحمل العنوان:

القضايا العقدية في سورة إبراهيم عليه السلام

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وإن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

DECLARATION

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification

Student's name: اسم الطالبة: سمية شعبان خليل الدهشان

Signature: التوقيع: سمية الدهشان

Date: التاريخ: 2015/07/1

بسم الله الرحمن الرحيم

الجامعـــــــة الإســـــــلامية

عمـــــادة الدراســـــات العليـــا

كليـــــة أصـــــول الـــــدين

قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

رسالة ماجستير

القضايا العقدية في سورة إبراهيم

إعداد الطالبة:

سمية شعبان خليل الدهشان

إشراف الدكتور:

نسيم شحدة إسماعيل ياسين

قدم هذا البحث استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في العقيدة والمذاهب المعاصرة من كلية أصول الدين بالجامعة الإسلامية – بغزة.

١٤٣٦هـ / ٢٠١٥م

غزة – فلسطين

بسم الله الرحمن الرحيم

الجامعة الإسلامية – غزة
The Islamic University - Gaza

مكتب نائب الرئيس للبحث العلمي والدراسات العليا هاتف داخلي 1150

الرقم..... Ref
ج س غ/35/
التاريخ..... Date
2015/05/24م

نتيجة الحكم على أطروحة ماجستير

بناءً على موافقة شئون البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحثة/ **سمية شعبان خليل الدهشان** لنيل درجة الماجستير في **كلية *أصول الدين*/ قسم العقيدة الإسلامية** وموضوعها:

القضايا العقدية في سورة إبراهيم

وبعد المناقشة العلنية التي تمت اليوم الأحد 06 شعبان 1436هـ، الموافق 2015/05/24م الساعة الحادية عشرة والنصف صباحاً بمبنى اللحيدان، اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

د. نسيم شحدة ياسين	مشرفاً و رئيساً	.....
أ.د. جابر زايد السميري	مناقشاً داخلياً	.....
أ.د. عبد السميع خميس العرابيد	مناقشاً خارجياً	.....

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحثة درجة الماجستير في **كلية أصول الدين/ قسم العقيدة الإسلامية.**

واللجنة إذ تمنحها هذه الدرجة فإنها توصيها بتقوى الله ولزوم طاعته وأن تسخر علمها في خدمة دينها ووطنها.

والله ولي التوفيق ،،،

مساعد نائب الرئيس للبحث العلمي وللدراسات العليا

أ.د. فؤاد علي العاجز

P.O. Box 108, Rimal, Gaza, Palestine fax: +970 (8) 286 0800 فاكس Tel: +970 (8) 286 0700 ص.ب. 108 الرمال، غزة، فلسطين هاتف
public@iugaza.edu.ps www.iugaza.edu.ps

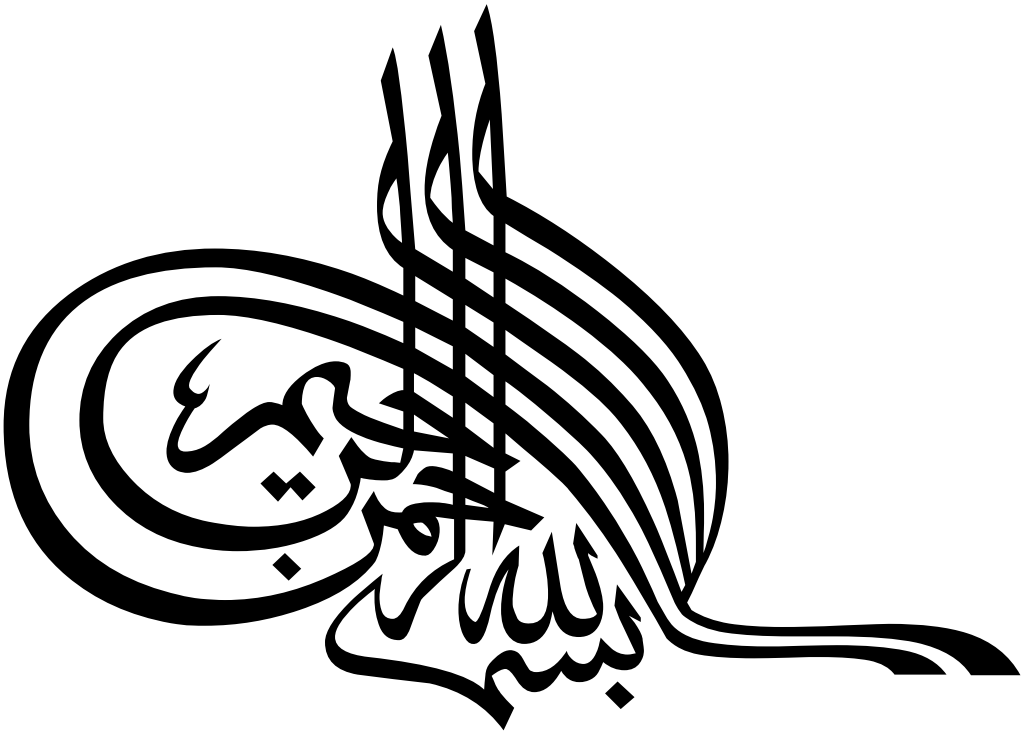
بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـداء

إلـــى روح الرسول الكريـم محمد ﷺ ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين

إلى والدي ووالدتي الأحباء "رحمهما الله"

إلى الشهداء الذين رووا بدمائهـم الزكية تراب فلسطين

إلـى أسـرانا في سجون الاحتلال إلى جرحانا الصابرين

إلى زوجي الموقر د . عبد الكريـم حمدي الدهشان والذي شجعني ووقف بجانبي

في تحصيل الدراسات العليا .

إلى إخوتي المقدم رياض، والأسير المحرر العميد /منذر ، ورائد ، والمقدم /سائد

إلى أخواتي الحبيبات شفاء ورويدة وأسمهان .

وإلى كل هؤلاء وجميع إخواني في الدعوة وأبناء وبنات عائلتي الكريمة

إليهـم جميعاً أهدي هذا البحث

الباحثة

سمية شعبان خليل الدهشان

شكر وتقدير

الحمد لله الذي أعانني على كتابة هذا البحث وإنجازه، حمداً يليق بجلاله وعظيم سلطانه وصلِّ اللهم وسلم وبارك على عبده ورسولهِ وبعد: اعترافاً لأهل الفضل بفضلهم وانطلاقاً من قولِ الله تعالى ﴿وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ النمل:آيه٤٠، وقول النبي ﷺ: (من لا يشكرِ الله لا يشكرِ الناس).(١)

أتوجه بخالص الشكرِ والتقدير إلى الجامعة الإسلامية هذا الصرحِ العلميّ الكبير، وأشكر كلية أصولِ الدينِ وقسمَ العقيدةِ والمذاهبِ المعاصرة، وأخص بالشكر والتقدير والامتنان المشرف على هذه الرسالة، فضيلة الأستاذ المشارك الدكتور/نسيم شحدة ياسين– حفظه الله – لما قام به من جُهد كبير من قراءةٍ ومتابعةٍ وتوجيهاتٍ سديدةٍ وملاحظاتٍ دقيقةٍ ونافعةٍ منذ أن بدأ هذا البحثُ فكرةً حتى نَضُج واكتمل، فجزاه الله عنا خير الجزاء.

ولا أنسى أن أتوجه بالشكر الجزيل للأساتذةِ الكرام أعضاءِ لجنة المناقشة، فضيلة الأستاذ الدكتور/ جابر زايد السميري، وفضيلة الأستاذ الدكتور/ عبد السميع العرابيد حفظهما الله– لتفضلهما بالموافقة على مناقشة الرسالة مما سيزيدها إثراءً وقيمةً علمية.

كما أشكر الأستاذ الدكتور/ محمد مصطفى نجم ، لتفضله بالمراجعة اللُغوية للرسالة وإبداء النصائح والإرشادات، والأخ الأستاذ/حسن نصر بظاظو، لما بذله من جهد في طباعة الرسالة. وأخي الأستاذ/ سائد شعبان الدهشان لما بذله من جهد في تنسيق الرسالة .

والشكر موصول لكل الإخوة الذين ما بخلوا علىّ بالنصح والإرشاد والتشجيع وأخص بالذكر الدكتور/ عبد الكريم حمدي الدهشان وأولاده وأخص منهم محمد الشافي وسمية وسارة، وإخوتي وأخواتي الأحباء، ووالدة زوجي الحاجه إم على وإخوة وأخوات زوجي الأعزاء. والأستاذة الفاضلة/ عبير راضي، والأستاذة الموقرة مديرة مدرسة عين جالوت/ كفاح الهور والنائب والسكرتيرة وجميع أخواتي المدرسات في مدرسة عين جالوت.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات،،

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في شكر المعروف، حديث رقم ٤٨١١/ ٤، ٥٢٤، والترمذي في سننه ٤/ ٣٣٩ حديث رقم ١٩٥٤، وقال الترمذي حسن صحيح، وقال الألباني - رحمه الله - : حديث صحيح، في مشكاة المصابيح ١٨٥/٢.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعود بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهديه الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، و أشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد :

فمما لاشك فيه أن القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة للنبي ﷺ، ومن أهم المعاني التي نزل القرآن الكريم لإثباتها العقيدة، فالعقيدة أصل الإسلام و أساس الملة؛ ولا تقبل الأعمال والأقوال في الإسلام ولا تصح إلا إذا صدرت عن عقيدة صحيحة، كما قال تعالى:﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ الزمر.

وحين ابتعد المسلمون عن القرآن الكريم، وفهم السنة النبوية، ضعفت في نفوسهم فضلوا وظهرت بينهم البدع، وانتشرت فيهم المعتقدات الباطلة، فكان لزامًا علينا أن نرجع إلى هذا النبع الصافي؛ لكي ننهل منه عقيدتنا ونوضح طريقة أهل السلف الصالح في تفسيرهم للآيات العقائدية، من خلال الرجوع إلى كتبهم وآثارهم الواردة عنهم، ومن هنا انطلقت فكرة هذا البحث وهي بعنوان:

" القضايا العقدية في سورة إبراهيم "

أولاً – أهمية البحث و أسباب اختياره:

تنبع أهمية هذا الموضوع من خلال النقاط الآتية:

١– في كونه يتعلق بسورة إبراهيم التي تتناول قضايا عقائدية مهمة، مثل: ذكر بعض الأنبياء وأقوامهم، وذكر الجنة والنار.

٢- تذكرنا بالعبر والدروس التي مرت بها الأمم السابقة، وما يستفاد من ذلك وربطه مع الواقع الإسلامي، وهذا أكثر ما نحتاج إليه اليوم، في هذا الوقت العصيب، وخصوصاً عندما ازداد تكالب الأعداء على الإسلام وأهله، وحشدت الأقلام، ورمي الإسلام عن قوس واحدة.

٣- التأكيد على عقيدة السلف، وبيان فضلها؛ كونها الأولى بالاتباع والانقياد، والأقرب إلى الفطرة السليمة.

٤- المساهمة بشكل إيجابي في خدمة الدعوة الإسلامية، ونشر المعاني الصحيحة في عقيدة أهل السنة والجماعة.

٥- الدراسة التأصيلية لأصول العقيدة وقضاياها من خلال آيات القرآن وتحديداً سورة إبراهيم عليه السلام.

٦- المشورة الطيبة من أحد أساتذة العلم الشرعي، فأعرت مشورته القبول والاهتمام.

٧- إثراء المكتبة الإسلامية بدراسة علمية محكّمة تتناول موضوعًا جديدًا في مجال العقيدة.

ثانياً - أهداف البحث:

إنّ لهذه الدراسة أهدافاً كثيرة وغاياتٍ متعددة، منها:

١- فتح آفاق جديدة أمام الدارسين وطلبة العلم الشرعي، وذلك من خلال النتائج والتوصيات التي ستخرج بها الباحثة في الخاتمة إن شاء الله ﷻ.

٢- إبراز صفات المؤمنين الواردة في سورة إبراهيم.

٣- بيان الواجب علينا اتجاه الأنبياء جميعاً.

٤- إظهار آثار العقيدة على الفرد والمجتمع.

٥- بيان أنواع التوحيد الدالة عليها السورة وقضايا العقيدة الواردة فيها.

٦- بيان الغيبيات ومفهوم الإسلام والإيمان والهداية والضلال في السورة.

٧- إبراز عالمية الإسلام من خلال السورة.

٨- الوقوف على القضايا العقدية من خلال الوحي القرآني.

ثالثاً- الدراسات السابقة:

بعد البحث في الدراسات السابقة في هذا الموضوع، ومن خلال الاطلاع تبين للباحثة أن موضوع "القضايا العقدية في سورة إبراهيم" لم يكتب كرسالة منبثقة عن قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، أما ما كتب حول هذا الموضوع فهو:

١- **سورة إبراهيم "دراسة تحليلية وموضوعية"**، كفاح عبد الرحمن الرملي -كلية أصول الدين- قسم التفسير، وغلب على رسالتها الدراسة التحليلية الموضوعية لآيات السورة مع الالتزام بالترتيب العثماني للسورة.

٢- "**نظم الدرر في تناسب الآيات والسور" للبقاعي، تحقيق ودراسة على سورة إبراهيم والحجر والنمل**، محمد مصطفى كلية أصول الدين جامعة الأزهر، وما تميز به هذا البحث أنه تناول سورة إبراهيم من ناحية عقدية وتوضيح الأمور العقدية وتفسيرها فيها، وكان عرضه لهذا الجانب مقتضباً؛ لأن الرسالة تدور على ثلاث سور وليست سورة إبراهيم وحدها، ثم إنها جمعت التطبيق مع الدراسة.

٣. **رسالة ماجستير أصول الايمان في قصة ابراهيم عليه السلام** فوزية محمود عبد الرحمن الملفوح، أشرف عليها: أ.د. جابر زايد عيد السميري. وهي تكلمت عن قصة ابراهيم وحده.

ولذا رأيت إفراد موضوع بحثي في الجوانب العقدية في سورة إبراهيم وحدها بإسهاب وتفصيل.

رابعاً - منهج الدراسة:

اعتمدت المنهج الوصفي التحليلي.[١]

خامساً: طريقة البحث

تمثلت طريقة البحث في النقاط التالية:

١- بيان موقع الآيات القرآنية في المصحف، وذلك بذكر اسم السورة، ورقم الآية وتوثيقها في المتن.
٢- كتابة الآية القرآنية - مدار البحث- مُشكلةً برواية حفصٍ لقراءة عاصم الكوفي.
٣- تخريج الأحاديث النبوية الشريفة، وذلك بعزوها إلى مظانها من كتب السنة، وذلك حسب ضوابط التخريج وأصوله، ونقل حكم العلماء على الأحاديث التي في غير الصحيحين أو أحدهما إن وجد؛ لأن الأمة أجمعت على قبولهما فأكتفي بتخريجه منهما.

---

(١) "أسلوب من أساليب التحليل المركزي على معلومات كافية دقيقة عن ظاهرة أو موضوع محدد، أو فترة أو فترات زمنية معلومة؛ وذلك من أجل الحصول على نتائج علمية، ثم تفسيرها بطريقة موضوعية، بما ينسجم مع المعطيات الفعلية للظاهرة". البحث العلمي أساسياته النظرية وممارسته العملية، رجاء وحيد دويدري، دار الفكر المعاصر-بيروت-لبنان-دار الفكر-دمشق-سورية، ط (١) ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

٤- أخذ النصوص من مظانها وتوثيقها حسب أصول المنهج العلمي، وذلك بذكر اسم الكتاب واسم المؤلف والمحقق –إن وجد – وباقي البيانات المطلوبة في أول مره، وأكتفي باسم المؤلف والكتاب والجزء والصفحة مراعاة للأمانة العلمية في النقل والتوثيق والتعليق.

٥- عندما أقتبس النص حرفيًا من الكتاب أضعه بين علامتي تنصيص، ولا أكتب في الحاشية لفظ: انظر، في حين إذا اقتبسته بالمعنى فإنني أكتب لفظ: (انظر)، وإذا اختصرت بعض المعاني فإنني أشير في نهاية التوثيق إلى النص بلفظ: (بتصرف)، وحين أثري الحاشية بمراجع إضافية أقول يراجع.

٦- حين الاقتباس من كتاب ما، أوثقه في الحاشية توثيقًا كاملًا، وذلك بذكر كل ما يتعلق بالكتاب من بيانات، وإذا اقتبست منه لاحقًا فإنني أختصر هذا التوثيق، وذلك بذكر اسم الكتاب، ورقم الجزء والصفحة.

٧- توضيح معاني المفردات الغريبة التي تحتاج إلى بيان في الحاشية.

٨- ترجمة الأعلام المغمورين من المراجع المتخصصة.

٩- إعداد فهارس علمية، وهي: فهرس الآيات القرآنية، وفهرس الأحاديث النبوية، وفهرس الأعلام المترجم لهم، وفهرس المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.
١٠- أحاول التعقيب أو التعليق بعد ما أجمعه من المراجع والمصادر؛ لأبرز شخصيتي العلمية ما أمكن.

سادسًا- خطة البحث:

وضعت الباحثة خطة لهذا البحث فجعلته في: المقدمة، وتمهيد، وأربعة فصول، وخاتمة، على النحو الآتي:

المقدمة:

وقد اشتملت على: أهمية البحث، وأسباب اختياره، وأهداف الدراسة والغاية منها، والدراسات السابقة، ومنهج البحث وطبيعة العمل فيه، وطريقة البحث، وخطة البحث.

التمهيد:

تعريف بسورة إبراهيم.

أولاً- اسم السورة وعدد آياتها وفضلها.

ثانياً- زمن نزولها والمناسبة التي نزلت فيها.

ثالثاً– الأهداف العامة للسورة.

رابعًا– أساليب القرآن في ترسيخ العقيدة في ضوء السورة.

الفصل الأول – التوحيد في سورة إبراهيم ونواقضه.

وفيه أربعة مباحث :–

المبحث الأول – تعريف التوحيد لغةً واصطلاحًا.

المبحث الثاني – أنواع التوحيد في ضوء السورة.

المبحث الثالث – نواقض أنواع التوحيد.

المبحث الرابع – أثر التوحيد على الفرد والمجتمع في ضوء سورة إبراهيم.

الفصل الثاني – النبوات في سورة إبراهيم.

وفيه ثلاثة مباحث:–

المبحث الأول– الأنبياء المذكورين في السورة.

المبحث الثاني– فضائل الأنبياء وصفاتهم في ضوء السورة.

المبحث الثالث– قصص الأقوام السابقين مع أنبيائهم في ضوء السورة والعبر المستفادة منها.

الفصل الثالث – الغيبيات في ضوء سورة إبراهيم.

وفيه أربعة مباحث:–

المبحث الأول– حقيقة الموت في ضوء السورة.

المبحث الثاني– أحداث اليوم الآخر في ضوء السورة.

المبحث الثالث– علاقة الإنسان بالشيطان في ضوء السورة.

المبحث الرابع– القضاء والقدر في ضوء السورة.

الفصل الرابع – قضايا عقدية أخرى في سورة إبراهيم.

وفيه أربعة مباحث :-

المبحث الأول – أصناف الناس في ضوء سورة إبراهيم.

المبحث الثاني– مفهوم الإسلام والإيمان في سورة إبراهيم.

المبحث الثالث – عالمية الإسلام في سورة إبراهيم.

المبحث الرابع– تثبيت الله لأوليائه من خلال سورة إبراهيم.

الخاتمة – وتشتمل على :

- أهم النتائج والتوصيات
- الفهارس

والله أسأل أن يوفقني في هذا الجهد، وأقدمَ نفعًا، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم.

التمهيد

تعريف بسورة إبراهيم

أولاً– اسم السورة وعدد آياتها وفضلها.

ثانياً– زمن نزولها والمناسبة التي نزلت فيها.

ثالثاً– الأهداف العامة للسورة.

التمهيد

تعريف بسورة إبراهيم عليه السلام

أولاً –اسم السورة وعدد آياتها وفضلها:

١–اسم السورة :

لكل سورة من سور القرآن العظيم اسم يختص بها دون غيرها من السور، ومثال ذلك سورة الفاتحة، حيث سميت بذلك لافتتاحها لكتاب الله ﷻ، فهي أول سور القرآن في الترتيب لا في النزول(١)، وكذلك سورة إبراهيم عليه السلام سميت بذلك " لاشتمالها على دعوات لإبراهيم عليه السلام، تمت بهذه الملة، كالحج وجعل الكعبة قبله الصلاة. مع الدلالة على عظمتها، بحيث صارت من المطالب المهمة للمتفق على غاية كمال إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وعلى نبوّة نبيّنا عليه أكمل التحيات وأفضل التسليمات مع غاية كماله، وهذا من أعظم مقاصد القرآن" (٢) ، ولاشتمالها على جزء من قصة إبراهيم أبي الأنبياء عليه السلام، وما يتعلق بحياته في مكة، وصلته بالعرب وإسماعيل، وقصة بنائهما المسجد الحرام، وطلبهما الهداية من الله تعالى، ودعاء إبراهيم عليه السلام أن يجنبه وبنيه عبادة الأصنام، وأن يرزق زوجته وابنه إسماعيل اللذين أسكنهما في مكة من الثمرات، وأن يجعله هو وذريته مقيمي الصلاة(٣).

٢–عدد آياتها :

وعدد آياتها اثنتان وخمسون آية وعدد كلماتها ثمانمائة وإحدى وستون كلمة، وعدد حروفها ثلاث ألاف وأربعمائة وأربعة وثلاثون حرفاً(٤).

---

(١) انظر: صفوة التفاسير: محمد علي الصابوني، ١٨، ط١، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة، ١٤١٧هـ– ١٩٩٧م.

(٢) تفسير القاسمي (٦/ ٢٩٦)

(٣) انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة المنهج، وهبة بن مصطفي الزحيلي، ط ٢، ١٤١٨هـ، دار الفكر المعاصر – دمشق(١٩٧/٣)، وزهرة التفاسير، محمد بن أحمد بن مصطفي بن أحمد المعروف بأبي زهرة، بدون طبعة وتاريخ ، دار الفكر العربي(٣٩٧٦/٨).

(٤) انظر: لباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن ،(٣٧٣/٣).

فسورة إبراهيم من السور المكية سوى آيتين٢٨-٢٩ ، وهما قوله تعالى:﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ ﴾ إبراهيم(١)، وقيل: إن قوله تعالى:﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا عَن سَبِيلِهِ ۗ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴿٣٠﴾ ﴾إبراهيم، إضافة إلى ما سبق آية مدنية(٢).

٣-موضوع السورة بشكل عام

المتأمل في آيات السورة يدرك بوضوح أن السورة عنيت بإبراز موضوع العقيدة بأصولها الأساسية ونصوص توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات، والإيمان باليوم الآخر، ثم عرض سريع لقصص الأنبياء وعرض بعض مشاهد يوم القيامة، والتذكير بنعم الله المحيطة بالإنسان، وختمت السورة بذكر مصير الظالمين والتوعد لهم بالعقاب الحازم. (٣)

٤-فضل سورة إبراهيم عليه السلام:

لم يرد حديث ثابت في فضل هذه السورة من حيث الجملة والتفصيل، وذلك وفق ما اطلعت عليه الباحثة، ولكن يظهر فضل هذه السورة بما تناولته من مواضيع أساسية في أصول العقيدة والتوحيد وما رسخته من خلال أساليبها البيانية المتنوعة، ولعل الحكمة من تسمية السورة بسورة إبراهيم؛ لما له من مواقف عظيمة تجاه التوحيد، فهو من قال عنه سبحانه ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾الأنعام، وهو من حكى عنه مولاه بدعائه المشهور ﴿ وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ ﴾ إبراهيم، وهو الموقن الذي حاور النمرود الذي ادعى الربوبية فقال:﴿ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ ۖ ﴾ البقرة: ٢٥٨، وهو الذي اشتهر بتأمله وتبصره في أدلة التوحيد فقال: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۖ ﴾البقرة: ٢٦٠، وهو من قال عنه رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "نَحْنُ أَحَقُّ بِالشَّكِّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ"(٤)، وكناية عن أنه أبعدنا الشك، فلهذا ولغيره من الأسباب يمكن أن

---

(١) انظر: لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن، تحقيق: محمد علي شاهين، ط١، ١٤١٥هـ، الكتب العلمية – بيروت(٢٧/٣)،والكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، ١٤٠٧هـ، دار الكتاب العربي، بيروت، (٥٣٧/٢)، ومفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، ط٣، ١٤٢٠، الناشر: دار إحياء التراث العربي.(١٩/ ٥٦).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وآخرين، ط٢،١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م دار الكتب المصرية – القاهرة(٨٣٣/٩)

(٣)انظر التفسير المنهجي تأليف لجنة من علماء الأردن، بإشراف أ.د. أحمد شكري، الناشر دار المنهل (١٣٦/٥).

(٤)أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، بَابٌ قَوْلُهُ ﷺ[وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ] رقم ٣٣٧٢ (٤٤٥/٨)

تكون هذه الحكمة الإلهية من تسمية السورة باسم سورة إبراهيم عليه السلام، فهي اسم على مسمى والله أعلم.

ثانياً- زمن النزول والمناسبة:

١. زمن النزول:

نزلت سورة إبراهيم في العهد المكي عدا الآيتين ٢٨/٢٩ فإنما نزلتا في المدينة، وذلك بعد نزول سورة نوح[١]، وقيل: سورة الأنبياء، وترتيبها في المصحف بعد سورة الرعد، وقبل: سورة الحجر[٢].

٢- المناسبة التي نزلت فيها:

أ-مناسبة السورة لما قبلها:

تعد سورة إبراهيم عليه السلام امتداداً لما ذُكر في سورة الرعد، وتوضيحاً لما أجمل فيها، فكلاً منهما تتحدث عن القرآن، ففي سورة الرعد ذكر تعالي أنه أنزل القرآن حكماً عربياً، وكلاهما ذكر الغاية من تنزيل القرآن، وهي إخراج الناس من الظلمات إلى النور بإذن الله، وكل منهما ذكر فيه تفويض إنزال الآيات الكونية إلى الله وبإذنه، فقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾﴾ الرعد، وذكر ذلك علي لسان الرسل فقال: ﴿وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾ إبراهيم، وفي كليهما ذكرت الآيات الكونية من رفع السماء بغير عمد، ومد الأرض وتسخير الشمس والقمر، وجعل الرواسي في الأرض، وخلق الثمرات المختلفة والطعوم والألوان، وتعرضت السورتان لإثبات البعث، وضرب الأمثال للحق والباطل، والكلام على مكر الكفار وكيدهم وعاقبته، والأمر بالتوكل على الله تعالي[٣].

ب- مناسبة السورة لما بعدها:

هناك تناسب بين سورة إبراهيم عليه السلام، وسورة الحجر في البدء والمضمون فكلتا السورتين افتتحتا بالحروف المقطعة، وفصل القرآن الكريم حيث قال في مطلع سورة إبراهيم: ﴿الر ۚ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١﴾﴾ إبراهيم، وقال في مطلع سورة الحجر ﴿الر ۚ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾﴾ الحجر، وكلتاهما

---

(١) انظر: بيان المعاني [مرتب حسب ترتيب النزول]، عبد القادر بن ملاّ حويش السيد محمود آل غازي العاني، ط١، ١٣٨٢هـ - ١٩٦٥م، مطبعة الترقي - دمشق،(٢٧١).

(٢) انظر: التحرير والتنوير (١٣/ ١٧٧).

(٣)انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج (١٣/١٩٧)، التفسير الواضح، محمد محمود الحجازي، ط١٠، ١٤١٣هـ،دار الجيل الجديد - بيروت(٢/٢٤٣).

مشتملة علي شرح أحوال الكفرة يوم القيامة وَوِدادُهم لو كانوا مسلمين، وذكر في السورتين ما يتعلق بأمر السموات والأرض، في كل منهما تسلية لنبينا محمد ﷺ[1].

ثالثاً- الأهداف العامة للسورة:

تهدف سورة إبراهيم عليه السلام إلى ترسيخ للعقيدة وأصول الدين ؛لأن من أهداف السور المكية إرساء قواعد العقيدة وأصول الدين، وذلك من خلال بيان:

١-الهدف من إنزال الكتاب هو إرشاد الخلق كلهم إلى الدين والتقوى، وهدايتهم به من ظلمات الضلالة والكفر، إلى نور الإيمان وضيائه، وتبصر به أهل الجهل والعمى سبل الرشاد والهدى، وذلك لا يكون إلا بتوفيق من ربهم لهم بذلك ولطفه بهم إلى طريق الله المستقيم، وهو دينه الذي ارتضاه، وشرعه لخلقه، لقوله تعالي:﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ١﴾إبراهيم[2]، وذلك المقصد الذي جاء من أجله جميع الرسل- عليهم السلام -.

٢-الدعوة إلي توحيد الله -سبحانه -، وذلك وفق ما جاء من قول موسى عليه السلام:﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكۡفُرُوٓاْ أَنتُمۡ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ٨﴾إبراهيم، وقول إبراهيم عليه السلام : ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ٣٥﴾إبراهيم، وقوله - سبحانه - في آخر السورة:﴿وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٥٢﴾إبراهيم، أي ليعلموا مما ذكر فيه من الأدلة ما الله إلا إله واحد، مقصور على الإلهية الموحدة، لا يتجاوز تلك الصفة إلى صفة التعدد بالكثرة أو التثليث[3].

٣-تبين هذه السورة في مطلعها وآخرها أن العبد مخير في فعله ومقيد بالمشيئة، إن شاء أطاع وإن شاء عصى؛ لقوله تعالى في أول السورة:﴿لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾إبراهيم: ١، فقد بين أن الهدف من إنزال الكتاب إرشاد الخلق كلهم إلى الدين والتقوى، وتخويفهم من عاقبة الكفر والمعصية، وقوله في آخر السورة:﴿وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٥٢﴾إبراهيم، دل على أنه تعالى

---

(١) انظر: روح المعاني في تفسير القرآن الكريم العظيم والسبع المثاني، أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي، قرأه وراجعه، محمد حسين العرب، وبدون تاريخ، دار الفكر، بيروت – لبنان،(٣/١٤).

(٢) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر،ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م، مؤسسة الرسالة، (٥٠٩/١٦).

(٣) انظر: التحرير والتنوير " تحرير المعني السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد" محمد الطاهر ابن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، ١٩٨٤هـ الدار التونسية للنشر – تونس، (٢٥٥/١٣).

عندما أنزل هذه السورة، وذكر هذه النصائح والمواعظ لأجل أن ينتفع الخلق بها فيصيروا مؤمنين مطيعين، ويتركوا الكفر والمعصية[١].

٤-تضمنت السورة جملة من فنون الترغيب والترهيب، والتي تشد المؤمن إلى إصلاح نفسه والإيمان بالله، وذلك يتمثل في قوله تعالى:﴿وَوَيۡلٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ مِنۡ عَذَابٖ شَدِيدٍ ۝٢﴾[إبراهيم]، أي ويل لمن خالفوا وكذبوا يوم القيامة، ثم وصفهم بأنهم يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة، ويقدمونها ويؤثرون على الآخرة، ويعملون للدنيا ونسوا الآخرة[٢].

٥-بيان نعم الله – تعالى- على البشر، بادئها عليهم بالشكر منهم، ومع ذلك فأكثر الناس يقابلها بالجحود والنكران، حيث يعود الله تعالى في السورة نعمه على البشر كافة لمؤمنهم وكافرهم وصالحهم، برهم وفاجرهم، طائعهم وعاصيهم، وبيان رحمة الله – تعالى- وسماحته وفضله: أن يتيح للكافر والفاجر والعاصي نعمة في هذه الأرض كالمؤمن والبار والطائع؛ لعلهم يشكرون، ثم عرضه لهذه النعم من خلال الحديث عن:

أ- أضخم المشاهد الكونية البارزة:

قال تعالى:﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ لِتَجۡرِيَ فِي ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡهَٰرَ ۝٣٢ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ دَآئِبَيۡنِۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ۝٣٣ ﴾[إبراهيم].

ب- إرسال الرسل للناس:

يقول تعالى: ﴿لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ۝١﴾[إبراهيم]، وإرسال الرسل للناس لذلك نعمة تفوق ما ذكر من النعم.

ت - غفران الله للذنوب بسبب إجابة دعوة الرسل:

يقول تعالى:﴿يَدۡعُوكُمۡ لِيَغۡفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ ﴾[إبراهيم: ١٠]، والدعوة لأجل الغفران نعمة تعدل نعمة النور، وهي قريب منه[٣].

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي، (١١٥/١٩).

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي سامي بن محمد سلامة، ط٢، دار طيبة للنشر والتوزيع ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م، (٤٧٧/٤).

(٣)انظر: موقع هدى الإسلام منتدي القرآن الكريم، المفاتيح الدعوية لسور القرآن الكريم، موقع سابق.

٦- كشف الظلم والظالمين بالحديث عن عاقبة الظلم، وسوء مآل الظالمين ومصيرهم، في أكثر من موضع، وبأكثر من أسلوب، وبذكر العديد من أسماء الظلمة.

ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ إبراهيم: ٢٧ وقوله تعالى: ﴿فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ رَبُّهُمۡ لَنُهۡلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٣﴾ إبراهيم وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعۡمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ إبراهيم: ٤٢(١)

وهذه المقاصد والأهداف هي غيض من فيض مما تحتويه السورة من الأهداف والمقاصد القرآنية، وما ذكرناه على سبيل الحصر؛ لأن السورة جزء من كتاب الله المعجز، الذي لا تنقضي عجائبه ولا تحصر وجوه إعجازه ولا تحصى مقاصده وغاياته.

رابعاً- أساليب القرآن في ترسيخ العقيدة الإسلامية في ضوء السورة:

تعددت أساليب الدعوة في عرض العقيدة بهدف مراعاة مقتضى الحال، وتحقيق ذلك في قلوب الناس كافة على اختلاف مشاربهم وثقافتهم، فلا تكاد سورة من السور المكية تخلو من احتوائها على أسلوب ترسيخ العقيدة ومن بين تلك السور سورة إبراهيم عليه السلام، وتمثل أسلوب ترسيخ العقيدة من خلالها فيما يأتي:

١- الترغيب والترهيب:

فقد فطر الله النفس الإنسانية على الميل للحوافز والمرغبات، وكره إليه الأسباب التي تجلب له العذاب، وتحرمه من النعيم، وتسلبه الاستقرار الذي يطمح إليه(٢).

ولقد أوفت سورة إبراهيم هذا الأسلوب القرآني حقه، فقد تضمنت بداية السورة الترهيب في قوله تعالى: ﴿وَوَيۡلٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ مِنۡ عَذَابٖ شَدِيدٍ ٢﴾ إبراهيم، وهو استفتاح مناسب، حيث جاءت السورة لتعالج واقع الكفر والشرك، فكان مناسباً أن يتجه الخطاب إلى التخلية وذلك بالترهيب والتنفير من مآل ما هم عليه، ثم تكرر مثل هذا الترهيب والتهديد في قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ ٧﴾ إبراهيم، وتمثل الترغيب في تلك الآيات التي حشدت جملة من الوعود الجميلة التي يمكن تقسيمها إلى وعود معجلة في الدنيا وأخرى مؤجلة في الآخرة؛ أما الأولى فمنها الوعد بالزيادة لمن شكر نعمه، حيث قال تعالى: ﴿وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡ﴾ إبراهيم: ٧، ومن هذه النعم العادلة مغفرة الذنوب وعدم إهلاكهم بها في الدنيا، حيث قال تعالى: ﴿يَدۡعُوكُمۡ لِيَغۡفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرَكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ﴾ إبراهيم: ١٠، وأما الوعود الحسنة الآجلة فما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وتأمل قوله تعالى: ﴿وَأُدۡخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ

---

(١)انظر: المرجع السابق.

(٢) انظر: مناهج الدعاة، يحيى علي الدجني_ محمد حسن بخيت، ط٢، ٢٠٠٩م، بدون دار، (ص ٥٥).

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡۖ تَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٌ ٢٣﴾ إبراهيم، وقد جاء هذا الوعد الحسن ترغيباً بعد بيان مآل الأشقياء وما صاروا إليه من الخزي والنكال[١].

٢. أسلوب القصة:

شغلت القصة في القرآن العظيم حيزاً كبيراً، فقد مثلت نحو ثمانية أجزاء منه[٢]، وما دل ذلك على أهمية القصة في ترسيخ العقيدة في أذهان الناس، وقد عرضت سورة إبراهيم عليه السلام بعض قصص الأنبياء مثل قصة موسى عليه السلام، فقد أوردت السورة جزءاً من علاقة موسى مع قومه في سياق استعراض أسلوب الدعوة بالتذكير بالنعم، من ذلك نجاتهم من فرعون، ومن العذاب المهين الذي وقع بهم منه، وفلقه البحر لهم، وتظليه الغمام إياهم ، وإنزاله المن والسلوى عليهم ، وغير ذلك من النعم، فقد قال تعالى:﴿ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ أَنجَىٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ٦﴾ إبراهيم، ففي ذلك التذكير دلائل على وحدانية الله وقدرته.[٣]

ثم بينت الآيات مصير المكذبين في قوله تعالى : ﴿ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۛ لَا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا ٱللَّهُۚ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فِيٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرۡنَا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَنَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٖ ٩﴾ إبراهيم.

وقد تحدثت الآيات بأسلوب قصصي مقتضب، بعيداً عن الاستطراد الذي قد يبعد المخاطب عن التركيز المطلوب في هذا الخطاب، ثم جاءت الإشارة القصصية الأخيرة من صفحة الواقع حين ذكرت ما أورده مشركو قريش من هلك منهم يوم بدر،[٤]كما ذكرت السورة في قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام.

٣- أسلوب ضرب المثل :

المثل الأول- حال الكافرين وأعمالهم:

حيث اشتملت السورة على عدة أمثال ترسخ العقيدة في أذهان الناس منها:

أ-بيان أعمال الكافرين ومصيرهم.

---

(١)انظر: أساليب التربية والدعوة والتوجيه من خلال سورة إبراهيم، وسيم فتح الله،، بدون طبعة، بدون دار، بدون تاريخ(ص٦)، أيضاً: وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٤/٤٧٦).

(٢) انظر: القصص القرآني إيجار ونفحاته فضل عباس، ط١، ١٩٨٧، دارة الفرقان- الأردن، (ص١٠).

(٣) انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة الزحيلي (١٣/٢٠٩).

(٤) انظر: أساليب التربية والدعوة والتوجيه، لوسيم فتح الله، (ص٧).

ب. ضرب الله تعالى مثلاً لمن عبد مع الله غيره ﷻ، وكيف يكون مآل أعمالهم يوم القيامة، حسرات عليهم لعدم إيمانهم بالله، فيقول تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖۖ لَّا يَقۡدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ﴿١٨﴾ ﴾ إبراهيم، فهؤلاء يأتون بأعمال ظاهرها حسن في الدنيا كالصدقات وصلة الرحم، ويطلبون ثوابها يوم القيامة، فضرب الله ﷻلهم مشابه لما فعلوه، فوصفهم بمن طلب ذرات الرماد التي بعثراتها ريح عاصفة شديدة[1]، فلا يجد هؤلاء شيئاً؛ لأنهم بنوا أعمالهم على غير أساس صحيح.

المثل الثاني – فضل كلمة التوحيد:

" تنوعت أساليب القرآن الكريم في توصيل رسالة التوحيد للناس؛ وما ذلك إلا لأنها أعظم حقيقية في الكون، وحري بها أن تكون محط عناية القرآن الكريم، والمتدبر في هذه السورة القرآنية يدرك مدى ثقل هذه الكلمة واهتمام القرآن بها، حتى جاء ترسيخها في عقول الناس وقلوبهم بهذه الصور الرائعة والمثل البديع" [2]، فقد قال تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ أَصۡلُهَا ثَابِتٞ وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤۡتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذۡنِ رَبِّهَاۗ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٖ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجۡتُثَّتۡ مِن فَوۡقِ ٱلۡأَرۡضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٖ ﴿٢٦﴾ ﴾ إبراهيم، فبعد أن بين الله –تعالى – أحوال الأشقياء وما آل إليه أمرهم من العذاب في نار جهنم، بتشبيه المعنويات بالحسيات؛ لترسيخ المعاني في الأذهان، كما هو الشأن في القرآن[3].

"ووجه الشبه أن أصل كلمة الإيمان ثابتة في قلب المؤمن كثبوت جذع النخلة في الأرض فإنما يتفرع منها، ويبنى عليها الأعمال الصالحة والأفعال الطيبة ترفع إلى السماء، وإنما يترتب

---

(١) انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج،(١٣/ ٢٣٠)، ومختصر تفسير ابن كثير، للصابوني، (٢/ ٢٩٤)، أيضاً: أوضح التفاسير، محمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب ، ط٦، ١٣٨٣هـ – ١٩٦٤، المطبعة المصرية ومكتبتها،(ص٣٠٨)، أيضاً: أضواء البيان في إيضاح القرآن ، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، ١٤١٥هـ _ ١٩٩٥م.دار الفكر، بيروت – لبنان،(٢/٢٤٥).

(٢) أساليب التربية والدعوة والتوجيه، وسيم فتح الله، (ص٩).

(٣) انظر: التفسير المنير في العقيدة الشريعة والمنهج، لوهبة الزحيلي،(١٣/٢٣٠).

على ذلك من ثواب الله تعالى ورضاه دائم يحصل الانتفاع به في كل وقت ، وكل عمل المؤمن خير وبركة لنفسه ولمن حوله".[1]

٤- أسلوب الحوار والمناقشة:

يُعد أسلوب الحوار والمناقشة من أبرز الأساليب الحكيمة البليغة، والتي تستخدم من أجل تقرير العقيدة لوجود شريحة من الناس المعتدين بأفكارهم وآرائهم الفاسدة، والتي بحاجة إلى تغيير فلذلك كانت وسيلة القرآن الكريم ورسولنا محمد ﷺوالأنبياء جميعاً من أجل الوصول إلى الحقائق، فتمثل ذلك الأسلوب في سورة إبراهيم فيما يأتي:

أ-الحوار الذي دار بين السادة والأتباع.

وضح ﷻ من خلال سورة إبراهيمعليه السلام الحوار الذي دار بين السادة والأتباع في النار، فقد ذكر تعالى قولهم﴿ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ قَالُوا۟ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ ۖ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾ ﴾إبراهيم، فقد أبان الله ﷻمحاور بين السادة والأتباع، فذكر ما طلبه الضعفاء من السادة والأتباع والكبراء في العقل والتفكير، أولئك القادة الذين استكبروا عن عبادة الله وحده وعن اتباع الرسل: وأنهم كانوا تبع لهم، مقلديهم في الأعمال، ومؤتمرين بأمرهم فكفروا بالله وكذبوا الرسل متابعة لسادة فطلبوا منهم أن يدفعوا عنهم بعض عذاب الله، كما كانوا يعدونهم، فأجابهم القادة المتبوعون متنصلين من الدفاع عنهم : أنه لو هداهم الله لدينه الحق، ووفقهم لاتّباعه، وأرشدهم إلى الخير، لهديناكم وأرشدناكم إلى سلوك الطريق الأقوم، ولكنه لم يهدنا[2].

ومن المعاني المستفادة من الآية أن اعتراف المستكبرين والمذنبين بضلالهم يوم الجزاء لا ينجيهم من العقاب والحساب.

ب- الحوار الذي دار بين الشيطان وأتابعه.

بعد أن ذكر الله -ﷻ- الحوار الذي دار بين السادة والأتباع، ذكر ما بين الشيطان ومن أغواهم، وكيف تهرب منهم الشيطان، فقد ذكر تعالى:﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ

---

(١)التفسير المنهجي، لجنة من علماء الأردن(١٥٩/٥).

(٢) انظر: التفسير المنير في العقيدة الشريعة والمنهج،(٢٣٦/١٣)، ومختصر تفسير ابن كثير، (٢/ ١٩٥).

وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ۖ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ إبراهيم، فالعلاقة بين ما ذكره السادة والشيطان واحدة هي تبرؤ المتبوع من التابع، ولكن الشيطان كان أصدق في هذه المحاورة من الإنسان؛ لأنه أعلن أن الله وعد الناس وعد الحق وهو البعث والجزاء على الأعمال، فوفى لهم بما وعدهم، وأما هو فوعد الناس بخلاف ذلك، وأنه لا بعث ولا جزاء، فأخلف الوعد(١).

ومما يستفاد من هذا الحوار في الآية بأن الاستجابة لمكر الشيطان والاستمرار في ذلك يعد عبادة له من دون الله، ولذا قال: ﴿ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ﴾ إبراهيم٢٢ .

(١) انظر : التفسير المنير في العقيدة الشريعة والمنهج ، (٢٤٠/١٣)، أيضاً: انظر: بيان المعاني، للعاني،(٤/ ٢٧٩).

الفصل الأول

التوحيد ونواقضه في سورة إبراهيم

وفيه ثلاثة مباحث :-

المبحث الأول-تعريف التوحيد لغةً واصطلاحًا.

المبحث الثاني- أنواع التوحيد في ضوء السورة.

المبحث الثالث-نواقض أنواع التوحيد.

المبحث الرابع-أثر التوحيد على الفرد والمجتمع.

المبحث الأول

تعريف التوحيد لغةً واصطلاحًا

أولاً–التوحيد لغة:

قال ابن فارس: "الواو والحاء والدال: أصل واحد يدل على الانفراد ومن ذلك الوحدة"[(١)]، "والأحد هو الفرد الذي لم يزل وحده ولم يكن معه آخر، وهو اسم بني لنفي ما يذكر معه من العدد، والهمزة بدل من الواو وأصله وحد؛– لأنه من الوحدة. والأحد: بمعنى الواحد"[(٢)].

وكانت العرب تطلق لفظ الأحد على المعدود الذي يسمى بعده ثان، ولذا قال سبحانه: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ﴾ الإخلاص.

ثانياً– التوحيد اصطلاحاً:

عرفه الشيخ أبو بكر أبو زيد بقوله: "هو نفي الكُفء والمثل عن ذات الله تعالى وصفاته وأفعاله، ونفى الشريك في ربوبيته، وعبادته ﷻ". [(٣)]

فقوله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾ الإخلاص، تنفي الكفء عن غير الله ﷻ، وقوله: ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ﴾ الرعد: ١٦، وقوله: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝٣١ ﴾ يونس، تنفي الشريك في الربوبية.

---

(١) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، تحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر،١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م، (٦/٩٠)، مختار الصحاح، زين الدين بن عبد القادر الحنفي الرازي، تحقق: يوسف الشيخ محمد، ط٥، المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا،١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م،(ص٣٣٤)

(٢) لسان العرب، محمد بن مكرم بن على جمال الدين ابن منظور، ط٣، دار صادر بيروت،١٤١٤ هـ، (٣/٧٠) تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني الزَّبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، بدون طبعة، دار الهداية، (٧/٣٧٦).

(٣)عقيدة المؤمن، أبو بكر الجزائرى، بدون طبعة، مكتبة العلوم والحكم– السعودية.،(ص ٥٣).

وقوله: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾الأنعام، تنفي الشريك في العبادة[١].

وعرفه السفاريني بأنه: "إفراد المعبود بالعبادة مع اعتقاد وحدته ذاتاً وصفات وأفعالاً، فلا تقبل ذاته الانقسام بوجه، ولا تشبه صفاته الصفات ولا تنفك عن الذات، ولا يدخل أفعاله الاشتراك، فهو الخالق دون من سواه"[٢].

"التوحيد: هو الإقرار بأن الله هو خالق الخلق لا خالق لهم غيره ولا رب لهم سواه". (٣)

فالتوحيد: هو إفراد الله ﷻ بالربوبية والألوهية وجميع صفات الكمال له ﷻ.

وقيل: "التوحيد هو الاعتقاد والشهادة بأن الله سبحانه وتعالى منفرد بذاته وصفاته وربوبيته وإلهيته، وعبادته، لا شريك له في ذلك كله." (٤)

وترى الباحثة أن التوحيد: تنزيه الله ﷻ عن كل ما لا يليق بذاته وصفاته وأفعاله، وإثبات الربوبية والألوهية له لا لأحد سواه سبحانه، وتفرده بصفات الكمال والأسماء الحسنى.

---

(١)انظر عقيدة المؤمن، أبو بكر الجزائرى، بدون طبعة، مكتبة العلوم والحكم- السعودية.،(ص ٥٣).

(٢)لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، شمس الدين، سالم السفاريني الحنبلي، ط٢،مؤسسة الخافقين ومكتبتها – دمشق- ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢م،(٥٧/١).

(٣)التحفة المهدية شرح العقيدة التدمرية (٢/ ٧٩).

(٤)جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية (١/ ٩٣).

المبحث الثاني

أنواع التوحيد في ضوء السورة

وضَّح الإمام ابن تيمية التوحيد الذي جاءت به الرسل بقوله: "التوحيد الذي جاءت به الرسل إنما يتضمن إثبات الإلهية لله وحده بأن يشهد أن لا إله إلا الله، لا يعبد إلا إياه، ولا يتوكل إلا عليه، ولا يوالي إلا له، ولا يعادي إلا فيه، ولا يعمل إلا لأجله، وذلك يتضمن إثبات ما أثبته لنفسه من الأسماء والصفات".[١]

وقد قسم علماء السلف التوحيد إلى ثلاثة أنواع:-

١- توحيد الربوبية.

٢- وتوحيد الألوهية.

٣- وتوحيد الأسماء والصفات[٢].

وقد تناولت سورة إبراهيم هذه الأنواع الثلاثة مبينة حقيقتها وكيف دعا الرسل – عليهم السلام –إليها.

المطلب الأول–توحيد الربوبية

أولاً–الرب لغةً:

الرب في اللغة: اسم مركب من الراء والباء، يطلق على المالك، السيد، والمربي، والقيم، والمنعم، والمدبر، والمتمم، والمصلح، ولا يطلق غير مضاف إلا على الله تعالى، وإذا أطلق بالإضافة فيقال: رب البيت أو رب الغلام[٣].

---

(١)دَرْءُ تَعَارُضِ العَقْلِ وَالنَّقْلِ أو مُوَافَقَةُ صَحِيْحِ المَنْقُوْلِ لِصَرِيْحِ المَعْقُوْلِ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، ط ١، ١٣٩١، الناشر : دار الكنوز الأدبية – الرياض (١/ ٢٢٤).
(٢)انظر: أصول مسائل العقيدة عند السلف وعند المبتدعة، سعود الخلف، ط١، ١٤٢٠هـ-١٤٢١هـ، (٧٤/١).
(٣)انظر: المعجم الوسيط، لمجمع اللغة، القاهرة، دار الدعوة، (٣٢١/١).

فيؤخذ من معنى الرب لغة السيادة والتملك والقيام على الشيء والتدبير والإنعام والطول والإحياء والإماتة والرعاية والإنشاء و الخلق والإيجاد ، وما يناط بهذه المعاني، وكلها تصب في معنى الربوبية المأخوذ من لفظ الرب مطلقاً بدون إضافة.

قال ابن جرير الطبري: في معنى اسم الرب الله ﷻ:" فربنا جل ثناؤه السيد الذي لا شبه له ولا مثل في سؤدده، والمصلح أمر خلقه مما أسبغ عليهم من نعمة، والمالك الذي له الخلق والأمر"(١)، ولا تستعمل كلمة (الرب) في حق المخلوق إلا مضافة فيقال: رب الدار ورب المال.

وقال ابن قتيبة(رحمه الله):"ولا يقال للمخلوق هذا الرب معرفاً بالألف واللام كما يقال لهذا، إنما يقال رب كذا فيعرف بالإضافة؛ لأن الله مالك كل شيء، فإذا قيل الرب دلت الألف واللام على معنى العموم، وإذا قيل لمخلوق رب كذا ورب كذا نسب إلى شيء خاص؛ لأنه لا يملك غيره".(٢)

ثانياً- توحيد الربوبية اصطلاحاً:

توحيد الربوبية: هو "الاعتقاد الجازم بأن الله وحده رب كل شيء ومليكه، لا شريك له، وهو الخالق وحده وهو مدبر العالم والمتصرف فيه، وأنه خالق العباد ورازقهم ومحييهم ومميتهم، والإيمان بقضاء الله وقدره وبوحدانيته في ذاته، وخلاصته هو: توحيد الله تعالى بأفعاله"(٣).

وعُرّف بعبارة أوسع بأنه هو: "الإقرار بأن الله ﷻهو الفاعل المطلق في الكون بالخلق والتدبير والتغيير والتيسير والزيادة والنقص والإحياء والإماتة وغير ذلك من الأفعال لا يشاركه في فعله سبحانه أحد" (٤).

قال ابن القيم (رحمه الله): "فاسم الرب له الجمع الجامع لجميع المخلوقات، فهو رب كل شيء وخالقه، والقادر عليه، لا يخرج شيء عن ربوبيته، وكل من في السماوات والأرض عبد له في قبضته، وتحت قهره، فاجتمعوا بصفة الربوبية، وافترقوا بصفة الإلهية، فألهه وحده

---

(١) تفسير الطبري (١٤٢/١) بتصرف يسير.

(٢)غريب القرآن أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ،تحقيق: أحمد صقر،ط١ ، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م، الناشر: دار الكتب العلمية . (١-١٥).

(٣)الوجيز في عقيدة السلف الصالح (أهل السنة والجماعة)، عبد الله بن عبد الحميد الأثري،مراجعة وتقديم: صالح آل الشيخ، ط١، دار النشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد السعودية، ١٤٢٢هـ، (ص٥٠).

(٤) الإيمان أركانه وحقيقة نواقضه، د. محمد نعيم ياسين ، دار التوزيع والنشر(ص ٨)

السعداء، وأقروا له طوعا بأنه الله الذي لا إله إلا هو، الذي لا تنبغي العبادة والتوكل، والرجاء والخوف، والحب والإنابة والإخبات والخشية، والتذلل والخضوع إلا له، وهنا افترق الناس، وصاروا فريقين: فريقاً مشركين في السعير، وفريقاً موحدين في الجنة، فالإلهية هي التي فرقتهم، كما أن الربوبية هي التي جمعتهم."[1]

وكما قال ابن أبي العز رحمه الله:" وحديث رسول الله ﷺ: " **كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ كَمَثَلِ الْبَهِيمَةِ تُنْتَجُ الْبَهِيمَةَ هَلْ تَرَى فِيهَا جَدْعَاءَ**"[2]لا يقال: معناه يولد ساذجاً لا يعرف توحيداً ولا شراً كما قال بعضهم"[3].

" وتوحيد الربوبية هو الإقرار أن الله خالق كل شيء وأنه ليس للعالم صانعان متكافئان من في الصفات والأفعال، وهذا التوحيد حق لا ريب فيه، وهو الغاية عند كثير من أهل النظر والكلام وطائفة من الصوفية، وهذا التوحيد لم يذهب إلى نقيضه طائفة معروفة من بني آدم، بل القلوب مفطورة على الإقرار به أعظم من كونها مفطورة على الإقرار بغيره من الموجودات كما قالت الرسل – عليهم السلام– فيما حكى الله عنهم؛ فإن المشركين من العرب كانوا يقرون بتوحيد الربوبية وأن خالق السموات والأرض واحد، كما أخبر تعالى عنهم بقوله:﴿**وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ**﴾لقمان: ٢٥. " [4]

لقد ذكر الله ﷻفي سورة " إبراهيم" العديد من دلائل التوحيد فقد بين أنه تعالى الذي خلق السموات والأرض وما بينهما، وهو الذي سخر الشمس والقمر لتهيئة مصالح العباد ومنافعهم، وهو الذي ينزل المطر من السماء وينبت النبات.

١– دلالة توحيد الربوبية في خلق السماوات والأرض:

فقد ذكر الله تعالى ذكره معرفاً خلقه حجته عليهم، وأنه لا تصلح الألوهية إلا له: بأن له خلق السموات والأرض بالعدل وأنه من فطر السموات والأرض، وهو الحق منفرداً بخلقها لم يشركه في إحداثها شريك ولم يعنه عليها معين، فاستحق بذلك الألوهية والعبادة دون جميع خلقه، ودليله قوله تعالى :﴿**أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ**﴾إبراهيم: ١٠ .

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، ط٣،دار النشر: الكتاب العربي – بيروت، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦م، (٥٨/١).

(٢)أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الجمعة باب الطيب للجمعة حديث رقم ١٣٨٥(٣/ ٣٧٩).

(٣) شرح العقيدة الطحاوية الإمام القاضي علي بن علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي – حققه وعلق عليه وخرّج أحاديثه وقدم لهم د. عبد الله بن عبد المحسن التري – شعيب الأرنؤط –مؤسسة الرسالة . (٣٣/١)

(٤) المرجع السابق (٢٥/١-٢٩)

وهنا تتساءل الرسل في معرض الرد على كفر أقوامهم وشكهم وريبهم وكأنهم يقولون: أفي وجود الله وربوبيته وألوهيته ريب وارتياب وهذه آثار عظمته تدل على حجة توحيده في آيات السماوات و الأرض؟

فالله هو فاطر السماوات والأرض وخالقهما فهو المستحق للعبادة والإفراد بالألوهية دون غيره، وهو الذي يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى(١).

قال القرطبي: "وفاطر السموات والأرض خالقها ومخترعها ومنشأها وموجدها بعد العدم؛ لينبه على قدرته فلا تجوز العبادة إلا له"(٢)، " أفي الله شك والسموات والأرض تنطقان للفطرة؛ لأن الله أبدعهما إبداعاً وأنشأهما إنشاءً، قال رسلهم هذا القول لأن السموات والأرض آيتان هائلتان بارزتان ، فمجرد الإشارة إليهما تكفي ويرد الشارد إلى الرشد سريعاً."(٣)

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾﴾ إبراهيم.

" في قول تعالى تأكيد استحقاقه العبودية والألوهية من غيره لنبيه محمدﷺ: ألم تر يا محمد بعين قلبك، فتعلم أن اللَّه أنشأ السموات والأرض بالحق منفردًا بإنشائهما بغير ظهير ولا معين." (٤)

---

(١) انظر تفسير ابن كثير(٤/٤١٤).

(٢)الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٩/٣٤٦)

(٣) في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي،ط١٧ – ١٤١٢ هـ، الناشر: دار الشروق – بيروت– القاهرة. (٤/٢٠٩٠)

(٤) الجامع لأحكام القرآن القرطبي(٩/٣٤٦).

والاستفهام في قوله تعالى(ألم) للتقرير أي فقد علمت أيها المخاطب أن من كمال ربوبية الله وقدرته على الخلق بالحق للسماوات والأرض، وما دمت تقر بهذا المظهر الدال على ربوبيته المتفرد بها عن سائر الوجود فاعلم عندها علم اليقين بأنه سبحانه قادر على بعث الخلق من جديد، ولذا قال في آخر الآية:﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ ﴾إبراهيم، قال ابن كثير: " يقول تعالى مخبراً عن قدرته على معاد الأبدان يوم القيامة، بأنه خلق السموات والأرض التي هي أكبر من خلق الناس، أليس الذي قدر على خلق هذه السموات في ارتفاعها واتساعها وعظمتها، وما فيها من الكواكب الثوابت والسيارات، والحركات المختلفات، والآيات الباهرات، وهذه الأرض بما فيها من مهاد وأوتاد، وبراري وصحاري، وقفار وبحار، وأشجار ونبات، وحيوان على اختلاف أصنافها ومنافعها وأشكالها وألوانها، قال تعالى:﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ ﴾الأحقاف " (١).

قال تعالى:﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ ﴾(إبراهيم: ٣٢). " فاللَّه الذي أنشأ السموات والأرض من غير شيء أيها الناس" (٢)، هو المستحق للإفراد بالعبادة عن غيره من المخلوقات، وهو الذي خلق السموات والأرض أبدعهما واخترعهما على غير مثال سبق، ألا يستحق أن يعبد وحده ولا يشرك معه شريك ! .

يقول ابن القيم: "فَبَدَأَ بِذكر خلق السَّمَوَات وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ ﴾آل عمران، وَهَذَا كثير فِي الْقُرْآن فالأرض والبحار والهواء وكل مَا تَحت السَّمَوَات بالإضافة إلى السَّمَوَات كقطرة فِي بَحر قل إن تَجِيء سُورَة فِي الْقُرْآن إلا وفيهَا ذكرهَا إِمَّا إِخْبَارًا عَن عظمها وسعتها وَإِمَّا إقسامًا بهَا وَإِمَّا دُعَاء إلى النّظر فِيهَا وَإِمَّا إرشاداً للعباد أن يستدلوا بهَا على عظم بانيها ورافعها وَإِمَّا اسْتِدْلَالا مِنْهُ سُبْحَانَهُ بخلقها على مَا أخبر بِهِ من الْمعَاد وَالْقيمَة وَإِمَّا اسْتِدْلَالا مِنْهُ بربوبيته لَهَا على وحدانيته وَأَنه الله الَّذِي لَا إِلَه الا هُوَ وَإِمَّا اسْتِدْلَالا مِنْهُ بحسنها واستوائها والتئام أجزائها وَعدم الفطور فِيهَا على تَمام حكمته وَقدرته وَكَذَلِكَ مَا فِيهَا من الْكَوَاكِب وَالشَّمْس وَالْقَمَر والعجائب الَّتِي تتقاصر عقول الْبشر".(٣)

٢- دلالة خلق الشمس والقمر والنجوم علي ربوبيته.

قال تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ ﴾إبراهيم، فالله سخر الشمس والقمر يتعاقبان عليكم أيها الناس بالليل والنهار، لصلاح أنفسكم ومعاشكم فقد

---

(١) تفسير ابن كثير(٤/٤١٨).

(٢) تفسير الطبري(١٣/٦٨١).

(٣) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة،:محمد بن أبي بكر الدين ابن قيم الجوزية ، دار الكتب العلمية – بيروت..،(١/١٩٧)

سخر الشمس من أجل منافعكم وإصلاح أسبابكم بالنهار، وجعل الليل للسكن تسكنون فيه، ورحمة منه بكم وقيل في معنى ﴿دَائِبَيْنِ﴾: إنهما دائبان في طاعة الله[1]، لا يفتران ولا ينيان يسعيان لمصالحكم من حساب أزمنتكم ومصالح أبدانكم وحيواناتكم وزروعكم وثماركم.[2]

وسخر لكم الشمس والقمر دائبين أي يسيران لا يفتران ليلاً ولا نهاراً بدليل قوله: ﴿ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾يس، وقوله: ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾الأعراف، فالشمس والقمر يتعاقبان، والليل والنهار يتعارضان، فتارة يأخذ هذا من هذا فيطول، ثم يأخذ الآخر من هذا فيقصر، ﴿ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾فاطر: ١٣[3].

"فالليل والنهار ولولا طلوعهما لبطل أمر العالم، وكيف كان الناس يسعون في معايشهم ويتصرفون في أمورهم والدنيا مظلمة عليهم، وكيف كانوا يتهنون بالعيش مع فقد النور، ثم تأمل الحكمة في غروبهما فإنه لولا غروبهما لم يكن للناس هدوء ولا قرار مع فرط الحاجة إلى السبات وجموم الحواس وانبعاث القوى الباطنة، وظهور سلطانها في النوم المعين على هضم الطعام وتنفيذ الغذاء إلى الأعضاء، ثم لولا الغروب لكانت الأرض تحمى بدوام شروق الشمس، واتصال طلوعها حتى يحترق كل ما عليها من حيوان ونبات، فصارت تطلع وقتاً بمنزلة السراج يرفع لأهل البيت ليقضوا حوائجهم، ثم تغيب عنهم مثل ذلك ليقروا ويهدؤا، وصار ضياء النهار مع ظلام الليل وحر هذا مع برد هذا مع تضادهما متعاونين متظاهرين بهما تمام مصالح العالم" [4]

٣- دلالة نزول المطر وانبات النباتات والأشجار

أشار الله ﷻ إلي دليل حسي ملموس متكرر مشاهد على قدرته ولطفه أنه الرب الذي يشمل إحسانه وإنعامه ورحمته جميع مخلوقاته، فهو الذي ينزل لهم المطر من السماء لقوله تعالى:﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ ﴾ابراهيم، فالله الذي أنشأ السماوات والأرض من غير شيء أيها الناس، وأنزل من السماء غيثا أحيا به الشجر والزرع، فأثمرت رزقا

---

(١) انظر: تفسير الطبري(١٣/١٦).

(٢) تيسير الكريم الرحمن تفسير كلام المنان ، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط١، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م، مؤسسة الرسالة. (٤٢٦/١).

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٤٣٩/٤).

(٤) مفتاح دار السعادة، لابن القيم(٢٠٧/١).

لكم تأكلونه، (وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ) وهي السفن (لِتَجْرِيَ فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ) لكم تركبونها وتحملون فيها أمتعتكم من بلد إلى بلد، (وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ) ماؤُها شراب لكم[١]، فمن هذه صفته هو الذي يستحقّ العبادة وإخلاص الطاعة له، لا من لا يقدر على ضرّ ولا نفع لنفسه ولا لغيره من أوثانكم أيها المشركون وآلهتكم.[٢]

قال ابن كثير: " وقد عدد تعالى نعمه على خلقه بأن خلق لهم السموات سقفاً محفوظاً، والأرض فرشاً وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى ما بين ثمار وزروع مختلفة الألوان والأشكال والطعوم والروائح والمنافع، وسخر الفلك بأن جعلها طافية على تيار ماء البحر تجري عليه بأمر الله–تعالى–، وسخر البحر لحملها ليقطع المسافرون بها من إقليم إلى إقليم آخر لجلب ما هنا إلى هناك، وما هناك إلى هنا، وسخر الأنهار تشق الأرض من قطر إلى قطر رزقاً للعباد من شرب وسقي، وغير ذلك من أنواع المنافع" [٣].

والذي نخلص إليه مما تقدم أن إنزال الله ﷻ المطر من السماء ليعم كل أجزاء الأرض، ثم ينبت الأرض على أثره بالزروع المختلفة لوناً وطعماً ورائحة لدليل واضح على أن وراء هذا الكون إلهاً قادراً حكيماً يتصرف فيه كيف يشاء بيده الخلق والأمر، فكل ما تم ذكره دليلٌ واضحٌ على توحيد الربوبية.

وختاماً نقول: إن توحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الألوهية، فمن أقر بالربوبية يلزمه أن يقر بالألوهية؛ لأن توحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية، فمن عبد الله وحده فهو مقر بأن الله هو الخالق وحده المحيي المميت وحده.

المطلب الثاني–توحيد الألوهية:

أولاً–الألوهية لغة :

قال ابن فارس: " أَلَهَ الْهَمْزَةُ وَاللَّامُ وَالْهَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ التَّعَبُّدُ. فَالْإِلَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَسُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ مَعْبُودٌ. وَيُقَالُ: تَأَلَّهَ الرَّجُلُ: إِذَا تَعَبَّدَ." (٤)

---

(١) انظر: تفسير الطبري(١٣/١٦)

(٢)انظر المرجع السابق.(١٣/١٦)

(٣) تفسير ابن كثير ٤٣٩/٤

(٤)مقاييس اللغة (١/ ١٢٧)

فالله ﷻهو المألوه المعبود، ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، لما اتصف به من صفات الألوهية التي هي صفات الكمال، وقد تقدم أن هذا الاسم ترجع إليه جميع الأسماء، فيقال: الرحمن من أسماء الله، ولا يقال: الله من أسماء الرحمن، وهكذا في جميع الأسماء، وإن اسم الله تعالى هو الجامع لجميع معاني الأسماء الحسنى والصفات العلا(١).

ويمكن أن يكون مشتقاً من الفعل(لاه)بمعنى تاه؛ لأن العقول تحار في عظم حقيقته.

" والإِلَهُ اللهﷻ و كل ما اتخذ من دونه معبوداً إِلَهٌ عند متخذه والجمع آلِهَةٌ والآلِهَةُ الأَصنام؛ سموا بذلك لاعتقادهم أَن العبادة تَحُقُّ لها وأَسماؤُه متَتْبَعُ اعتقاداتهم لا ما عليه الشيء في نفسه".(٢)

قال ابن الأَثير:" هو مأْخوذ من إِلَهٍ وتقديرها فُعْلانِيَّة بالضم تقول: إِلَهٌ بَيِّنُ الإِلَهيَّة والأُلْهانِيَّة وأَصله من أَلِهَ يَأْلَهُ إذا تَحَيَّر يريد إذا وقع العبد في عظمة الله وجلاله، وغير ذلك من صفات الربوبية، وصَرَفَوَهْ منَه إليها أَبْغَضَ الناس حتى لا يميل قلبه إلى أَحد".(٣)

قال الأَزهري قال الليث: "بلغنا أَن اسم الله الأَكبر هو الله لا إله إلاَّ هو وحده"(٤)(إله الناس) يقول معبود الناس الذي له العبادة دون كل شيء سواء (ومعنى الإله هو المألوف المعبود الذي يستحق العبادة)، وأن هذا المعنى هو أخص وصف الإله، وجعل إثبات هذا هو الغاية في التوحيد(٥).

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير،(٢/٢٤٩)، أيضاً: الثمر المجتنى مختصر شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسُّنَّة، سعيد بن علي بن وهف القحطاني، دار مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، الرياض، مطبعة سفير، الرياض، (ص٨٨).

(٢)لسان العرب، لابن منظور (١٣/ ٤٦٧).

(٣)النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك الشيباني الجزري ابن الأثير، تحقيق طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي، دار المكتبة العلمية – بيروت، (١/ ٦٢).

(٤)تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، تحقيق محمد عوض مرعب، /، ط، دار إحياء التراث العربي – بيروت، (٦/ ٢٢٢).

(٥) التوحيد وبيان العقيدة السلفية النقية– عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن حسين بن حميد المتوفى سنة ١٤٠٢هـ – المحقق أشرف بن عبد المقصود – مكتبة طبريا – الطبعة الاولى ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م(١/٢٥) .

ثانياً: الألوهية اصطلاحاً:

توحيد الألوهية: "هو إفراد الله تعالى بجميع أنواع العبادة، ونفي العبادة عن كل ما سوى الله تبارك وتعالى."[١]ويسمى: توحيد العبادة والعمل؛ وتوحيد القصد والطلب وذلك لتعلقه بالقصد والإرادة[٢].

ومعناه: الاعتقاد الجازم بأن الله – سبحانه وتعالى – هو الإله الحق ولا إله غيره، وكل معبود سواه باطل، وإفراده تعالى بالعبادة والخضوع والطاعة المطلقة، وأن لا يشرك به أحد كائناً من كان، ولا يصرف شيء من العبادة لغيره تعالى، كالصلاة، والصيام، والزكاة، والحج، والدعاء، والاستعانة، والنذر، والذبح، والتوكل، والخوف، والرجاء والحب، والإنابة، والخشية، والتذلل، وغيرها من أنواع العبادة الظاهرة والباطنة، وأن يعبد الله بالحب والخوف والرجاء جميعاً، وعبادته ببعضها دون بعض ضلال.[٣]

عن ابن عمر ﷺقال قال رسول الله ﷺ: **(أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّابِحَقِّ الْإِسْلَامِ وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ)**.[٤]

وتوحيد الألوهية ملخصها في قول لا إله إلا الله، فقد قال ابن القيم في حق هذه الكلمة: "كلمة قامت بها الأرض والسماوات، وخلقت لأجلها جميع المخلوقات، وبها أرسل الله تعالى رسله، وأنزل كتبه، وشرع شرائعه، ولأجلها نصبت الموازين، ووضعت الدواوين، وقام سوق الجنة والنار، وبها انقسمت الخليقة إلى المؤمنين والكفار والأبرار والفجار، فهي منشأ الخلق والأمر والثواب والعقاب، وهي الحق الذي خلقت له الخليقة، وعنها وعن حقوقها السؤال والحساب، وعليها يقع الثواب والعقاب، وعليها نصبت القبلة، وعليها أسست الملة، ولأجلها جردت سيوف

---

(١) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، حافظ بن أحمد بن علي الحكمي، تحقيق : عمر بن محمود أبو عمر، ط١،دار: ابن القيم – الدمام، ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠ م، (٤٥٩/٢).

(٢)عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، محمد أحمد محمد عبد القادر خليل ملكاوي، ط١، دار: مكتبة دار الزمان، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م، (١٠٨/١).

(٣) انظر: الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة، عبد الله بن عبد الحميد الأثري، تحقيق: فضيلة الشيخ الدكتور عبد الرحمن بن صالح، ، ط١،دار: مدار الوطن للنشر، الرياض،١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣م، (ص١١٦).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الإيمان بَاب{فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ} (٢٩/١).

الجهاد، وهي حق الله على جميع العباد، فهي كلمة الإسلام، ومفتاح دار السلام، وعنها يسأل الأولون والآخرون، فلا تزول قدما العبد بين يدي الله حتى يسأل عن مسألتين: ماذا كنتم تعبدون؟ وماذا أجبتم المرسلين؟ .

فجواب الأولى بتحقيق " لا إله إلا الله " معرفة وإقراراً وعملاً.

وجواب الثانية بتحقيق " أن محمداً رسول الله " معرفة وإقراراً وانقياداً وطاعة[1]".

التوحيد المطلوب هو توحيد الألوهية الذي يتضمن توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾الروم(٢).

فمن عبد الله وحده ولم يشرك به شيئاً وآمن أن الله المستحق للعبادة والتفرد بها، وهذا يدل على أنه مؤمن بربوبية الله وأسمائه وصفاته، وأن فعل العبد ذلك يدل هذا على أنه يعتقد اعتقاداً ثابتاً لا شك فيه أن الله هو الذي يستحق أن يعبد، وعلى الجميع من الخلق عبادته والإيمان أنه هو الخالق الرزاق، وأنه تعالى له الأسماء الحسنى والصفات العُلا.

الأدلة من خلال سورة إبراهيم على توحيد الألوهية:

قال تعالى:﴿ هَٰذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٥٢﴾ ﴾ إبراهيم

" فقد بين الله ﷻ أن هذا القرآن بلاغ للناس ليقيم الحجة عليهم، وأعذر إليهم بما أنزل فيه من مواعظه وعبره،﴿وَلِيُنذَرُوا بِهِ ﴾ يقول: ولينذروا عقاب الله ﷻ، ويحذروا به نقماته، أنزله إلى نبيه ﷺ، ﴿وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ﴾أي ليعلموا بما احتجّ به عليهم من الحجج فيه إنما هو إله واحد، لا آلهة شتى، كما يقول المشركون بالله، وأن لا إله إلا هو الذي له ما في السماوات وما في الأرض، الذي سخر لهم الشمس والقمر والليل والنهار وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لهم، وسخر لهم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لهم الأنهار، وليتذكر فيتعظ

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، ط٢٧، دار: مؤسسة الرسالة، بيروت – مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م، (٣٦/١).

(٢) انظر شرح العقيدة الطحاوية (٣٢/١)بتصرف يسير.

بما احتجّ الله به عليه من حججه التي في هذا القرآن، فينزجر عن أن يجعل معه إلهاً غيره، ويُشْرِك في عبادته شيئاً سواه أهلُ الحجي والعقول، فإنهم أهل الاعتبار والإدّكار دون الذين لا عقول لهم ولا أفهام، فإنهم كالأنعام بل هم أضلّ سبيلاً " [1].

ومن فوائد هذه الآية : أن القرآن الكريم فيه من الأدلة الدالة على حجة الإيمان بالله ووحدانيته في ألوهيته، ما يكفي الإنسان المسلم، وقد بينت الآية إلى أن أكثر المستفيدين من دلائل توحيد الألوهية ومواعظ القرآن ومقتضياته هم أصحاب العقول الراشدة الراجحة والذي يتذكر في هذا هم أولوا الألباب.

"فالقرآن بلاغٌ للناس كما قال تعالى: ﴿ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾الأنعام: ١٩ أي هو بلاغ لجميع الخلق من إنس وجن، كما قال في أول السورة:﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ١ ﴾إبراهيم، ولينذروا به أي ليتعظوا به وليعلموا أنما هو إله واحد أي يستدلوا بما فيه من الحجج والدلالات على أنه لا إله إلا هو وليذكر أولوا الألباب أي ذوي العقول".[2]

فهذه الآية توضح أن الله ﷻ أرسل رسله لدعوة الناس إلى عبادته وحده.

فتوحيد الألوهية أصل دعوة الرسل جميعاً، فهو الذي أرسل الله ﷻ به رسله جميعهم من أولهم إلى آخرهم يدعون إليه أولاً قبل كل أمر فلم يدعُ إلى شيء قبله، فهم وإن اختلفت شرائعهم في تحديد بعض العبادات والحلال والحرام، لم يختلفوا في الأصل الذي هو إفراد الله – سبحانه – بتلك العبادات، افترقت أو اتفقت لا يشرك معه فيها غيره، فهو ما دعا إليه جميع الرسل، وإنكاره هو الذي أورد الأمم السابقة موارد الهلاك، وفرق الناس إلى شقي وسعيد، ولا يقبل إيمان المرء إلا بالإقرار به قولاً وعملاً.

"وتحقيق هذا النوع أن يعبد الله وحده لا شريك له بشرعه الذي جاءت به رسله، كما قال الله تعالى: ﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠ ﴾الكهف، فمن لم يعبد الله تعالى فهو مستكبر غير موحد، ومن عبده وعبد غيره فهو مشرك غير موحد، ومن عبده بما لم يشرعه فهو مبتدع ناقص التوحيد حيث جعل لله تعالى

---

(١) تفسير الطبري ٥٧/١٧.

(٢) تفسير ابن كثير ٤٤٩/٤.

شريكا في التشريع"[1]، كما قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ ﴾الشورى

وخلاصة القول:

إن توحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية؛ لأن المشركين لم يعبدوا إلهاً واحداً، وإنما عبدوا آلهة متعددة، وزعموا أنها تقربهم إلى اللهﷻ زلفى، وهم مع ذلكمعترفون بأنها لا تضر ولا تنفع، لذلك لم يجعلهم الله مؤمنين رغم اعترافهم بتوحيد الربوبية، بل جعلهم في عداد الكافرين بإشراكهم غيره في العبادة.

وبعد أن يؤمن العبد أن الله واحدٌ في ربوبيته وجب عليه أن يوحده ويفرده بالعبادة.

قال ابن القيم: " فإن توحيد الإثبات هو أعظم حجة على توحيد الطلب والقصد الذي هو توحيد الألوهية، وبه احتج الله تعالى في كتابه في غير موضع على وجوب إفراده تعالى بالألوهية لتلازم التوحيدين، فإنه لا يكون إلهاً مستحقاً للعبادة إلا من كان خالقاً رازقاً مالكاً متصرفاً مدبراً لجميع الأمور، حياً، قيوماً، سميعاً، بصيراً، عليماً، حكيماً، موصوفاً بكل كمال، منزهاً لجميع الأمور، غنياً عما سواه، مفتقراً إليه كل ما عداه، فاعلاً مختاراً لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه، ولا يعجزه شيء في السماوات ولا في الأرض، ولا تخفى عليه خافية، وهذه صفات الله ﷻ، لا تنبغي إلا له، ولا يشركه فيها غيره، فكذلك لا يستحق العبادة إلا هو ولا تجوز لغيره، فحيث كان متفرداً بالخلق والإنشاء والبدء والإعادة لا يشركه في ذلك أحد وجب إفراده بالعبادة دون سواه لا يشرك معه في عبادته أحد" [2].

المطلب الثالث–توحيد الأسماء والصفات

أولاً– تعريف الأسماء والصفات:

قال الشيخ ابن عثيمين: "هو إفراد الله – سبحانه وتعالى – بما سمى به نفسه، ووصف به نفسه في كتابه، أو على لسان رسوله ﷺ، نفياً وإثباتاً؛ فيثبت له ما أثبته لنفسه، وينفي عنه ما نفاه عن نفسه، ونفاه عنه رسوله ﷺ من الأسماء والصفات، والإقرار لله تعالى بمعانيها الصحيحة

---

(١) تقريب التدمرية، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، ط١، ١٤١٩هـ،دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الدمام، ،(ص ١١٢)

(٢) مختصر معارج القبول، أبو عاصم هشام بن محمد آل عقدة،، ط٥، ١٤١٨ هـ، مكتبة الكوثر –الرياض(ص ٨٣).بتصرف

ودلالاتها، واستشعار آثارها ومقتضياتها في الخلق من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل" [١].

يقول شيخ الإسلام (رحمه الله) في تعريف توحيد الأسماء الصفات: "فأما الأول وهو التوحيد في الصفات فالأصل في هذا الباب أن يوصف الله بما وصف به نفسه، وبما وصفته به رسله نفياً وإثباتاً، فيثبت لله ما أثبته لنفسه وينفى عنه ما نفاه عن نفسه، وقد علم أن طريقة سلف الأمة وأئمتها إثبات ما أثبته من الصفات من غير تكييف ولا تمثيل، ومن غير تحريف ولا تعطيل، وكذلك ينفون عنه ما نفاه عن نفسه – مع ما أثبته من الصفات – من غير إلحاد، لا في أسمائه ولا في آياته."[٢]

وكذلك توحيد الأسماء والصفات "هو إفراد الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلا الواردة في القرآن والسنة والإيمان بمعانيها وأحكامها".[٣]

مذهب أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات:

الناظر في مذهب أهل السنة والجماعة يجدهم لا يحددون كيفية صفات الله– تعالى–؛ لأنه ﷻ لم يخبر عن الكيفية، ولأنه لا أحد أعلم من الله – سبحانه – بنفسه، وجواب الإمام مالك في ذلك في الإثبات؛ فإن السائل قال له: يا أبا عبد الله ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾طه، كيف استوى؟ فقال مالك:"الاستواء معلوم، والكيف مجهول" وفي لفظ: " استواؤه معلوم، أو معقول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة". فقد أخبر ﷺ بأن الاستواء معلوم، وأن كيفية الاستواء مجهولة، وهذا بعينه قول أهل الإثبات.[٤]

"ومعنى قول مالك الاستواء معلوم، يعني غير مجهول بل هو معلوم باللغة والشرع، فإن معناه اللغوي العلو والاستقرار، وقد صرحت النصوص بفوقية الله –سبحانه–، واستوائه على

---

(١) فتاوى الشيخ العثيمين (١١٢/٢–١١٣) وانظر: معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات، لمحمد بن خليفة بن علي التميمي، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية،(ص٢٩). وأصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، نخبة من العلماء، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢١هـ، (ص٧٧). والمفيد في مهمات التوحيد، لعبد القادر بن محمد عطا صوفي، ١٤٢٢هـ– ١٤٢٣هـ، دار الإعلام، (٥٨/١).

(٢)مجموع الفتاوى،تقي الدين بن تيمية الحراني، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ط١٤١٦،١هـ/١٩٩٥م دار: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية. (٣/ ٣).

(٣) معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء لمحمد بن خليفة التميمي (ص٢٩) .

(٤) انظر: الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة، لعبد الله الأثري، (١٢١)، الأثر المشهور عن الإمام مالك رحمه الله في صفة الاستواء دراسة تحليلية، لعبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، (ص ٤٧).

عرشه وقوله: الكيف مجهول، معناه إنا لا ندرك كيفية استواء الله بعقولنا، وإنما طريق ذلك السمع، ولم يرد السمع بذكر الكيفية، فوجب الكف عنها، وقوله: الإيمان به واجب، معناه أن الإيمان باستواء الله على عرشه على الوجه اللائق به؛[1] لأن الله أخبر به عن نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله، فوجب تصديقه، وقوله: والسؤال عن الكيفية بدعة، بين المؤلف وجه كونه بدعة، بأنه سؤال عما لا يعلمه البشر ولا يمكنهم الإجابة عنه، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، فالسؤال عن كيفية الصفات لم يكن معهوداً على ألسنة الصحابة وأئمة السنة وسلف الأمة، بل هو من ديدن أهل البدع، ولهذا قال الإمام مالك للسائل" وما أراك إلا رجل سوء"، ثم أمر به فأخرج عن مجلسه، وهكذا سائر الأئمة قولهم يوافق قول مالك في أنا لا نعلم كيفية استوائه كما لا نعلم كيفية ذاته، ولكن نعلم المعنى الذي دل عليه الخطاب، فنعلم معنى الاستواء ولا نعلم كيفيته وهكذا سائر الصفات، ففرق مالك (رحمه الله) بين المعنى والمعلوم من هذه اللفظة، وبين الكيف الذي لا يعقله البشر، وجواب مالك (رحمه الله تعالى) وغيره جواب كافٍ شافٍ في جميع مسائل الصفات فإذا سئل إنسان عن: المجيء، أو النزول، أو السمع، أو البصر، أو غير ذلك أجاب بجواب مالك (رحمه الله)، فيقال مثلا: المجيء معلوم والكيف مجهول، وكذلك من سأل عن كيفية الغضب، أو الرضا، أو الضحك، وغير ذلك، فمعانيها كلها مفهومة". [2]

فأهل السنة سلكوا منهج القرآن والسنة الصحيحة، فكل اسم أو صفة لله ﷻ وردت في الكتاب والسنة الصحيحة فهي من قبيل الإثبات فيجب إثباتها.

وأما النفي فهو أن ينفى عن الله ﷻكل ما يناقض كماله من أنواع العيوب والنقائص، مع وجوب اعتقاد ثبوت كمال ضد ذلك المنفي، لأن النفيَ لا يكونُ مدحاً إلا إذا تضمنَ ثبوت كمال ضده، وإذا أراد الله –ﷻ–مدح نفسه فيقول مثلاً﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴾الكهف

قال الإمام أحمد:"لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله لا يتجاوز القرآن والسنة"[3].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : "وطريقة سلف الأمةوأئمتهاأنهم يصفون الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله ﷺ، من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، إثباتبلا

---

(1)وهناك سبع آيات في القرآن الكريم كله في استوائه على عرشه سبحانه.

(٢) التحفة المهدية شرح العقيدة التدمرية، لفالح بن مهدي بن سعد بن مبارك آل مهدي، الدوسري، مطابع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط٣، ١٤١٣هـ، (ص٨٩–٩٠).

(٣) العرش، للذهبي ، تحقيق محمد بن خليفة بن على التميمي، ط٢، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م الناشر عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية.، (٣١/١). التحفة المهدية شرح العقيدة التدمرية، لفالح آل مهدي، (٢٥/١).

تمثيل، وتنزيه بلا تعطيل، إثبات الصفات ونفي مماثلة المخلوقات قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾الشورى:١١، فهذا رد على الممثلة ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾الشورى، رد على المعطلة"(١)

قال الإمام أبو جعفر الطحاوي في بيان السنة والجماعة: "وتقول إن الله تعالى يغضب ويرضى وليس كأحد من صفات الورى"(٢).

قال شارح الطحاوية الشيخ عبد الغني الميداني: "لأنه تعالى منفرد بصفاته كذاته فكما ذاته لا تشبه الذوات فصفاته لا تشبه الصفات ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾الشورى ، ولا يؤولان بأن المراد ببغضه ورضاه إرادة الانتقام ومشيئة الإنعام، أو المراد غايتهما من النقمة أو النعمة"(٣).

وقال التابعي الجليل الإمام أبو حنيفة (رحمه الله تعالى): "له يد ووجه ونفس كما ذكره الله تعالى في القرآن من ذكر الوجه واليد والنفس فهو له صفات بلا كيف، ولا يقال إن يده قدرته ونعمته؛ لأن فيه إبطال الصفة وهو قول أهل القدر والاعتزال، لكن يده صفته بلا كيف وغضبه ورضاه صفتان من صفاته تعالى بلا كيف" (٤).

"وأما النفاة فيثبتون استواء حتى تجهل كيفيته، بل عند هذا القائل الشاك وأمثاله أن الاستواء مجهول غير معلوم، وإذا كان الاستواء مجهولاً لم يحتج أن يقال: الكيف مجهول، لاسيما إذا كان الاستواء منتفياً، فالمنتفي معدوم لا كيفية له حتى يقال: هي مجهولة أو معلومة، وكلام مالك صريح في إثبات الاستواء، وأنه معلوم ، وأن له كيفية، لكن تلك الكيفية مجهولة لنا لا نعلمها نحن"(٥).

---

(١)منهاج السنة النبوية، شيخ الإسلام بن تيمية، تحقيق : د. محمد رشاد سالم، الطبعة لأولى الناشر : مؤسسة قرطبة (٢/ ٥٢٣).

(٢)تخريج العقيدة الطحاوية، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (المتوفى: ٣٢١هـ)شرح وتعليق: محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة: الثانية، ١٤١٤ هـ،الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، (ص: ٨٠).

(٣) شرح العقيدة الطحاوية المسماة ببيان السنة والجماعة للشيخ عبد الغني الميداني حققه وعلق عليه محمد الحافظ ومحمد المالح ،ط١ ،١٩٩٧م ، الناشر دار الفكر دمشق(ص١٣٣)

(٤)الفقه الأكبر تأليف: ينسب لأبي حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي بن ماه، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م، الناشر: مكتبة الفرقان – الإمارات العربية (ص: ٢٧).

(٥) الأثر المشهور عن الإمام مالك رحمه الله في صفة الاستواء، لعبد الرزاق البدر، (ص٤٧).

"إن نفاة الصفات أدخلوا نفي الصفات في مسمى التوحيد، كالجهم بن صفوان ومن وافقه، فإنهم قالوا: إثبات الصفات يستلزم تعدد الواجب! وهذا القول معلوم الفساد بالضرورة، فإن إثبَات ذات مجردة عن جميع الصفات لا يتصور لها وجود في الخارج، وإنما الذهن قد يفرض المحال ويتخيله، وهذا غاية التعطيل" [(١)].

"وهذا القول قد أفضى بقوم إلى القول بالحلول[(٢)]والاتحاد[(٣)]، وهو أقبح من كفر النصارى، فإن النصارى خصوه بالمسيح، وهؤلاء عموا جميع المخلوقات، ومن فروع هذا التوحيد–الألوهية–: أن فرعون وقومه كاملو الإيمان، عارفون بالله على الحقيقة، ومن فروعه: أن عباد الأصنام على الحق والصواب، وأنهم إنما عبدوا الله لا غيره ! ومن فروعه: أنه لا فرق في التحريمِ والتحليل بين الأم والأخت والأجنبية، ولا فرق بين الماء والخمر والزنا والنكاح، الكل من عين واحدة، لا بل هو العين الواحدة، ومن فروعه: أن الأنبياء ضيقوا على الناس، تعالى الله عما يقولون علواً كبيرًا[(٤)]".

ويلاحظ من هذا التصور الاعتقادي لتوحيد هؤلاء الإلحاد والانحراف في المعتقد ومقتضياته تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

فالأصل في هذا الباب أن يوصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله: نفياً وإثباتاً، فيثبت لله ما أثبته لنفسه، وينفي عنه ما نفاه عن نفسه.

" وقد علم أن طريقة سلف الأمة وأئمتها إثبات ما أثبته من الصفات من غير تكييف ولا تمثيل ومن غير تحريف ولا تعطيل، وكذلك ينفون عنه ما نفاه عن نفسه مع إثبات ما أثبته من الصفات من غير إلحاد: لا في أسمائه ولا في آياته فإن الله –تعالى– ذم الذين يلحدون في أسمائه وآياته كما قال تعالى:﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾الأعراف، وقال تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية، لابن ابي العز الحنفي، (٢/٢٤-٢٥).

(٢) هو الزعم بأن الإله قد يحل في جسم عدد من عباده، أو بعبارة أخرى أن اللاهوت يحل في الناسوت. المعجم الفلسفي: ص ٧٦. ويقصد أصحاب الحلول بهذا القول أن الله عز وجل قد حل في كل الكون في الشجر والحجر والإنسان والحيوان والنهر والبحر والجبل.

(٣) وعرفه الجرجاني بقوله: الاتحاد هو تصيير الذاتين واحدة و لا يكون إلا في العدد من الاثنين فصاعدا، في الجنس يسمى مجانسة و في النوع مماثلة و في الخاصة مشاكلة و في الكيف مشابهة وفي الكم مساواة وفي الأطراف مطابقة وفي الإضافة مناسبة وفي وضع الأجزاء موازنة. التعريفات (١ / ٢٢)

(٤) التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان. (٢/٢٤-٢٥).

﴿مَّن يَأۡتِيٓ ءَامِنٗا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ٤٠﴾ فصلت، فطريقتهم تتضمن إثبات الأسماء والصفات مع نفي مماثلة المخلوقات: إثباتاً بلا تشبيه وتنزيهاً بلا تعطيل كما قال تعالى:﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾الشورى. ففي قوله:﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ رد للتشبيه والتمثيل وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾الشورى. رد للإلحاد والتعطيل[1]".

قال ابن القيم :"فَمَنْ عَرَفَ اللَّهَ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ أَحَبَّهُ لَا مَحَالَةَ".[2]

ثانياً-أسماء الله ﷻ الواردة في سورة إبراهيم.

أسماء الله توقيفية فلا يسمي الله إلا بما سمى به نفسه في القران أو السنة وقد وردت أسماء عديدة لله في سورة إبراهيم وسأورد أقوال العلماء فيتفسيرها وشرحها هي:

١ – الله:

اللغةً: هو اسم الله الأكبر، وهو ليس من الأسماء التي يجوز منها اشتقاق فعل، كما في الرحمن الرحيم[3]، " وأصلها إله، وأدخلت الألف واللام تعريفاً، فقيل أله، ثم حذفت العرب الهمزة استثقالاً لها، فلما تركوا الهمزة حولوا كسرتها في اللام التي هي لام التعريف، وذهبت الهمزة أصلاً فقالوا أللاه، فحركوا لام التعريف التي لا تكون إلا ساكنة، ثم التقى لامان متحركتان، وأدغموا الأولى في الثانية، فقالوا الله[4]".

وقال ابن فارس: "وأصل الألوهية من الفعل (أله) الهمزة واللام والهاء أصل واحد، وهو التعبد. فالإله الله تعالى، وسمي بذلك؛ لأنه معبود. ويقال: تأله الرجل، إذا تعبد". [5]

اصطلاحاً: واسم الله من أكثر الأسماء التي ذكرت في كتابه؛ لما له من قدر وأهمية، وقد ذكر اسم الله ثمان وثلاثين مرة صريحة في سورة إبراهيم، وإحداها بصيغة اسم الضمير، فقد قال تعالى: ﴿ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَوَيۡلٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ مِنۡ عَذَابٖ شَدِيدٍ ٢﴾ إبراهيم.

---

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية،(٣/١).

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن القيم(٣/ ١٨).

(٣) انظر: تهذيب اللغة، الأزهري ، (٢٢٢/٦).

(٤) تاج العروس، (٣٢٢/٣٦).

(٥)معجم مقاييس اللغة (١/ ١٢٧)

فالله هو الذي يملك جميع ما في السماوات وما في الأرض، فاستحق العبودية، وتوعد المكذبين بالويل والعذاب الأليم[1]، وقوله تعالى:﴿ قَالَتۡ رُسُلُهُمۡ أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ﴾إبراهيم: ١٠.

٢- العزيز:

لغةً: قال أبو بكر الأنباري في الزاهر : "العزيز، معناه في كلام العرب: القاهر الغالب، من ذلك قول العرب: قد عز فلان فلاناً يعزه عزّاً: إذا غلبه. قال الله ﷻ:﴿ وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ ٢٣ ﴾ص، فمعناه: غلبني في الخطاب. ويقرأ (وعازَّني في الخطاب) على معنى: وغالبني". [2]

"العزيز أي الذي له جميع معاني العزة. كما قال ﷻ﴿ إِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًاۚ ﴾يونس٦٥" [3] "والعزيز الذي لا يمانع ولا يغالب بل هو القاهر لكل ما سواه" [4].

"وقد ورد اسم العزيز في القرآن الكريم خمساً وتسعين مرة، مرة معرف بأل، وآخرى غير معرف، وجاء مرفوعاً ومنصوباً ومجروراً، وجاء في سورة إبراهيم أربع مرات، قال تعالى ﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ١ ﴾إبراهيم، يعني: إلى طريق الله المستقيم، وهو دينه الذي ارتضاه وشرعه لخلقه والحميد: فعيل، صرف من مفعول إلى فعيل، ومعناه: المحمود بآلائه"[5].

اصطلاحاً: يقول ابن القيم: "اسمه العزيز الذي له العزة التامة ومن تمام عزته براءته من كل سوء وشر وعيب فإن ذلك ينافي العزة التامة"[6].

وقال أيضا: "العزة يراد بها ثلاثة معانٍ عزة القوة وعزة الامتناع وعزة القهر والرب تبارك وتعالى له العزة التامة بالاعتبارات الثلاثة".[7]

وقوله تعالى:﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٤ ﴾إبراهيم، "وهو العزيز الذي لا يمتنِع مما أراده من ضلال أو هداية

---

(١) انظر: تفسير الطبري، (٥١٤/١٦).

(٢) الزاهر في معاني كلمات الناس، لأبي بكر الأنباري، تحقيق د. حاتم صالح الضامن ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢الناشر مؤسسة الرسالة، مكان النشر بيروت .(ص ٧٨)..

(٣) فقه الأسماء الحسنى لعبد الرزاق بن عبد المحسن البدرط٢، ١٤٣١هـ /٢٠١٠(ص٢٨٥).

(٤) تفسير ابن كثير (٤٧٦/٤).

(٥) تفسير الطبري(١٦/ ٥١٢).

(٦) شفاء العليل لابن القيم (٢٨٥/٣).

(٧) مدارج السالكين لابن القيم (٢٥٨/٣).

من أراد ذلك به، والحكيم في توفيقه للإيمان من وفقه له وهدايته له من هداه إليه، وفي إضلاله من أضل عنه، وفي غير ذلك من تدبيره. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل" [١].

وقوله تعالى:﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾ ﴾إبراهيم، يقول: "وما إذهابكم وإفناؤكم وإنشاء خلق آخر سواكم مكانكم على الله بممتنع ولا متعذر؛ لأنه القادر على ما يشاء" [٢].

وقوله تعالى:﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ ﴾إبراهيم

"وجاء معنى العزيز على أربعة أوجه وهي:-

أ- العزيز: هو المنيع الذي لا يرام جنابه.

ب-العزيز: هو القاهر الذي لا يغلب ولا يقهر.

ت-العزيز: هو القوي الشديد.

ث-العزيز: بمعنى نفاسة القدر، وأنه سبحانه لا يعادي شيئاً، ولا مثل له ولا نظير[٣]"

قال ابن القيم: "فإذا عرف العبد عزة سيده ولاحظه بقلبه وتمكن من شهوده منه كان الاشتغال به عن ذل المعصية أولى به وأنفع له؛ لأنه يصير مع الله لا مع نفسه"(٤).

٣- الحميد

لغةً : قال الرازي :" الْحَمْدُ ضِدُّ الذَّمِّ وَبَابُهُ فَهِمَ وَمَحْمَدَةٌ بِوَزْنِ مَتْرَبَةٍ فَهُوَ (حَمِيدٌ) " (٥)

"الحَمِيدُ من صِفَاتِ الله بمَعْنَى المحمُودِ، ورَجُلٌ حُمَدَةٌ: كَثيرُ الْحَمدِ. وَرَجُلٌ حَمَّادٌ مِثْلُه" (٦) .

قال ابن فارس: "الْحَاءُ وَالْمِيمُ وَالدَّالُ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ وَأَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى خِلَافِ الذَّمِّ" (٧)

"والحَمِيدُ، من صفاتِ الله تَعَالَى بِمَعْنى المَحْمُودِ على كلّ حَال، وَهُوَ من الأَسماءِ الحُسْنَى". (٨)

"تكرر ورود هذا الاسم في القرآن الكريم سبع عشرة مرة قال تعالى﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾ فاطر.

---

(١) تفسير الطبري(١٦/ ٥١٧).

(٢) المرجع السابق (١٦/ ٥٥٦).

(٣) النهج الأسمي في شرح أسماء الله الحسنى، محمد الحمود النجدي، ، مكتبة الإمام الذهبي، الكويت ، (ص١٣٧/١٣٨).

(٤) مدارج السالكين لابن القيم (١/ ٢٢٢).

(٥) مختار الصحاح (ص: ٨٠)

(٦) تهذيب اللغة (٤/ ٢٥٢):

(٧) مقاييس اللغة (٢/ ١٠٠)

(٨) تاج العروس (٨/ ٣٩):

اصطلاحاً "أي الذي له الحمد كله المحمود في ذاته وأسمائه وصفاته، فله من الأسماء أحسنها وله من الصفات أكملها، فالحمد أوسع الصفات وأعم المدائح، وأعظم الثناء؛ لأن جميع أسماء الله – تبارك وتعالى– حمدٌ، وصفاته حمد، وأفعاله حمد، وأحكامه حمد، وعدله حمد وانتقامه من أعدائه حمد، وفضله وإحسانه إلى أوليائه حمد، والخلق والأمر إنما قام بحمده ووجد بحمده وظهر بحمده، وكان الغاية منه هي حمده، فحمده– سبحانه – سبب ذلك وغايته ومظهره، فحمده روح كل شيء وقيام كل شيء بحمده وسريان، حمده في الموجودات وظهور آثاره أمر مشهود بالبصائر والأبصار".(١)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية(رحمه الله): "أَخْبَرَ أَنَّ لَهُ الْحَمْدَ وَأَنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ وَأَنَّ لَهُ الْحَمْدَ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَنَحْوَ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْمَحَامِدِ".(٢)

"فالله– تبارك وتعالى – حمد نفسه في كتابه على ربوبيته للعالمين، وحمد نفسه على تفرده بالإلهية، وحمد نفسه على كمال أسمائه وصفاته، وحمد نفسه على امتناع اتصافه بما لا يليق به سبحانه العظيم الكامل في كمال صفاته".(٣)

٤ – الغفور:

لغةً "قال أبو بكر: الغفور، معناه في كلامهم: الساتر على عباده، المغطي ذنوبهم، من قولهم: غفرت المتاع في الوعاء أغفره غفراً: إذا سترته فيه، وإنما قيل للبيضة: غفارة ومغفر، لتغطيتها الرأس، وسترها إياه(٤)"

اصطلاحاً إن اسم الغفور بمعنى سعة مغفرة الله فهو الذي يغفر الذنوب ويرحم العباد على ما فيهم، فلله – جلّ جلاله– كثير الستر على المذنبين من عباده فيغفر لهم إذا ما رجعوا منيبين إليه.(٥)

الغفور: العظيم الغفر لعباده الذين يرجعون إليه ويتوبون من ذنوبهم، ونلاحظ أن اسم (الغفور) سبحانه قد اقترن بأسماء أخرى له ﷻ.

---

(١) فقه الأسماء الحسنى للبدر، (ص ١٩٨)

(٢) مجموع الفتاوى (٦/ ٨٤)

(٣) فقه الأسماء الحسنى للبدر، (ص١٩٩) بتصرف يسير

(٤) الزاهر في معاني كلمات الناس، أبو بكر الأنباري، ٩٦.

(٥) انظر: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى – محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري القرطبي – ضبط نصه وشرح مادته اللغوية : د. محمد حسن جبل ، خرج أحاديثه وعلق عليه : طارق أحمد محمد.ط١، ١٤١٦هـ–١٩٩٦م الناشر دار التراث طنطا. (١/١٦٤–١٦٦) .

" فقد اقترن باسم (الرحيم) أربعاً وسبعين مرة، واقترانه به يفيد أنه –سبحانه – يغفر للمستغفرين والتائبين؛ لأنه واسع الرحمة فهو يغفر لمن تاب إليه وأناب رحمة منه لهذا العبد؛ لأنه لو لم يرحمه ويتداركه بمغفرته لهلك وخسر ودليله قوله تعالى:﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾الأعراف،وقوله:﴿ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾هود .

واقترن اسم (الغفور) كذلك باسم (الحليم) ست مرات، واقترانه يفيد أن الله –سبحانه– لا يعاجل بالعقوبة عبده الذي يعصيه، بل يمهله، فإن استمر على كفره وعناده أخذه أخذ عزيز مقتدر.

واقترن اسم (الغفور) كذلك باسم (الشكور) ثلاث مرات، واقترانه يفيد بأنه – سبحانه – يغفر لعباده الكثير من السيئات، ويشكر لهم اليسير من الحسنات، وهذا من أعظم الفضل وأوسع الرحمة لعباده، إنه ﷻ بهم رؤوف رحيم.

واقترن اسم (الغفور) باسم (العفوّ) أربع مرات، وقد أفاد أنه –سبحانه – يعفو كثيراً عما قصر فيه عباده من أوامره، وما ارتكبوه من المعاصي إذا رجعوا إليه وأنابوا، وتابوا مما وقعوا فيه، ويغفر لهم ذنوبهم حسبما قال تعالى:﴿ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾الزمر .

واقترن اسم (الغفور) كذلك باسم (العزيز) مرة واحدة، وذلك في قوله تعالى:﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ﴾الملك، وأفاد بأنه يستطيع أن ينتقم من العاصي آن عصيانه، فهو العزيز المنيع الجناب ﷻ، ومع ذلك هو– سبحانه– غفور لمن تاب إليه وأناب بعد أن عصاه وخالف أمره.

واقترن اسم (الغفور) باسم (الودود) مرة واحدة في قوله تعالى:﴿ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ﴾البروج .
ويفيد بأنه – جل وعلا– عظيم الغفر لمن تاب إليه وأناب، فيستر ذنوبهم ولا يفضحهم بها، كما أنه –سبحانه– ودود أي يحب عباده المؤمنين أبلغ المحبة؛ لإنابتهم إليه دائماً" [1].

وقال تعالى:﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي ۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ ﴾إبراهيم، فقد دعا إبراهيمعليه السلام ربه بدعوات، منها أن يجعل البلد الحرام بلداً آمناً، وأن يجنبه وذريته من صلبه من عبادة الأصنام فقد ضلت أناس كثر، فمن تبعه وصدقه فيما دعاه إليه من الإيمان الكامل

(١) مفهوم الأسماء والصفات سعد بن عبد الرحمن ندا، ٧٢، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

والتوحيد الخالص فإنه منه، ومستن بسنته وسائر على طريقته، ومن عصاه فإنك غفور رحيم- في غير الشرك الأكبر بالله- وقادر على أن تغفر له وترحمه بالتوبة عليه والهداية إلى الصراط المستقيم[١].

والتعقيب بهذه الفاصلة القرآنية[٢]باسمين من أسماء الله وهما: "الغفور" و"الرحيم"، وفي ذلك إشارة واضحة من إبراهيمﷺ بتفويض أمر الحساب لله الذي خلق الناس فهو أولى بهم يغفر لمن شاء ويرحم من يشاء، وهو أعلم بمن يستحق الرحمة ومن يستحق العقاب.

٥- الحكيم:

لغةً: قيل: "الحكيم ذو الحكمة، والحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم، ويقال لمن يُحسن دقائق الصناعات ويُتقنها: حكيم، وقال الجوهري: الحكم: الحكمة من العلم، والحكيم العالِم، وصاحب الحكمة، وقد حكم ككرم: صار حكيما، قال النَّمِر بن تَولب: (وأبغض بغيضك بغضاً رويداً... إذا حاولت أن تحكما)".[٣]"

وقد ورد اسم الحكيم في القران سبعا وتسعين مرة وذكر في سورة إبراهيم مرة واحدة، قال تعالى:﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٤ ﴾إبراهيم

اصطلاحاً: " الحكيم في توفيقه للإيمان من وفقه له وهدايته له من هداه إليه، وفي إضلاله من أضل عنه، وفي غير ذلك من تدبيره. وبنحو الذي قلنَا في ذلك قال أهل التأويل."[٤]

فمن لطف الله بعباده أنه كان يرسل لهم الرسول من أنفسهم لهدايتهم ولنشر دعوته فقد أفرد لنفسه الهداية والإضلال، وتقليب القلوب إلى ما شاء، فمن كمال حكمته أنه لا يضع هدايته ولا إضلاله إلا بالمحل اللائق به[٥].

---

(١) انظر: : التفسير الواضح، الحجازي،(٢/٢٦٥).

(٢) وقال الشيخ عبد الفتاح القاضي: "وسميت فاصلة لأنها فصلت بين الآيتين، والآية التي هي رأسها، والآية التي بعدها، ولعل هذه التسمية أخذت من قوله تبارك وتعالى: {كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ}.٢وقوله جلّ ذكره :{كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} مقال بعنوان "فواصل القرآن الكريم" للشيخ عبد الفتاح القاضي، مجلة الجامعة الإسلامية .العدد ٣٥- ٣-٦. السنة: ذو الحجة ١٣٩٦هـ.

(٣) النهج الاسمي للنجدي،(ص ١٣٧-١٣٨).

(٤) تفسير الطبري (١٦/ ٥١٧)

(٥) انظر: تفسير السعدي، (ص٢٤١).

تقديم العزيز على الحكيم قال ابن القيم مبيناً وجه ذلك: "تقدم العزيز على الحكيم؛ لأنه عز فلما عز حكم، وربما كان هذا من تقديم السبب على المسبب". [١]

"الحكيم في أفعاله فيضل من يستحق الإضلال ويهدي من هو أهل لذلك".[٢]

وقال ابن القيم في قوله تعالى:﴿فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾المائدة:، " أي مصدر ذلك وسببه وغايته صادر عن كمال قدرتك وكمال علمك؛ فإن العزة تمام القدرة والحكمة كمال العلم، وبهاتين الصفتين يقضي – سبحانه وتعالى– ما يشاء، ويأمر وينهي ويثبت ويعاقب، فهاتان الصفتان مصدر الخلق" [٣].

٦– الرب:

لغةً: "هو الله – تبارك وتعالى–، هو رب كل شيء، أي مالكه، وله الربوبية على جميع الخلق لا شريك له، ويقال: فلان رب هذا الشيء، أي ملكه له، ولا يقال الرب بالألف واللام، لغير الله، وهو رب الأرباب، ومالك الملوك والأملاك، وكل من ملك شيئاً فهو ربه.

﴿ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ﴾يوسف: ٤٢،أي عند ملكك، ويقال: هو رب الدابة، ورب الدار.

وقال الأصمعي: يقال: رَبّ فلانٌ نِحْيَه يَرُبّه رَبّاً، إذا جَعل فِيهِ الرُّبّ ومَتَّنه بِهِ.

قال ابن الأنباري: الرب: ينقسم على ثلاثة أقسام: يكون الرب: المالك؛ ويكون الرب: السيد المطاع، قال الله –تعالى –:﴿فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا﴾يوسف:٤١أي سيده، ويكون الرب: المصلح".[٤]

اصطلاحاً: وقد ذكر الطبري معاني عديدة لاسم الرب غير أنه أرجعها إلى ثلاث هي:

- السيد الذي لا شبه له، ولا مثل في سؤدده.
- المصلح أمر خلقه بما أسبغ عليهم من نعمه.
- المالك الذي له الخلق والأمر[٥].

الرب: هو المربي جميع عباده وذلك بالتدبير وإنعامه عليهم بأصناف النعم.

---

(١) بدائع الفوائد، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، تحقيق: علي بن محمد العمران، دار النشر : دار عالم الفوائد(٥٩/١).

(٢) تفسير القرآن العظيم لبن كثير(٤٧٧/٤).

(٣) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م، الناشر: دار المعرفة – المغرب، (ص ١٨٦)

(٤) تهذيب اللغة، الأزهري (ص ١٢٨.

(٥) انظر: تفسير الطبري،(١٤٢/١).

وأخص من هذا تربيته لأصفيائه، وذلك بإصلاح قلوبهم وأرواحهم وأخلاقهم، ولهذا كثر دعاؤهم له بهذا الاسم الجليل؛ لأنهم يطلبون منه هذه التربية الخاصة[1].

وذكر اسم الرب في القرآن تقريباً مائة وسبعين مرة ما بين صيغة رب، وربنا، وربي، وربكم، وربهم، وذكر في سورة إبراهيم ست عشرة مرة، وذكر اسم الرب في القرآن أكثر من غيره من الأسماء، وكذلك ورد في سورة إبراهيم من أكثر الأسماء، وما دل ذلك إلا على أنه هو المربي وهو السيد والمصلح لجميع أمورنا، ومن هذه الآيات قوله تعالى:﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾إبراهيم، وقوله تعالى:﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾ ﴾إبراهيم، وقوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٣٨﴾ ﴾إبراهيم. ومما يلاحظ كثرة تكرار الأدلة النبوية لإبراهيم أثناء المناجاة مع ربه ودعائه له سبحانه ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي ۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٣٨﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ ۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴿٤١﴾ ﴾إبراهيم، وهذا التركيز من إبراهيم عليه السلام على هذا الاسم دليل واضح على فضله وتميزه في الدعاء، والدعاء بالأسماء الكثيرة لما فيها من الاعتراف الراسخ بفضل الله عليه ومنه وكرمه وإحسانه، وبهذه الإشادة العظيمة بالرب-جل جلاله – يضمن إبراهيم عليه السلام الإجابة من الله تعالى لأسئلته عليه السلام، وفي ذلك إرشاد حكيم للموحدين جميعاً أن يدعو الله مخلصين وأن يكثروا من ذكر اسم الرب بصيغ عديدة.

٧- الشكور:

لغةً:"هو فعول من الشكر وأصل الشكر في الكلام الظهور ومنه يقال شكير النبت وشكر الضرع إذا امتلأ وامتلاؤه ظهوره، ويقال: دابة شكور وهو السريع السمن فسرعة سمنه ظهور أثر

---

(١) انظر: الثمر المجتنى،(ص ٨٨).

صاحبه عليه،... فكأن الشكر من الله تعالى هو إثابته الشاكر على شكره، فجعل ثوابه للشكر وقبوله للطاعة شكرا على طريقة المقابلة". [١]

اصطلاحاً الشكور: فهو اسم من أسماء الله الحسنى فالشكور والشاكر من أسماء الله الحسنى ، قال ابن القيم: "الله سبحانه شكور يحب الشاكرين"[٢].

ونص ابن القيم على أن الشكور من أسمائه في قوله: " الرؤوف الغفور الشكور الصبور الودود"[٣]، وقال أيضاً: "فأما تسميته سبحانه بالشكور فهو في حديث أبي هريرةﷺ في القرآن تسميته شاكراً ، وقال تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾﴾النساء، وتسميته أيضاً شكوراً قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾التغابن، وقال تعالى:﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾﴾الإنسان، والله يشكر عبده إذا أحسن طاعته، ويغفر له إذا تاب عليه، فيجمع للعبد بين شكره لإحسانه ومغفرته لإساءته إنه غفور شكور".[٤]

٨- العظيم:

لغةً"هو اسم من أسماء الله تعالى على وزن (فعيل) بصيغة المبالغة بما يدل على منتهى العظمة لله تعالى بحيث لا تعلوها عظمة مخلوق، وبهذا الاسم الكريم أثبت الله – جلّ جلاله– لنفسه العظمة المطلقة في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ، كما أن اسم العظيم قد تردد في القرآن الكريم ست مرات" [٥].

اصطلاحاً وقد ذكر ابن القيم (رحمه الله):" أن اسم الله العظيم وكذلك المجيد والصمد تدل على عدة صفات، وكل واحد من هذه الأسماء يتناول جميع تلك الصفات، وفي ذلك يقول في أسمائه الحسنى ما يكون دالاً على عدة صفات، ويكون ذلك الاسم متناولاً لجميعها تناول الاسم

---

(١) تفسير أسماء الله الحسنى – إبراهيم بن السري بن سهل أبو اسحاق الزجاج – المحقق احمد يوسف الدقاق – دار الثقافة العربية،(ص: ٤٧) .

(٢) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله،تحقيق : زكريا علي يوسف، الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت (ص٥٦) وشفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل،محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية ،ط١، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م الناشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان. (٧٢٠/٢) وطريق الهجرتين طريق الهجرتين وباب السعادتين، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله،تحقيق : عمر بن محمود أبو عمر،الطبعة الثانية ، ١٤١٤ – ١٩٩٤، الناشر : دار ابن القيم – الدمام. (ص٢٣٦) .

(٣) بدائع الفوائد لابن القيم (١٨/٣).

(٤) عدة الصابرين لابن القيم(ص٣١٠)نقلا عن شرح ابن القيم لأسماء الله الحسنى أ.د. عمر سليمان الأشقر دار النفائس للنشر والتوزيع – الأردن الطبعة الأولى ١٤٢٨-٢٠٠٨م.

(٥) مفهوم الأسماء والصفات، سعد بن عبد الرحمن ندى، (٤٧-٧٢).

الدال على الصفة الواحدة لها اسمه العظيم والمجيد والصمد"[١]، وذكر ابن القيم (رحمه الله) حال المصلي في ركوعه وتسبيحه باسمه العظيم فقال:"ثم يركع حانياً ظهره خضوعاً لعظمته تذللاً لعزته واستكانةً لجبروته مسبحاً له بذكر اسمه العظيم"[٢].

واسم العظيم المعظم في صفة الله –تعالى–يفيد عظم الشأن والسلطان، وليس المراد به وصفه بعظم الإجزاء لأن ذلك من صفات المخلوقين، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً[٣].

٩- الغني:

لغةً قال ابن فارس: "الْغَيْنُ وَالنُّونُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ أَصْلَانِ صَحِيحَانِ، أَحَدُهُمَا يَدُلُّ عَلَى الْكِفَايَةِ، وَالْآخَرُ صَوْتٌ. فَالْأَوَّلُ الْغِنَى فِي الْمَالِ. يُقَالُ: غَنِيَ يَغْنَى غِنًى وَالْغَنَاءُ بِفَتْحِ الْغَيْنِ مَعَ الْمَدِّ: الْكِفَايَةُ. يُقَالُ: لَا يُغْنِي فُلَانٌ غَنَاءَ فُلَانٍ، أَيْ لَا يَكْفِي كِفَايَتَهُ. وَغَنِيَ عَنْ كَذَا فَهُوَ غَانٍ. وَغَنِيَ الْقَوْمُ فِي دَارِهِمْ: أَقَامُوا، كَأَنَّهُمُ اسْتَغْنَوا بِهَا. وَمَغَانِيهِمْ: مَنَازِلُهُمْ.. " [٤]

اصطلاحاً "الغني الذي له الغنى التام المطلق من كل الوجوه لكماله وكمال صفاته التي لا يتطرق إليها نقص بوجه من الوجوه، ولا يمكن أن يكون إلا غنياً، فإن غناه من لوازم ذاته، كما لا يكون إلا محسناً، جواداً، براً، رحيماً، كريماً، والمخلوقات بأسرها لا تستغني عنه في حال من أحوالها، فهي مفتقرة إليه في إيجادها، وفي بقائها، وفي كل ما تحتاجه أو تضطر إليه، ومن سعة غناه أن خزائن السموات والأرض والرحمة بيده، وأن جوده على خلقه متواصل في جميع اللحظات والأوقات، وأن يده سحاء الليل والنهار، وخيره على الخلق مدرار، ومن كمال غناه وكرمه أنه يأمر عباده بدعائه، ويعدهم بإجابة دعواتهم وإسعافهم بجميع مراداتهم، ويؤتيهم من فضله ما سألوه وما لم يسألوه، ومن كمال غناه أنه لو اجتمع أول الخلق وآخرهم في صعيد واحد فسألوه، فأعطى كلاً منهم ما سأله وما بلغت أمانيه ما نقص من ملكه مثقال ذرة، ومن كمال غناه وسعة عطاياه ما يبسطه على أهل دار كرامته من النعيم واللذات المتتابعات، والخيرات المتواصلات، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ومن كمال غناه أنه لم يتخذ صاحبة، ولا ولداً، ولا شريكاً في الملك، ولا ولياً من الذل، فهو الغني الذي كمل بنعوته وأوصافه، المغني لجميع مخلوقاته[٥]".

---

(١) بدائع الفوائد لابن القيم(١٥٢/٢).

(٢) شفاء العليل لابن القيم (٦٣٠/٢)

(٣) انظر مفهوم الأسماء والصفات لسعد بن عبد الرحمن ندا ، (٧٢/٤٧) بترقيم الشاملة

(٤) مقاييس اللغة (٤/ ٣٩٧)

(٥) الثمر المجتنى للقحطاني ،(ص٢٧)، وانظر فقه الأسماء والصفات، لعبد الرزاق للبدر(ص٢١٧).

فالله الغني الذي له الغنى التام المطلق من كل الوجوه، "وهو المغني لجميع خلقه، غنى عاماً والمغني لخواص خلقه، بما أفاض على قلوبهم، من المعارف الربانية، والحقائق الإيمانية"[١].

فقد ذكرت كلمة الغني في سورة إبراهيم مرة واحدة، فقد قال تعالى:﴿ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكۡفُرُوٓاْ أَنتُمۡ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ٨ ﴾إبراهيم. فقد قال موسى –عليه السلام– لقومه: إن تكفروا أيها القوم فتجحدوا نعمة الله التي أنعمها عليكم، أنتم ومن يفعل مثل فعلكم في الأرض جميعاً، فالله غني عنكم وعنهم وعن جميع خلقه، فلا حاجة إليكم فهو الغني عن جميع خلقه، وهو الذي كمل في غناه[٢]، فلن تضروا الله شيئاً، فالطاعات لا تزيد في ملكه والمعاصي لا تنقصه، وهو كامل الغنى حميد في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، ليس له من الصفات إلا كل صفة حمد وكمال، ولا من الأسماء إلا كل اسم حسن، ولا من الأفعال إلا كل فعل جميل[٣].

والغني إشارة إلى أنه لم يحتج إلى حمدهم ولم يستفد منه؛ لأنه كامل في غناه، بل هم المستفيدون؛ لأنهم بكثرة حمده وتمجيده يظهرون كمال العبودية لله، فهو الغني الحميد سبحانه، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ١٥ ﴾فاطر ومن معاني الصمد في سورة الإخلاص الغني المطلق في غناه ، الذي تتوجه إليهكل المخلوقات في حاجاتها ومتطلباتها.

وللصمد ثلاثة معان:-

١- الذي لاجوف له.

٢- السيد الذي كَمُلَفي سؤدده، والغني الذي كمل في غناه ، والعظيم...إلخ.

٣-الذي تصمد إليه كل المخلوقات في حاجاتها...،وهذا معنى قوله تعالى﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ١٥ ﴾فاطر

١٠- الغفور:

لغةً: قال أبو بكر الأنباري في الزاهر: "الغفور معناه في كلامهم الساتر على عباده، المغطي ذنوبهم من قولهم: (غفرت المتاع في الوعاء غفرا إذ سترته فيه)،وإنما قيل للبيضة غفارة ومغفر لتغطيتها الرأس وسترها إياه".[٤]

اصطلاحاً الغفور: "هو اسم من أسماء الله تعالى على وزن (فَعُول) بصيغة المبالغة بما يدل على كثرة الغفر لذنوب العباد التائبين، وقد ورد في القرآن إحدى وتسعين مرة"[١]، منها ﴿ وَلِلَّهِ مَا

---

(١) تفسير السعدي، (٥/ ٦٢٩).

(٢) انظر: تفسير الطبري:(١٦/٢٥٨).

(٣) انظر: تفسير السعدي ،(١/٤٢٢).

(٤) الزاهر في معاني كلمات الناس – أبي بكر الأنباري (ص ٩٦)

﴿ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٢٩ ﴾ آل عمران، والغفار وردت في القرآن الكريم خمس مرات منها﴿ فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ١٠ ﴾ نوح (٢)

١١- الرحيم:

لغةً: "هو اسم الله مشتق من الرحمة وكذلك هو على وزن فعيل وهو من صيغ المبالغة، والرحمن يتضمن من صفة الرحمة التي تعمم كافة خلقه، رحيم لمن مات على التوبة"(٣).

اصطلاحاً: "فالرحيم خاص في رحمته لعباده المؤمنين بأن هداهم إلى الإيمان، وهو يثيبهم في الآخرة الثواب الدائم الذي لا ينقطع"(٤).

"والرحمن أنه خلقهم وأوسع عليهم في أرزاقهم فإنه أشد مبالغة من اسم الرحيم الذي يتضمن صفة الرحمة التي تعمّ عباده المؤمنين فحسبه أن هداهم للإيمان في الدنيا"(٥).

١٢- السميع:

لغة: اسم من أسماء الله وصفة من صفاته وهو الذي وسع سمعه كل شيء، ذو سمع بلا تكييف ولا تشبيه بالسميع من خلقه، ولا سمعه كسمع خلقه، ونحن نصفه بما وصف به نفسه بلا تحديد ولا تكييف(٦)،" وهو الذي لا يعزب عن إدراكه مسموع وإن خفي فهو يسمع بغيرجارحة- أي لا يحتاج سمعه إلى: أذنين، وطبلة لهما...إلخ كالمخلوق"(٧).

"فالسميع هو الذي أحاط سمعه بجميع المسموعات، فكل ما في العالم العلوي والسفلي من الأصوات يسمعها سرها وعلنها وكأنها لديه صوت واحد، لا تختلط عليه الأصوات، ولا تخفى عليه جميع اللغات، والقريب منها والبعيد، والسر والعلانية عنده سواء ﴿ سَوَآءٞ مِّنكُم مَّنۡ أَسَرَّ ٱلۡقَوۡلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنۡ هُوَ مُسۡتَخۡفِۭ بِٱلَّيۡلِ وَسَارِبُۢ بِٱلنَّهَارِ ١٠ ﴾ الرعد(٨)".

---

(١) مفهوم الأسماء والصفات – سعد بن عبد الرحمن ندى (٤٦/ ٧٢)بترقيم الشاملة.

(٢) المنهاج الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى ،لزين محمد شحاته(٢/٧٦٠)

(٣) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس الفيروز آبادي، الناشر دار الكتب العلمية لبنان. (١/٢١٤)

(٤) تفسير أسماء الله الحسنى ،للزجاج (١/٢٨) .

(٥) مفهوم الأسماء والصفات – سعد بن عبد الرحمن ندى(٤٥/٩٤)

(٦) انظر: تهذيب اللغة، الأزهري،(٢/٤٧)، أيضاً: شمس العلوم ، نشوان بن سعيد الحميرى اليمني، تحقيق: حسين بن عبد الله العمري وآخرين، ط١، دار: الفكر المعاصر- بيروت – لبنان،١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م(٥/٣٢٠٠).

(٧) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، (٢/٢٠٤).

(٨) الثمر المجتنى،(ص١٤).

فهو يسمع البشرية كلها لو تكلمت مجتمعة، كما يسمع أحدنا الواحد لو تكلم، وهذا معنى قولهم: وسع سمعه الأسماع كلها، وهذا الكمال المطلق لا يكون إلا لله وحده.

فقد ذكر اسم السميع مرة واحدة من خلال سورة إبراهيم، فقد قال تعالى:﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ ﴾إبراهيم.

فإبراهيم عليه السلام حمد الله عز وجل الذي رزقه على كبر من السن إسماعيل وإسحاق بأنه سميع الدعاء؛ فقد سمع دعاءه بالولد [1].

ومما يستفاد من هذه الآية لكريمة استحباب الإشادة بالله والتعظيم مع التذلل والمسكنة، وذلك من خلال ذكر بعضٍ من أسماء الله الحسنى مثل السميع، وخصوصاً عندما يدعوه بيقين وبعظمة بقوله :﴿ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ ﴾إبراهيم، فمن عظيم سمعك لدعائي استجب لي فأنت أعلم بحالي وتسمع ندائي، إن ربي لسميع الدعاء .

١٣ – الواحد

لغةً: هو اسم من أسماء الله الحسنى وهو الفرد الذي لا شبيه له ولا نظير، فهو المُنفرِد بوحدانيَّته في ذاته وصفاته "الله –الواحد الأحد–﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ﴾الإخلاص[2].

اصطلاحاً" الواحد الأحد هو الذي توحّد بجميع الكمالات، وتفرّد بكل كمال، ومجد وجلال، وجمال، وحمد، وحكمة، ورحمة، وغيرها من صفات الكمال؛ فليس له فيها مثيل ولا نظير، ولا مناسب بوجه من الوجوه فهو الأحد في حياته، وقيوميته، وعلمه، وقدرته، وعظمته، وجلاله، وجماله، وحمده، وحكمته، ورحمته، وغيرها من صفاته، موصوف بغاية الكمال، ونهايته من كل صفة من هذه الصفات، فيجب على العبيد توحيده، عقداً، وقولاً، وعملاً، بأن يعترفوا بكماله المطلق، وتفرده بالوحدانية، ويفردوه بأنواع العبادة"[3].

وذكر اسم الواحد في القرآن ثلاثين مرة، وورد في سورة إبراهيم مرة واحدة في قوله –تعالى–: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ ﴾إبراهيم، يوم تبدل السماوات غير السموات والأرض غير الأرض وظهروا لله المنفرد بالربوبية، الذي يقهر كل شيء فيغلبه ويصرفه لما يشاء كيف يشاء، فيحيي خلقه إذا شاء، ويميتهم إذا شاء، لا يغلبه شيء، ولا يقهره من قبورهم

---

(١) انظر: تفسير الطبري، (٢٧/١٧).

(٢) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر،، ط١، ٢٠٠٨، م دار عالم الكتب(٦٧/١).

(٣) بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار، أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن حمد آل سعدي، تحقيق: عبد الكريم بن رسمي الدريني،، ط١، دار النشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م،(ص٢٠١).أيضاً: الثمر، (ص٩٣).

أحياء لموقف القيامة[١]، وهو المتفرد بعظمته وأسمائه وصفاته وأفعاله العظيمة، وقهره لكل العوالم فكلها تحت تصرفه وتدبيره، فلا يتحرك منها متحرك، ولا يسكن ساكن إلا بإذنه[٢].

فقد أرسل الله الرسل من أجل ذلك التوحيد، وأنزل الكتب وانقسم الناس إلى مؤمن وكافر، ولأجل ذلك خلقت السماوات والأرض، ولأجلها فرض الجهاد وأقيمت الجنة والنار.

١٤ – القهار

لغةً: "القاهر والقهار: من صفاته –تعالى–، قهر خلقه بسلطانه وقدرته، وصرفهم على ما أراد طوعاً وكرهاً، وقال ابن الأثير: القاهر: هو الغالب جميع الخلق، وأقهر الرجل: صار أصحابه مقهورين أذلاء[٣]".

اصطلاحاً: هو الذي قهر جميع الكائنات، وذلت له جميع المخلوقات، ودانت لقدرته ومشيئته مواد العالم العلوي والسفلي وعناصرهما، فلا يحدث حادث ولا يسكن ساكن إلا بإذنه، وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وجميع الخلق فقراء إلى الله عاجزون، لا يملكون لأنفسهم نفعاً، ولا ضراً، ولا خيراً ولا شراً، وقهره مستلزم: لحياته، وعزته، وقدرته، فلا يتم قهره للخليقة إلا بتمام حياته وقوة عزته واقتداره؛ إذ لولا هذه الأوصاف لا يتم له قهر ولا سلطان[٤].

وقد ذكر اسم القهار في سورة إبراهيم مرة واحدة، قال تعالى:﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ ﴾إبراهيم

"وقد ورد اسم الله القهار في ستة مواضع من القرآن مضموماً في جميعها إلى اسمي: الله، الواحد"[٥]

قال ابن القيم (رحمه الله): "فلا يكون القهار إلا واحداً؛ إذ لو كان معه كفؤ له فإن لم يقهره لم يكن قهارا على الإطلاق، وإن قهره لم يكن كفؤاً وكان القهار واحداً".[٦]

قد أخبر الله تعالى عن وقت انتقامه من أعدائه، وهو اليوم الذي تبدّل فيه الأرض غير الأرض، فتصبح على غير الصفة المألوفة، وتبدل السماوات غير السماوات، أما الأرض الحالية فتصبح كالدخان المنتشر، وأما السماوات فتتبدّد وتزول كواكبها وشمسها وقمرها، وتسقط

---

(١) انظر: تفسير الطبري،(٥٢/١٧).

(٢) انظر: تفسير السعدي، (٤٢٨/١).

(٣) تاج العروس من جواهر القاموس، للزبيدي، (٤٦٩/١٣).

(٤) انظر: الثمر المجتنى،(ص٥٧).

(٥) فقه الأسماء والصفات، لعبد الرازق البدر،(ص٢٥٤)

(٦) الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة ، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، تحقيق: د. علي بن محمد الدخيل الله الطبعة الثالثة ، ١٤١٨ – ١٩٩٨، الناشر : دار العاصمة الرياض(٣/ ١٠٣٢).

وتتلاشى. وفي ذلك اليوم يبرز الناس في فضاء واحد، وتخرج الخلائق جميعها من القبور، انتظاراً لحكم الله الواحد، الذي قهر كل شيء وغلبه، كما في آية أخرى:﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ١٦﴾غافر، وذلك تهويل وتخويف، ولما وصف الله تعالى ذاته بكونه قهارا، وصف عجز الناس أمامه(١).

وختم هذه الآية بهذه الفاصلة "الواحد القهار"؛ إشارة إلى أن الله في ذلك اليوم العظيم والخلائق ماثلة بين يديه قد قهر كل شيء وغلبه فالكل عاجز وهو غالب، والكل مائل وهو المتفرد بالعزة والهيمنة والغلبة والعظمة، جل في وحدانيته وقهر كل شيء سبحانه الواحد القهار .

(١) انظر: التفسير الوسيط ، وهبة بن مصطفى الزحيلي، ط١، دار الفكر – دمشق، ١٤٢٢ هـ.،(٢/ ١٢٠٨).

المبحث الثالث

نواقض أنواع التوحيد

كان الناس في عهد آدم عليه السلام على التوحيد الخالص الذي لا يشوبه شائبة، لكن إبليس لم يترك الناس حتى أدخل عليهم ما يفسد دينهم ودنياهم، فأدخل لهم في عقائدهم ما يفسد توحيدهم.

إن التوحيد أصل ثابت في ميزان هذا الدين، وبناء على ذلك لا بد من التعرف إلى نواقض التوحيد: وهي الأمور التي إذا وجدت عند العبد خرج من دين الله بالكلية، وأصبح بسببها كافراً أو مرتداً عن دين الإسلام، وهي كثيرة، تجمع في الشك الأكبر، والكفر الأكبر، والنفاق الأكبر "الاعتقادي". (١)

ومن خلال هذا المبحث سأبين نواقض أنواع التوحيد مع الأمثلة.

المطلب الأول- نواقض توحيد الألوهية

فتوحيد الألوهية: هو إفراد الله تعالى بأفعال العباد، أي: إفراده ﷻ بالعبادة والخضوع والطاعة المطلقة، وأن لا يشرك به أحد كائناً من كان، ولا يصرف شيء من العبادة لغيره تعالى. أي: أن الله تعالى وحده هو المعبود بحق، وأن ما سواه من المعبودات كلها باطل لا تستحق أي شيء من العبادة .

فمن اعتقد غير هذا، أو قال قولاً، أو فعل فعلاً، هذا المعنى، أو أنكر حق الله تعالى في ألوهيته، أو انتقص شيئاً منه، أو صرف شيئاً منه لغيره؛ فقد كفر، وارتد عن الإسلام .

وأكثر الأمم السابقة، وأكثر الناس في الإسلام وقعوا في الشرك أو الكفر في توحيد الألوهية؛ لأنهم لم يكونوا ينكرون ربوبية الله تعالى، بل أقروا بأن الله تعالى هو الرب الخالق الرازق المحيي المميت، ولكنهم صرفوا شيئاً من العبادة لغيره تعالى، فجعلهم الله في عداد

---

(١) انظر تسهيل العقيدة الإسلامية، عبد الله بن عبد العزيز بن حمادة الجبرين، الطبعة الثانية، دار العصيمي للنشر والتوزيع (ص ١٤٩).

الكافرين بإشراكهم غيره في العبادة. وعبادة الله تعالى وحده لا شريك له، هي غاية الخالق –جل جلاله– من خلق عباده، ولذلك هي موضوع الامتحان للعبادة في الدنيا(١).

قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ الذاريات، فكل اعتقاد، أو قول، أو عمل؛ يتضمن مخالفة توحيد الألوهية يخرج صاحبه من الإسلام. قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا ﴾ البقرة: ١٦٥، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ البقرة

وقال تعالى: ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ﴾ يوسف: ٤٠

ومن الأمثلة على نواقض توحيد الألوهية:

– عبادة أحد مع الله أو دون الله، أو يدعو مع الله تعالى، وأن يستغاث بغيره سبحانه، في جلب خير، أو دفع ضر، أو يتوكل عليه، أو يستعاذ به، أو يخاف منه، أو يرجى ، أو يخضع، أو يتقرب إليه بأي نوع من أنواع العبادات، أو يطاع الطاعة المطلقة، أو يحب كحب الله تبارك وتعالى، أو يعظم كتعظيم الله تعالى؛ سواء كان هذا المعظم أو المدعو ملكاً، أو نبياً، أو ولياً، أو قبراً، أو حجراً، أو شجراً.

– الركوع، والسجود، والصوم، والطواف والذبح والنذر، والخشوع لغير الله تعالى.

– الطاعة والانقياد لغير الله تعالى، وامتثال أوامره واجتناب نواهيه.

– الاعتقاد بأن لشخص حق تشريع ما لم يأذن به الله تعالى، من التحليل والتحريم وسن القوانين.

– الاعتقاد بأن شرع الله تعالى لا يصلح في هذا الزمان.

– فيكفر من أتى شيئاً من هذه النواقض، أو رضي بها، أو عمل بعضها، وإلى غير ذلك من النواقض التي تخص توحيد العبادة.(٢)

---

(١)انظر الإيمان حقيقيه، خوارمه، للأثري، (ص٢٨٨–٢٨٩).

(٢)انظر الإيمان حقيقة، خوارمه، للأثري، (ص٢٩٠).

" واعلم أن سر العبودية، وغايتها وحكمتها إنما يطلع عليها من عرف معنى الإلهية وحقيقتها، ومعنى كونه إلهاً بل هو الإله الحق وما سواه باطل، بل أبطل الباطل، وأن حقيقة الإلهية لا تنبغي إلا له وأن العبادة موجب إلهيته وأثرها ومقتضاها، وارتباطها متعلق الصفات بالصفات، وكارتباط المعلوم بالعلم، والمقدور بالقدرة، والأصوات بالسمع، والإحسان بالرحمة، والعطاء بالجود. فمن أنكر حقيقة الإلهية ولم يعرفها كيف يستقيم له معرفة حكمة العبادة وغاياتها ومقاصدها وما شرعت لأجله؟ كيف يستقيم له العلم بأنها هي الغاية المقصودة بالخلق، والتي لها خلقوا، ولها أرسلت الرسل، وأنزلت الكتب، ولأجله خلقت الجنة والنار؟" (١)

المطلب الثاني– نواقض توحيد الربوبية

فكل اعتقاد أو قول أو فعل فيه إنكار لخصائص ربوبية الله تعالى، أو بعضها، كفر أوردة فمن ادعا شيء من هذه الخصائص، كادعاء الربوبية، كما قال فرعون: ﴿ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ ﴾ النازعات، أو ادعاء الملك، أو الرزق، أو التصرف من دون الله تعالى ، وغيرها من الأمور التي هي من أفعال الله تعالى وخصائصه، وكذلك يكفر من يصدق بهذه الدعوى، ومن الأمثلة على ذلك:

–الاعتقاد بأن لله تعالى شريكاً في الخلق والرزق والإحياء والإماتة والتدبير.

–الاعتقاد بأن الأولياء لهم تصرف في الكون مع الله تعالى.

–اعتقاد تأثير غير الله –تعالى– وتصرفه من الأبراج والكواكب ومساراتها ومواقعها على حياة الناس.

–الاعتقاد بأن المخلوق يمكنه أن يرزق المخلوق أو يمنع عن الرزق، أو يمكنه أن يضر، أو ينفع من دون الله تعالى.

–الاعتقاد بأن أحداً دون الله تعالى يعلم الغيب.

–اعتقاد حلول الله تعالى في خلقه.

– الاعتقاد بأن الشفاء من الطبيب أو الدواء، أو اعتقاد التوفيق في حياة العبد من ذكائه، أو جهده واجتهاده.

---

(١) مدراج السالكين لابن القيم(١/ ١١٨).

-الاعتقاد بأن للمخلوق حقاً في سن القوانين وتشريعها، وهي تلك النظم التي تحكم في أموال الناس وأعراضهم. وغيرها من الاعتقادات التي تناقض الإيمان وتبطله.[1]

وهو توحيد الربوبية، كالإقرار بأن خالق كل شيء، وأنه ليس للعالم صانعان متكافئان في الصفات والأفعال، وهذا التوحيد حق لا ريب فيه، وهذا التوحيد لم يذهب إلى نقيضه طائفة معروفة من بني آدم، بل القلوب مفطورة على الإقرار بغيره من الموجودات، كما قالت الرسل فيما حكى الله عنهم:﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾إبراهيم: ١٠، وأشهر من عرف تجاهله وتظاهره بإنكار الصانع فرعون، وقد كان مستيقناً به في الباطن.[2]كما قال له موسى : ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾الإسراء: ١٠٢، وقال تعالى عنه وعن قومه:﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّاۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ ﴾النمل.

المطلب الثالث- نواقض توحيد الأسماء والصفات.

لقد أثبت الله تعالى لنفسه في كتابه وعلى لسان نبيه ﷺصفات وأسماء، ونفى-سبحانه- كذلك عن نفسه صفات، فمن انتقص شيئاً مما أثبت لله تعالى شيئاً مما نفاه عن نفسه، فقد نقض توحيد الأسماء والصفات.

ومن الأمثلة على ذلك:

١- إنكار أسماء الله أو صفاته أو جحدها ، أو بعض أسمائه، أو صفاته، أو إثبات صفات لله -تعالى - نفاها الله عن نفسه.

٢- الإلحاد في أسماء الله وصفاته، أو نفيها، أو جحد معانيها، أو تحريفها عن الصواب أو إخراجها عن الحق المراد بالتأويلات الباطلة، أو تعطيل الله - سبحانه وتعالى- عن صفات كماله، ونعوت جلاله الثابتة في الكتاب والسنة.

---

(١)انظر الإيمان حقيقة، خوارمه، للأثري (ص ٢٨٥- ٢٨٦).

(٢)انظر شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي، ، (١/٢٦- ٢٧).

٣- تشبيه صفات الله ﷻبصفات خلقه، أو وصفه تعالى بصفة يجب تنزيهه عنها، مثل: أن يزعم أن الله -تعالى- شريكاً، أو ولداً، أو يصفه -سبحانه- بالنوم، أو السنة، أو الغفلة... إلى غير ذلك من صفات النقص التي تعتري ابن آدم.(١)

فتوحيد الأسماء والصفات له ضدان هما: التعطيل، والتمثيل، ولذلك ذم أئمة السلف المعطلة النفاة للصفات، وذموا المشبهة أيضاً.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "إن السلف والأئمة كثر كلامهم في ذم الجهمية ... لأن مرض التعطيل أعظم من مرض التشبيه "(٢)

وتقوم عقيدة أهل التمثيل على دعواهم أن الله -ﷻ- لا يخاطبنا إلا بما نعقل، فإذا أخبرنا عن اليد فنحن لا نعقل إلا هذه اليد الجارحة، فشبهوا صفات الخالق بصفات المخلوقين، فقالوا: له يد كيدي، تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا. لكن المشبهة لا يمثلون الخالق بالمخلوق من كلّ وجه وإنما قالوا بإثبات التماثل من وجه والاختلاف من وجه.(٣)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "مع أن مقالة المشبهة الذين يقولون: يد كيدي، وقدم كقدمي، وبصر كبصري مقالة معروفة، وقد ذكرها الأئمة كيزيد بن هارون، وأحمد بن حنبل، وإسحاق ابن راهويه، وغيرهم، وأنكروها وذموها، ونسبوها إلى مثل داود الجواربي البصري وأمثاله، ولكن مع هذا صاحب هذه المقالة لا يمثل بكل شيء من الأجسام، بل ببعضها، ولابد مع ذلك أن يثبتوا التماثل من وجه والاختلاف من وجه، لكن إذا أثبتوا من التمثيل ما يختص بمخلوقين كانوا مبطلين عل كل حال"(٤) .

---

(١)انظر الإيمان حقيقته، خوارمه، للأثري، (ص ٢٨٧).

(٢)درء تعارض العقل والنقل (١/ ٢٤٩).

(٣)انظر العرش، الذهبي، (١/١٢٦).

(٤)درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية،(٢/ ٢٥٠).

المبحث الرابع

أثر التوحيد على الفرد والمجتمع في ضوء سورة إبراهيم

لقد عاش الناس في عهد إبراهيمﷺ في مجتمع انتشرت فيه الوثنية وعبادة الأصنام، وكان إبراهيم ﷺ على الفطرة التي دعته إلى أن يبحث عن الحقيقة التي غفل الناس عنها وهي عقيدة التوحيد التي هي أساس الإسلام وعنوانه، وموضوعه، وقاعدته العظيمة التي تقوم عليها سائر التشريعات والأحكام والمناهج والأفكار، وهي تعني الإيمان الكامل بربوبية الله وألوهيته بجميع معانيها التي هي حق الله– تعالى– ولا يستحق غيره ذرة منها.

فهذه العقيدة إذا ما رسخت معانيها في نفس الفرد كان لها تأثير بالغ عليه، وعلى المجتمع إذا قام عليها وشاعت فيه وحكمت فيه بمختلف جوانبه وشؤونه، وكذلك لمعرفة أثر التوحيد على الفرد في صلاحه في ضوء سورة إبراهيم حتى تحقق أنفع الآثار في الحياة؛ ومن خلال هذا المبحث سنبين أثر التوحيد على الفرد والمجتمع.

أولاً: أثر التوحيد على الفرد:

الناظر في سورة إبراهيم ﷺ يجد أثر التوحيد على الفرد من خلال آياتها وكيف قامت السورة بتعديل سلوك من عَبَدَ غير الله، وأرشدته إلى عقيدة التوحيد كما وضحت السورة هذه الأساليب.

يقول ابن قيم الجوزية (رحمه الله): " فَعلم العَبْد بتفرد الرب تَعَالَى بالضر والنفع وَالعطَاء وَالْمَنْع والخلق والرزق والإحياء والإماتة يُثمر لَهُ عبودية التَّوَكُّل عَلَيْهِ بَاطِنا ولوازم التَّوَكُّل وثمراته ظَاهرا وَعلمه بسمعه تَعَالَى وبصره وَعلمه وَأَنه لَا يخفى عَلَيْهِ مِثْقَال ذرة فِي السَّمَوَات وَلَا فِي الأَرْض وَأَنه يعلم السِّرّ وأخفى وَيعلم خَائِنَة الْأَعْيُن وَمَا تخفى الصُّدُور يُثمر لَهُ حفظ لِسَانه وجوارحه وخطرات قلبه عَن كل مَالا يرضى الله وَأَن يَجْعَل تعلق هَذِه الْأَعْضَاء بِمَا يُحِبهُ الله ويرضاه فيثمر لَهُ ذَلِك الْحيَاء بَاطِنا ويثمر لَهُ الْحيَاء اجْتِنَاب الْمُحرمَات والقبائح ومعرفته بغناه وجوده وَكَرمه وبره وإحسانه وَرَحمته توجب لَهُ سَعَة الرَّجَاء وتثمر لَهُ ذَلِك من أَنْوَاع الْعُبُودِيَّة الظَّاهِرَة والباطنة بِحَسب مَعْرفَته وَعلمه وَكَذَلِكَ مَعْرفَته بِجلَال الله وعظمته وعزه تثمر لَهُ الخضوع

والاستكانة والمحبة وتثمر لَهُ تِلْكَ الْأَحْوَال الْبَاطِنَة أنواعا من الْعُبُودِيَّة الظَّاهِرَة هِيَ موجباتها وَكَذَلِكَ علمه بِكَمَالِهِ وجماله وَصِفَاته العلى يُوجب لَهُ محبَّة خَاصَّة بِمَنْزِلَة أَنْوَاع الْعُبُودِيَّة فَرَجَعت الْعُبُودِيَّة كلهَا إِلَى مُقْتَضى الْأَسْمَاء وَالصِّفَات وارتبطت بهَا ارتباط الْخلق بهَا فخلقه سُبْحَانَهُ وَأمره هُوَ مُوجب أَسْمَائِهِ وَصِفَاته فِي الْعَالم وآثارها ومقتضاها لِأَنَّهُ لَا يتزين من عباده بطاعتهم وَلَا تشينه معصيتهم".(١)

"ومن المعلوم أن سلوك الإنسان وتصرفاته في الحياة مظهر من مظاهر عقيدته، فإذا صلحت صلح السلوك واستقام، وإذا فسد تفسد السلوك واعوج، ومن هنا كان لعقيدة التوحيد ضرورة لا يستغني عنها الإنسان ليستكمل شخصيته ويحقق إنسانيته، وإذا سيطرت هذه العقيدة أثمرت الفضائل الإنسانية العليا من الشجاعة والكرم والسماحة والطمأنينة والإيثار والتضحية. (٢)

فالتوحيد الخالص من شوائب الشرك إذا تحقق في حياة الفرد أو قامت عليه حياة الأمة أتى أينع الثمرات. وحقق أنفع الآثار في الحياة". (٣)

ومن خلال ذلك يظهر لنا آثار التوحيد على الفرد من خلال سورة إبراهيم فيما يلي:

١- إن التوحيد يدفع النفس إلى الأعمال الصالحة ويفرضها عليه- أي السبب الذي يدفع المؤمن إلى الأعمال الصالحة- والإكثار منها حتى يتقرب إلى الله بها، ويؤكد هذا قوله تعالى﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ﴾ إبراهيم: ٢٤ – ٢٧

قال ابن القيم في الفوائد: " وَالْإِخْلَاص والتوحيد شَجَرَة فِي الْقلب فروعها الْأَعْمَال وَثَمَرهَا طيب الْحَيَاة فِي الدُّنْيَا وَالنَّعِيم الْمُقِيم فِي الْآخِرَة وكما أَن ثمار الْجنَّة لَا مَقْطُوعَة وَلَا مَمْنُوعَة فثمرة التَّوْحِيد وَالْإِخْلَاص فِي الدُّنْيَا كَذَلِك والشرك وَالْكذب والرياء شَجَرَة فِي الْقلب ثَمَرهَا فِي لدُنْيَا

(١) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة لابن القيم،(٢/ ٩٠)

(٢) منهج القرآن في إصلاح المجتمع لمحمد السيد يوسف، ط٣ ، ٢٠٠٧م، الناشر دار السلام (٣٤٢- ٣٤٣).

(٣) حقيقة التوحيد للقرضاوي،ط١ ،٢٠٠١،(ص ٧٨).

وَالْخَوْف والهم وَالْغَم وضيق الصَّدْر وظلمة الْقلب وَثَمَرهَا فِي الْآخِرَة الزقّوم وَالْعَذَاب الْمُقِيم وَقد ذكر الله هَاتين الشجرتين فِي سُورَة إبراهيم".(١)

٢- إخراج الناس من الظلمات إلى النور وذلك بإذن الله لقوله- تعالى-:﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ١ ﴾إبراهيم.

وقد بين الطبري(رحمه الله)كيف يخرج الناس من الظلمات إلى النور فقال:" لتهديهم به من ظلمات الضلالة والكفرِ، إلى نور الإيمان وضيائه، وتُبصِّر به أهلَ الجهل والعمَى سُبُل الرَّشاد والهُدَى".(٢)

٣- المؤمن يقدم الآخرة على الدنيا ويزهد فيها على عكس الكافر الذي يقدم الدنيا على الآخرة، فيصد الناس عن ذكر الله بتقديمه الحياة الدنيا على الآخرة، فهم يؤثرون الدنيا على الآخرة ويعلمون أن الدنيا ومتاعها زائل، ونسوا الآخرة وأنهم سيحاسبون على أعمالهم، وهذا ما أكده اللهﷻ بقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ يَسۡتَحِبُّونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٖ ٣ ﴾إبراهيم.

٤- الحصول على الخير والزيادة فيه لا تكون إلا من خلال الراحة والطمأنينة والتي يكون من خلالها امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه؛ لأن صاحب العقيدة الصحيحة على يقين أنه إذا شكر الله على نعمه، فإنه سيزيدها، وإن جحدها وأنكرها فسيسلبها الله عنه، عقاباً من الله له بسبب جحوده للنعمة وكفرانها، قال تعالى: ﴿ وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ ٧ ﴾إبراهيم. أي "واذكروا إذ تأذن ربكم يا بنى إسرائيل وأذن لكم إذنا لا شك فيه ولا غموض لئن شكرتم لأزيدنكم من النعم إذ الشكر من دواعي الزيادة واستمرار النعم، ولئن كفرتم وجحدتم ولم تقوموا بالواجب عليكم إن عذابي بحرمانكم منها لشديد" (٣)

---

(١)الفوائد لابن القيم، (ص: ١٨٠)

(٢) تفسير الطبري (١٦/ ٥٠٩)

(٣)التفسير الواضح (٢/ ٢٤٨)

٥- التوحيد يجعل الإنسان يصبر على المصائب ويتوكل على الله؛ لأنه يعلم أن الله- ﷻ-هو الذي يهيئ للإنسان السبل فما عليه إلا أن يكون صادقاً في توكله على الله،؛ لقوله تعالى:﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾إبراهيم، وقد فسر القرطبي هذا فقال: " أي شي لَنَا فِي تَرْكِ التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ. ﴿وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا ﴾ أَيِ الطَّرِيقَ الَّذِي يُوَصِّلُ إِلَى رحمته، وينجي من سخطه ونقمته. ﴿وَلَنَصْبِرَنَّ ﴾ لَامُ قَسَمٍ، مَجَازُهُ: وَاللَّهِ لَنَصْبِرَنَّ ﴿عَلَى مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ﴾ بِهِ، أَيْ مِنَ الْإِهَانَةِ وَالضَّرْبِ، وَالتَّكْذِيبِ وَالْقَتْلِ، ثِقَةً بِاللَّهِ أَنَّهُ يَكْفِينَا وَيُثِيبُنَا".(١)

٦- رجل العقيدة الصحيحة لديه سعة نظر ووضوح الهدف، فلا يتبع إلا ما أمره الله به، بخلاف الكافر الذي لا يعلم من الأمر شيئاً سوى موالاته لملة أهل الكفر؛ لاعتقاده بأنهم مغنوه من العذاب؛ فيتبين له حينئذ الحق من الباطل، فالحق ما جاء به الرسل من الهداية؛ لقوله – تعالى- في وصفه لهم:﴿ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ قَالُوا۟ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ ۖ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾ ﴾إبراهيم، وهم على يقين أنهم على الحق، وأن الله جامعهم فمكان ليس فيه شيء يستر أحد، وسيفوز من آمن أن الله وحده لا شريك له ووافق الرسل بما جاءوا به تاب واستغفر؛ كيف لا وأن من طبيعة البشر الخطأ والنسيان. لهذا قال:﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ ﴾ إبراهيم.

٧- التوحيد سبب الخلود في الجنة والحصول على المبتغى المطلوب لكل مرء ألا وهو الفوز بالجنة والنجاة من النار، فيطمئن ويهدأ باله ولا تكون الطمأنينة إلا في دخول الجنة لقوله: ﴿ وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ۖ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾ ﴾إبراهيم. وهذا لمن عمل الصالحات بينه وبين ربه من جنات بساتينها وأنهارها وأشجارها ومساكنها، أما من عمل غير ذلك من الكافرين فهم يأخذون ما وعدهم الله من الجحيم قال تعالى: ﴿ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ ﴾إبراهيم،

(١) تفسير القرطبي (٩/ ٣٤٨)

فالمؤمنون مقيمون في الجنة بأمر ربهم، ومن كرامات الله لهم في الجنة أن جعل كلاً منهم يسلم على بعضهم بعضاً إذا تلاقوا.(١)

٨- المداومة على امتثال جميع ما أمر الله به والابتعاد عما نهى عنه لقوله: ﴿ قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾ ﴾ ابراهيم، "فإقامة الصلاة تكون بالْحَفاَظَ عَلَى وَقْتِهَا، وَرُكُوعِهَا وَخُشُوعِهَا وَسُجُودِهَا، والإنفاق من العبد المؤمن يكون مِمَّا رَزَقَه الله فِي السِّرِّ، وَالْعَلَن لْيقينه أن هُنَالِكَ عند الله الْعَدْلُ وَالْقِسْطُ.(٢)

٩- استشعار مراقبة الله له في كل وقت، مما يؤدي إلي الطمأنينة وراحة البال، فيستريح الفكر والوجدان من غير قلق؛ لاستسلامه لأمر الله لقوله -تعالي-:﴿ ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ﴾ ابراهيم.

(١) انظر تنوير المقباس (ص: ٢١٣) بتصرف

(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ٥١٠)

ثانياً- أثر التوحيد في صلاح المجتمع في ضوء سورة إبراهيم.

أصلح التوحيد المجتمعات الإنسانية، فهو أخرجهم من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد؛ فبالتوحيد يصل المرء إلى مبتغاه في الدنيا وأعلى الدرجات في الآخرة، وبتأثير التوحيد يظهر صلاح المجتمع من وجوه منها :

١- صلاح أفراده، فإذا صلح أفراد المجتمع بعقيدة التوحيد صلح المجتمع بطبيعة الحال.

٢- تحقيق العدل والمساواة في المجتمع؛ لأن أمة الإسلام أمة واحدة يستوي جميع الناس في ظلالها حاكمهم ومحكومهم، فالعقيدة الصحيحة تؤثر في الفرد الذي هو أساس صلاح المجتمع، ودليله قوله -تعالي-:﴿ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ ﴾ إبراهيم.

٣- يقوم المجتمع على عبادة الله وترك ما سواه ،فإذا قام المجتمع على خلق التوحيد صلح أمره؛ لقوله:﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾ إبراهيم، "وأن هذا القرآن بلاغ للناس كقوله: ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ الأنعام: ١٩، كمَا قَالَ فِي أَوَّلِ السُّورَةِ: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾ ﴾ إبراهيم، ﴿وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ﴾ أَيْ: لِيَتَّعِظُوا بِهِ، ﴿وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾أَيْ: يَسْتَدِلُّوا بِمَا فِيهِ مِنَ الْحُجَجِ وَالدَّلَالَاتِ عَلَى أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴿وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ أَيْ: ذَوُو الْعُقُولِ".(١)

٤-التوحيد سبب الأمن والأمان في المجتمع؛ لقوله -تبارك وتعالى-:﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ الأنعام.

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٥٢٣)

الفصل الثاني:

النبوات في سورة إبراهيم

وفيه ثلاثة مباحث:-

المبحث الأول- الأنبياء المذكورين في السورة.

المبحث الثاني- فضائل الأنبياء وصفاتهم في ضوء السورة.

المبحث الثالث- قصص الأقوام السابقين مع أنبيائهم في ضوء السورة والعبر المستفادة منها.

تمهيد

النبي والرسول والفرق بينهما

جمع الله لنبيه محمد ﷺ بين النبوة والرسالة قال تعالى : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ الأحزاب

أ- معنى النبي لغة وشرعا:

النبوة في اللغة العربية مشتقة إما من (النبأ) أو (النباوة) أو (النبوة) أو (النبي) (١)

١- فإذا كانت مأخوذة من (النبأ) فتكون بمعنى الإخبار، لأن النبأ هو الخبر.

٢- وإذا كانت مأخوذة من (النباوة أو النبوة) فتكون بمعنى الرفعة والعلو، لأن النباوة أو النبوة: هي الشيء المرتفع

٣- أما إذا كانت مأخوذة من (النبي) بدون همز، فيكون معناها الطريق إلى الله عز وجل لأن معنى " النبي " الطريق.

ولو نظرنا إلى النبوة الشرعية لوجدنا أنها تشمل كل هذه المعاني إذ النبوة إخبار عن الله عز وجل، وهي رفعة لصاحبها لما فيها من التشريف والتكريم، وهى الطريق الموصلة إلى الله سبحانه.

أما النبوة في اصطلاح الشرع: " فهي خبر خاص يكرم الله عز وجل به أحدا من عباده فيميزه عن غيره بإيحائه إليه ويوقفه به على شريعته بما فيها من أمر ونهي ووعظ وإرشاد ووعد ووعيد."(٢)

أما النبي فقد اختلف العلماء في تعريفه:

-فمنهم من قال: هو الذي أوحى الله إليه بشرع، (٣) ليعمل به ولم يؤمر بتبليغه.

---

(١) انظر: لسان العرب مادة "نبأ" (١/١٦٢- ١٦٣)، ومعجم مقاييس اللغة (٥/ ٣٨٤، ٣٨٥).

(٢) شعب الإيمان للبيهقي، الباب الثاني من شعب الإيمان (ص ٢٧٥) رسالة ماجستير في الجامعة الإسلامية بتحقيق فالح بن ثاني.

(٣) المصدر السابق (ص ٢٧٥)، وشرح العقيدة الطحاوية (ص ١٦٧).

-فمنهم من قال: هو الذي أوحى الله إليه أن يدعو الناس إلى شريعة رسول قبله (١).

-ومنهم من قال: هو الذي أوحى الله إليه وأخبره بأمره ونهيه وخبره، ويعمل بشريعة رسول قبله بين قوم مؤمنين (٢).

وهذا هو الذي اختاره شيخ الإسلام ابن تيمية ولعله هو أرجح الأقوال وأسلمها من الاعتراض فقد اعترض على القول الأول بأنه غير صحيح لأن قوله تعالى:﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيّٖ ﴾الحج: ٥٢ وكذلك مما يؤكد كون الأنبياء مأمورين بتبليغ قومهم ما أوحي إليهم والحكم بينهم بذلك ما جاء في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال " :كانت بنوا إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي وإنه لا نبي بعدي ... "الحديث (٣) .

"أي تتولى أمورهم كما تفعل الأمراء والولاة بالرعية. والسياسة: القيام على الشيء بما يصلحه"(٤) .

وقد اعترض على القول الثاني بأن الضابط الذي ذكروه لا يستقيم فيوسف عليه السلام كان رسولا وكان على شريعة إبراهيم قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ جَآءَكُمۡ يُوسُفُ مِن قَبۡلُ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلۡتُمۡ فِي شَكّٖ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلۡتُمۡ لَن يَبۡعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِهِۦ رَسُولٗاۚ ﴾ غافر: ٣٤.

وكذلك داود وسليمان عليهما السلام كانا رسولين وكانا على شريعة التوراة قال تعالى:﴿ ۞إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ١٦٣ وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤ ﴾ النساء.

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشيخ محمد الأمين الشنقيطي (٥/ ٧٣٥).

(٢) كتاب النبوات لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص ٢٥٥).

(٣)أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء: باب ما ذكر عن بني إسرائيل. انظر: فتح الباري (٦/ ٤٩٥) ح ٣٤٥٥. وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة: باب الأمر بالوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول (٦/ ١٧).

(٤)النهاية في غريب الحديث (٢/ ٤٢١).

٤- معنى الرسول لغة وشرعا:

الرسول لغة: إما مأخوذ من الرِّسل.

والرِّسل: هو الانبعاث على تؤدة. يقال: ناقة رسله: أي سهلة السير، وإبل مراسيل: منبعثة انبعاثا سهلا. ولفظ الرسل متضمن لمعنى الرفق ومعنى الانبعاث. فإذا تصور منه معنى الرفق يقال على رسلك إذا أمرته بالرفق. وإذا تصور منه معنى الانبعاث يقال إبل مراسيل أي منبعثة.

ولفظ الرسول اشتق من المعنى الثاني أي الانبعاث.

فالرسول على هذا الاشتقاق هو المنبعث (١).

وإما مأخوذ من الرَّسْل وهو التتابع فيقال جاءت الإبل رَسْلا أي متتابعة، ويقال جاءوا أرْسَالاً: أي متتابعين.

ومعنى الرسول على هذا الاشتقاق: هو الذي يتابع أخبار الذي بعثه (٢).

ولو نظرنا إلى كلا الاشتقاقين فإنا نجد أن لفظ الرسول في اصطلاح الشرع يدل عليهما فالرسول مبعوث من قبل الله، وهو كذلك يتابع أخبار الوحي المنزل إليه من الله تعالى.

ولفظ الرسول تارة يقال للقول المُتَحَمَّل كقول الشاعر:

ألا بلِّغ أبا حفص رسولا.

وتارة لمُتَحَمِّل القول والرسالة (٣) .

والرسول في الشرع: عرف بعدة تعريفات :

فمن العلماء من عرفه بقوله: هو الذي أوحى الله إليه بخبر وأمره بتبليغه للناس، وهؤلاء فرقوا بينه وبين النبي بأن النبي أوحي إليه بخبر ولم يؤمر بتبليغه (٤).

ومنهم من عرفه بقوله: هو الذي أنزل إليه كتاب وشرع مستقل مع المعجزة التي تثبت بها نبوته.

وقالوا: إن النبي هو الذي لم ينزل إليه كتاب وإنما أوحي إليه أن يدعو الناس إلى شريعة رسول قبله (٥) .

---

(١) المفردات في غريب القرآن تأليف أبي القاسم حسين محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ص ١٩٥) مادة "رسل."

(٢) المصدر السابق (ص ١٩٥) ولسان العرب مادة "رسل" (١١/ ٢٨٤).

(٣) المصدر السابق (ص ١٩٥) ولسان العرب مادة "رسل" (١١/ ٢٨٤.)

(٤) شعب الإيمان للبيهقي (ص ٢٧٥- ٢٧٦) بتحقيق فلاح بن ثاني، وشرح العقيدة الطحاوية (ص ١٦٧).

(٥) أضواء البيان (٥/ ٧٣٥).

ومنهم من قال: إن الرسول هو الذي ينبئه الله ثم يأمره أن يبلغ رسالته إلى من خالف أمره أي إلى قوم كافرين.
أما النبي فهو من أوحى الله إليه وأخبره بأمره ونهيه وخبره، ويعمل بشريعة رسول قبله بين قوم مؤمنين بهما.

وهذا ما ذهب إليه شيخ الإسلام ابن تيمية، واستشهد لذلك بأن نوحا عليه السلام كان هو أول رسول بعث إلى أهل الأرض وكان أول شرك بالله قد وقع في قومه.
وقد كان قبل نوح أنبياء كشيث وإدريس عليهما السلام وقبلهما آدم كان نبيا مكلما، وقد كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام وكان المبعوثون في هذه القرون أنبياء فقط(١) .
وهذا القول الثالث هو أرجح الأقوال.

أما القول الأول فهو غير مسلم كما سبق وإن وضحت في الكلام على معنى النبي. وكذا الأمر بالنسبة للقول للثاني فليس من شرط الرسول أن يأتي بشريعة جديدة كما تقدم ذكر ذلك.

(١)النبوات (ص ٢٥٥- ٢٥٦)

المبحث الأول:

الأنبياء المذكورين في السورة.

أولاً- أسماء الأنبياء المذكورين في السورة.

عدد الأنبياء والرسل الواردة أسماؤهم في سورة إبراهيم عليه السلام خمسة أنبياء وهم مرتبون حسب ذكرهم في السورة:

١- موسى عليه السلام.

٢- نوح عليه السلام.

٣- إبراهيم عليه السلام.

٤-إسماعيل عليه السلام.

٥-إسحاق عليه السلام.

ثانياً- تعريف مختصر بالأنبياء المذكورين:

موسى -عليه السلام:-

اسمه ونسبه:

"هو موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، وولد لاوي ليعقوب وهو ابن تسع وثمانين سنة، وولد قاهث للاوي وهو ابن ست وأربعين سنة، وولد لقاهث يصهر، وولد عمران ليصهر وله ستون سنة. وأم موسى يوخابد. واسم امرأته صفورا بنت شعيب النبي".(١)

وفاته:

روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "أرسل ملك الموت إلى موسى - عليهما السلام- ، فلما جاءه صكه، فرجع إلى ربه، فقال: أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت، قال: ارجع إليه فقل له يضع يده

---

(١) الكامل في التاريخ أبو الحسن على بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الحرري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ) تحقيق: عمر عبد السلام تدمير، الطبعة الأولى ، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، (٣٣١/١).

على متن ثور، فله بما غطت يده بكل شعرة سنة، قال أي رب، ثم ماذا؟ قال: ثم الموت، قال: فالآن، قال فسأل الله أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر".[١]

قال أبو هريرة: فقال رسول الله ﷺ: " **لَوْ كُنْتُ ثَمَّ لَأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ، إِلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ تَحْتَ الكَثِيبِ الأَحْمَرِ**".[٢]

قال ابن حجر (رحمه الله): "إن الله لم يبعث ملك الموت لموسى وهو يريد قبض روحه حينئذ، وإنما بعثه إليه اختيارا، وإنما لطم موسى ملك الموت لأنه رأى آدمياً دخل داره بغير إذنه ولم يعلم أنه ملك الموت، ... وقد جاءت الملائكة إلى إبراهيم وإلى لوط في صورة آدميين فلم يعرفهم ابتداء، ولو عرفهم إبراهيم لما قدم لهم المأكول، ولو عرفهم لوط لما خاف عليهم من قومه".[٣]

نوح – عليه السلام–:

اسمه ونسبه:

"هو نوح بن لمك بن متوشلخ بن إدريس، وقال الزبير بن بكار : نوح بن ملكان بن مثوب بن إدريس وكان بين آدم ونوح ألف سنة، وولد نوح عليه السلام بعد وفاة آدم بثمانمائة وست وعشرين سنة، فلما بلغ قال له أبوه: قد علمت أنه لم يبق في هذا الموضوع غيرنا فلا تستوحش ولا تتبع الأمة الخاطئة، فما زال على حاله حتى بعثه الله –تعالى – بعد أن تكامل له خمسون سنة، وقيل: كان ابن أربعمائة وثمانين سنة، فبعث وليس في الزمان من يأمر بالمعروف، وكانوا يضربونه حتى يغشى عليه".[٤]

قال سعيد بن المسيب: "ولد نوح ثلاثة، وولد كل واحد ثلاثة: سام، وحام، ويافث ، فولد سام العرب وفارس والروم، وفي كل هؤلاء خير، وولد يافث الترك والصقالبة ويأجوج ومأجوج، وليس في واحد من هؤلاء خير، وولد حام القبط والسودان والبربر"[٥].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب وفاة موسى وذكره بعد حديث رقم ٣٤٠٧،(٤/ ١٥٧).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب وفاة موسى وذكره بعد حديث رقم ٣٤٠٧،(٤/ ١٥٧).

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي بدون رقم طبعة، الناشر: دار المعرفة– بيروت، ١٣٧٩، (٤٤٢/٦).

(٤) المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن على بن محمد الجوزي محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٢هـ (١/ ٢٣٩).

(٥) تاريخ الطبري ، الطبعة: الثانية دار التراث _ بيروت، ١٣٨٧،(١/ ٢١٠) والبداية والنهاية المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، المحقق: على شيرى، الطبعة: الأولى ، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٨، هـ– ١٩٨٨م،(١/ ١٣٠).

وفاته:

قال ﷺ: "**إِنَّ نَبِيَّ اللهِ نُوحًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَالَ لِابْنِهِ: إِنِّي قَاصٌّ عَلَيْكَ الْوَصِيَّةَ: آمُرُكَ بِاثْنَتَيْنِ، وَأَنْهَاكَ عَنِ اثْنَتَيْنِ، آمُرُكَ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَإِنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ، وَالْأَرَضِينَ السَّبْعَ، لَوْ وُضِعَتْ فِي كِفَّةٍ، وَوُضِعَتْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فِي كِفَّةٍ، رَجَحَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَلَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ، وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ، كُنَّ حَلْقَةً مُبْهَمَةً، قَصَمَتْهُنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**".[١]

"عاش بعد الطوفان ثلاثمائة وخمسين سنة، فيكون قد عاش على هذا ألف سنة وسبعمائة وثمانين سنة، وأما قبره عليه السلام فروى ابن جرير والأزرقي عن عبد الرحمن بن سابط أو غيره من التابعين مرسلاً أن قبر نوح عليه السلام بالمسجد الحرام. وهذا أقوى وأثبت من الذي يذكره كثير من المتأخرين من أنه ببلدة بالبقاع تعرف اليوم بكرك نوح، وهناك جامع قد بني بسبب ذلك فيما ذكر، والله أعلم".[٢]

إبراهيم –عليه السلام–.

اسمه ونسبه:

أما إبراهيم عليه السلام فولد له سيدنا إسماعيل عليه السلام، وأمه [هاجر] القبطية وإسحق وأمه سارة بنت هارون، وهو من بني حران. وكانت حياة إبراهيم عليه السلام مائة وخمساً وسبعين سنة، وكان ملك بابل في وقته النمرود من ولد كرش بن حام، فلما أن حاجه إبراهيم عليه السلام وكسر الأصنام أضرم الملك له ناراً عظيمة وألقاه فيها فجعلها الله –تعالى – عليه برداً وسلاماً، وأتت ريح فنسفت النار في وجوه الواقفين مع الملك كذلك.[٣]

وهو من ذرية سام بن نوح أرسله الله إلى قومه لدعوتهم إلى عبادة الله فجادلهم وناقشهم ملكهم (النمرود) الجبار المتغطرس الذي كان يدعى الألوهية[٤]. قال تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ** ﴿٢٥٨﴾

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده حديث رقم٦٥٨٣، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح(١١/ ١٥٠).

(٢) البداية والنهاية لابن كثير(١٣٧/١). وأخبار الزمان ومن أباده الحدثان، وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران، أبو الحسن على بن الحسين بن على المسعودي (المتوفى: ٣٤٦هـ)، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع– بيروت، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م، (١/ ١٠٣).

(٣) انظر أخبار الزمان، المسعودي، (١٠٣/١).

(٤) انظر موجز التاريخ الإسلامي منذ عهد آدم عليه السلام(تاريخ ما قبل الإسلام) إلى عصرنا الحاضر ١٤١٧هـ، أحمد معمور العسيري، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦ م (ص ١٧).

﴿البقرة، حطم إبراهيم عليه السلام أصنام قومه في غيابهم، وجعل الفأس في رأس كبيرهم؛ ليبين لهم عجزها وبطلانها ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ الأنبياء.

إسماعيل –عليه السلام–:

كان للخليل إبراهيم عليه السلام بنون، ولكن أشهرهم الأخوان النبيان العظيمان الرسولان أسنهما وأجلهما الذي هو الذبيح على الصحيح إسماعيل بِكرُ إبراهيم الخليل من هاجر القبطية المصرية – عليها السلام– من العظيم الجليل فقطن الحرم ونبع له زمزم بأمر الله –تعالى–، ونبأه الله وأرسله إلى قبائل اليمن، فنهاهم عن عبادة الأوثان، فآمنت به طائفة منهم وكفر أكثرهم وغلب على الحرم.(١)

وتزوج من جرهم امرأة ثم فارقها وتزوج غيرها، وتزوج بالسيدة بنت مضاض بن عمرو الجرهمي، وجاءته بالبنين الاثنا عشر ومات وهو ابن مائة سنة وسبع وستين سنة، وأوصى إلى ابنه عدنان بأمر البيت، فمن عدنان ولد محمد النبي الكريم ﷺ، وجميع العرب العاربة والمستعربة من ولده.(٢)

إسحاق –عليه السلام–:

هو إسحاق بن خليل النبي بن النبي بن النبيين –سلام الله عليهم أجمعين–، وأمه سارة حملت به في الليلة التي خسف الله –تعالى– بقوم لوط، وولدته ولها من العمر تسعون سنة، ومن ولده الروم واليونان والأرمن ومن يجري مجراهم وبنو إسرائيل.

وكان إبراهيم عليه السلام يضيف من نزل به وقد أوسع الله –تعالى– عليه وبسط له الرزق والمال والخدم، ولما أراد الله – تعالى– هلاك قوم لوط أمر رسله من الملائكة أن ينزلوا بإبراهيم ويبشروه هو وسارة بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب، فخرج إلى أهله فجاء بعجل سمين حنيذ وهو المشوي بالحجارة، فلما رأى أيديهم لا تصل إليه –أي العجل– نكرهم وأوجس منهم خفية، وذلك أنهم كانوا إذا نزل بهم ضيف ولم يأكل من طعامهم ظنوا أنه لم يأتهم بخير وإنما جاءهم بشر قالوا: لا تخف يا إبراهيم إنا ملائكة الله –تعالى– أرسلنا إلى قوم لوط وكانت امرأته سارة قائمة من وراء الستر تسمع كلامهم وإبراهيم جالس معهم فضحكت لنزول الخوف عنهما، قالوا

---

(١) انظر البداية والنهاية ،لابن كثير (١/١١٩).

(٢) انظر المرجع السابق(١/١٨٠).

لإبراهيم: لا تخف، وقيل ضحكت بالبشارة[1]قال تعالى:﴿ فَلَمَّا رَءَآ أَيۡدِيَهُمۡ لَا تَصِلُ إِلَيۡهِ نَكِرَهُمۡ وَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۚ قَالُواْ لَا تَخَفۡ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمِ لُوطٖ ٧٠ ﴾هود.

ثالثاً- الآيات التي ذكرت فيها أسماء الأنبياء:

١-الآيات التي ذكر فيها موسى -عليه السلام-:

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنۡ أَخۡرِجۡ قَوۡمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرۡهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ ٥ ﴾إبراهيم

﴿ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ أَنجَىٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ٦ ﴾إبراهيم.

وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكۡفُرُوٓاْ أَنتُمۡ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ٨ ﴾إبراهيم.

٢-الآيات التي ذكر فيها نوح-عليه السلام-:

قال تعالى:﴿ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لَا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا ٱللَّهُۚ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فِيٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرۡنَا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَنَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٖ ٩ ﴾إبراهيم

٣-الآيات التي ذكر فيها إبراهيم -عليه السلام-:

قال تعالى: ﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنٗا وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ٣٥ ﴾إبراهيم.

٤-الآيات التي ذكر فيها إسماعيل وإسحاق- عليهم السلام-:

قال تعالى: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلۡكِبَرِ إِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ٣٩ ﴾إبراهيم.

---

(١) انظر الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن العليمي الحنبلي، أبو اليمن، مجير الدين (المتوفى:٩٢٨هـ)، المحقق: عدنان يونس عبد المجيد نباتة، مكتبة دنديس -عمان،(١/٦٤).

المبحث الثاني

فضائل الأنبياء وصفاتهم في ضوء السورة

أولاً- فضائل موسى عليه السلام وصفاته:

إن المتأمل في القرآن العظيم يرصد فضائل موسى عليه السلام وصفاته العالية، وهذه أبرزها:

إنه عليه السلام مصطفى ومخلصاً من الله لإخلاص:

حيث وصف الله عز وجل نبيه موسى عليه السلام بأنه مخلص لدعوته، ومن أجلها تحمل الأذى وصبر عليها؛ من أجل تحقيق مقاصد الدعوة العليا ونشر تعاليم الدين، قال الله -تعالى- عنه: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ٥١ وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا ٥٢﴾ مريم، إنه كان مخلصاً، أي مختاراً مصطفى، ومطهراً من الآثام والذنوب.(١)

ومن صفاته الرفيعة الشكر العظيم لربه المحسن إليه والمتفضل عليه

حيث كان موسى عليه السلام متبعاً أمر الله في شكره على نعمه كما أمره عز وجل بقوله: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ١٤٤﴾ الأعراف.

يقول ابن كثير (رحمه الله):" كان مصطفى، كما قال -تعالى-: ﴿إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ وكان رسولاً نبياً ﴿وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ٥١﴾ مريم، جمع له بين الوصفين، فإنه كان من المرسلين الكبار أولي العزم الخمسة، وهم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد، - صلوات الله وسلامه عليهم وعلى سائر الأنبياء أجمعين-".(٢)

لذا نجد أن موسى عليه السلام كما أخبرتنا سورة إبراهيم عليه السلام ينادي بمبدأ الشكر في قومه ويطالبهم بتحصيله وتحقيقه.

قال تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ أَنجَىٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ٦﴾ إبراهيم.

---

(١) انظر التفسير الوسيط للزحيلي، (٤/١٤٨٤).

(٢) تفسير ابن كثير (٥/٢٣٧).

ثم نجد أن الله –تعالى – في هذه السورة يطالب موسىعليه السلام بتذكير قومه بأيام الله، قال تعالى:﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾ ﴾إبراهيم،

ثم نجده يحذر قومه من الكفر والجحود الذي هو ضد الشكر قال تعالى:﴿ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾ ﴾إبراهيم.

عسى أن يصبحوا من الشاكرين، وهذا يؤكد تغلغل صفة الشكر فينفسهعليه السلام وحرصه على نشرها والدعوة إليها لما للشكر من درجة رفيعة عند الله –سبحانه وتعالى–.

كان من أولي العزم من الرسل :

إن موسى عليه السلام كان من المرسلين الكبار أولي العزم الخمسة، وهم: نوح وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد،– صلوات الله وسلامه عليهم وعلى سائر الأنبياء أجمعين–.

فموسىعليه السلامكان نبياً رسولاً، اجتمع له الوصفان ثم جعل من الرسل أولي العزم، فالرسول: كل من أوحى الله إليه بشرع وأمر بتبليغه، والنبي: كل من أوحي إليه بشرع يخبر به عن الله قومه، وليس معه كتاب كيوشععليه السلام.(١)

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قال رَسُولُ اللَّهِصلى الله عليه وسلم:"**لَا تُخَيِّرُوا بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ؛ فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى آخِذٌ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ الْعَرْشِ، فَلَا أَدْرِي أَكَانَ فِي مَنْ صَعِقَ، أَمْ حُوسِبَ بِصَعْقَةِ الْأُولَى**"(٢)

تكليم الله:

قال تعالى: ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ ﴾النساء، وكلمناه تكليماً من جانب جبل الطور في سيناء عن يمين موسى وهو

---

(١) انظر التفسير الوسيط للزحيلي، (١٤٨٥/٤).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الخصومات ، باب ما يذكر في الأشخاص والخصومة بين المسلم واليهودي حديث رقم ٢٤١٢، (١٢١/٣).

الأصح أو عن يمين الجبل نفسه، أثناء مجيئه من مدين متجهاً إلى مصر، فهو كليم الله بعدئذ، وصار رسولاً نبياً، وأنزلنا عليه كتاب التوراة.(١)

ثانياً- فضائل نوح عليه السلام وصفاته:

١- التجرد والإخلاص لدعوة الله والصبر في طريقه

قال تعالى على لسان نوح عليه السلام لقومه: ﴿ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾يونس، أي﴿ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ ﴾، أيها القوم، عن دعوة الحق بعد دعائي إياكم، وتبليغي رسالة ربي إليكم، مدبرين، فأعرضتم عمّا دعوتكم إليه من الحقّ، والإقرار بتوحيد الله، وإخلاص العبادة له، وترك إشراك الآلهة في عبادته، فتضيعٌ منكم وتفريطٌ في حق الله عليكم، لا بسبب من قبلي، فإني لم أسألكم على ما دعوتكم إليه أجرًا، ولا عوضًا أعتاضه منكم بإجابتكم إياي إلى ما دعوتكم إليه من الحق والهدى، ولا طلبت منكم عليه ثوابًا ولا جزاءً ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ﴾أي: إن جزائي وأجر عملي وثوابه إلا على ربي، لا عليكم، أيها القوم، ولا على غيركم ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾، وأمرني ربي أن أكون من المذعنين له بالطاعة، المنقادين لأمره ونهيه، المتذللين له، ومن أجل ذلك أدعوكم إليه، وبأمره آمركم بترك عبادة الأوثان. (٢)

وتوضح الآيات في السورة ظلم الأقوام للأنبياء وصبرهم عليهم وبدعوتهم إلى الله. قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾إبراهيم،﴿ وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ ﴾أَيْ: وَمَا يَمْنَعُنَا مِنَ التَّوَكُّلِ عَلَيْهِ، وَقَدْ هَدَانَا لِأَقْوَمِ الطُّرُقِ وَأَوْضَحِهَا وَأَبْيَنِهَا، ﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا ۚ ﴾أَيْ: مِنَ الْكَلَامِ السَّيِّئِ، وَالْأَفْعَالِ السَّخِيفَةِ.(٣)

٢- إنه العبد الشكور

وصف الله ﷻ نوحاً عليه السلام بأنه عبدٌ شكورٌ في قوله: ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾ ﴾الإسراء، وقد ورد في الأثر عن السلف: أن نوحاً عليه السلام، كان يحمد الله –تعالى – على طعامه وشرابه ولباسه وشأنه كله؛ فلهذا سمي عبداً شكوراً. (٤)

---

(١) انظر التفسير الوسيط للزحيلي، (١٤٨٥/٤).

(٢) انظر تفسير الطبري،(١٥ /١٥٢).

(٣) تفسير ابن كثير (٤/ ٤٨٣).

(٤) انظر تفسير ابن كثير (٤٦/٥).

يقول ابن عباس ﷺ: يعني نوحاً﴿كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ۝٣﴾الإسراء، شاكرا كان إذا أكل أو شرب أو اكتسى قال الحمد لله.(١)

٣- الإنابة إلى الله -تعالى-:

كان نوح عليه السلام منيباً إلى الله في أموره، فقال الله عز وجل عنه: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ۝٤٧﴾هود.

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره مخبرًا نبيَّه محمدًا ﷺ، عن إنابة نوح -عليه السلام- بالتوبة إليه من زلَّته، في مسألته التي سألَها ربَّه في ابنه: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ﴾هود، أي: أستجير بك أن أتكلف مسألتك ما ليس لي به علم، مما قد استأثرت بعلمه، وطويت علمه عن خلقك، فاغفر لي زلتي في مسألتي إياك ما سألتك في ابني، وإن أنت لم تغفرها لي وترحمني فتنقذني من غضبك﴿أَكُن مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ۝٤٧﴾هود. (٢)

٤- الإلحاح في دعوة قومه بدون كلل ولا ملل.

كان نوحٌ عليه السلام يدعو قومه ليلاً ونهاراً سراً وجهاراً، لكن قومه لم يستجيبوا له، فكرر ذلك لهم مراراً وتكراراً؛ فلم يزيدهم دعاؤه إلا فراراً من دعوته؛ لكنه لم يكل أو يمل من ذلك، كما قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارًا ۝٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَـٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ۝٧ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝٨ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۝٩ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠﴾نوح.

ولما بلّغ نوح عليه السلام قومه رسالة ربه، وأنذرهم ما أمره به أن ينذرهم منه فعصوه، وردّوا عليه ما أتاهم به من عند الله فقال عليه السلام مخاطباً الله عز وجل﴿رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾ إلى توحيدك وعبادتك، وحذرتهم بأسك وسطوتك، ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارًا ۝٦﴾نوح، ولقد بين نوح عليه السلام بأن دعوته لقومه لم تزدهم من دعائه إياهم إلى ما دعاهم إليه من الحقّ الذي أرسله به لهم ﴿إِلَّا فِرَارًا﴾ إلا إدباراً عنه وهرباً منه وإعراضاً، وعن قتادة في قوله: ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارًا﴾ بين مدى العناد والإصرار على الكفر؛ حيث إنهم كانوا يذهب الرجل بابنه إلى نوح، فيقول لابنه: احذر هذا لا يغوينك، فأراني قد ذهب بي أبي إليه وأنا مثلك، فحذرني كما حذّرتك. وقوله:﴿

---

(١) تنوير المقباس لفيروز أبادي، ،(ص ٢٣٣).

(٢) تفسير الطبري، (١٥/ ٣٥٢).

﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ﴾يقول ﷻ: وإني كلما دعوتهم إلى الإقرار بوحدانيتك، والعمل بطاعتك، والبراءة من عبادة كلّ ما سواك، لتغفر لهم إذا هم فعلوا ذلك جعلوا أصابعهم في آذانهم لئلا يسمعوا دعائي إياهم إلى ذلك ﴿وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ﴾ يقول: وتغشوا في ثيابهم، وتغطوا بها لئلا يسمعوا دعائي.

وقال ابن زيد، في قوله: ﴿جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ۝٧ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝٨ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۝٩ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠﴾نوح ﴿جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ﴾ لئلا يسمعوا كلام نوح-عليه السلام-.

وقوله:﴿وَأَصَرُّوا﴾ يقول: وثبتوا على ما هم عليه من الكفر وأقاموا عليه.[1]

ثالثاً- فضائل إبراهيم عليه السلام وصفاته:

١- النبي صاحب العمارة والإصلاح.

قال تعالى:﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ ۝٣٥ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي ۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٣٦ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ۝٣٧﴾إبراهيم، كان إبراهيم عليه السلام صاحب الفضل الأول في عمارة مكة التي كانتعامرة بسببه، وأنه تبرأ ممن عبد غير الله، وأنه دعا لمكة بالأمن، فقال تعالى: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ﴾إبراهيم٣٥، وقد استجاب الله له، فقال تعالى﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾العنكبوت:٦٧.

٢- الاصطفاء:

لقد اختار الله ﷻ إبراهيم عليه السلام واصطفاه بالرسالة والنبوة، فقال:﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ ۚ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ۝١٣٠ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۝١٣١﴾البقرة، يقول ابن عباس رضي الله عنهما:" ﴿وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ﴾ اخترناه يعني إبراهيم عليه السلام في الدنيا بالخلة، ويقال: اخترناه في الدنيا بالنبوة والإسلام والذرية الطيبة".[2]وقال تعالى:﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ

---

(١) انظر تفسير الطبري(٢٣ /٦٣١).

(٢) تنوير المقباس، لفيروز أبادي، (ص ١٩).

﴿وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾﴾آل عمران، اصطفى الله آل إبراهيم، ومن ذريته سيد البشر وخاتم الأنبياء على الإطلاق محمد ﷺ. (١)

قال الطبري(رحمه الله): " يعني بذلك ﷻ: إن الله اجتبى آدمَ ونوحًا واختارهما لدينهما وآل إبراهيم وآل عمران لدينهم الذي كانوا عليه؛ لأنهم كانوا أهل الإسلام. فأخبرَ اللهﷻ أنه اختار دين مَنْ ذكرنا على سائر الأديان التي خالفته، وإنما عنى بآل إبراهيم وآل عمران، المؤمنين".(٢)

٣- الصدق:

قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾﴾مريم، يقول تعالى مذكراً لنبيه: ﴿وَاذْكُر﴾ يا محمد في كتاب الله ﴿إِبْرَٰهِيمَ ۚ﴾خليل الرحمن، فاقصص على هؤلاء المشركين قصصه وقصص أبيه، ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴾ يقول: كان من أهل الصدق في حديثه وأخباره ومواعيده لا يكذب، والصدّيق هو الفعيل من الصدق. (نَبِيًّا) يقول: كان الله قد نبأه وأوحى إليه.(٣)

٤- الخليل:

لقد اختار الله ﷻ إبراهيم عليه السلام في الدنيا بالخلة في الدنيا، قال تعالى:﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾﴾النساء، قال الطبري(رحمه الله): "يعني بذلك -جل ثناؤه-:﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾﴾النساء، لطاعته ربَّه، وإخلاصه العبادة له، والمسارعةِ إلى رضاه ومحبته، لا من حاجةٍ به إليه وإلى خُلَّته. وكيف يحتاج إليه وإلى خلَّته، وله ما في السموات وما في الأرض من قليل وكثير مِلْكًا، والمالك الذي إليه حاجة مُلْكه، دون حاجته إليه؟ يقول: فكذلك حاجة إبراهيم إليه، لا حاجته إليه فيتخذه من أجل حاجته إليه خليلاً ولكنه اتخذه خليلاً لمسارعته إلى رضاه ومحبته. يقول: فكذلك فسارعوا إلى رضايَ ومحبتي لأتخذكم لي أولياء" وكان الله بكل شيء محيطًا"، ولم يزل الله محصيًا لكل ما هو فاعله عبادُه من خير وشرّ، عالمًا بذلك، لا يخفى عليه شيء منه،ولا يعزب عنه منه مثقال ذرَّة".(٤)

---

(١) انظر تفسير الطبري (٢ /٢٣).

(٢) المرجع السابق،(٦ /٣٢٦).

(٣) المرجع السابق،(١٨ /٢٠٢). بتصرف

(٤) تفسير الطبري،(٩ /٢٥٢).

قال ابن كثير (رحمه الله):"وَإِنَّمَا سُمّي خَلِيلَ اللَّهِ لِشِدَّةِ مَحَبَّةِ رَبِّهِ،-عليه السلام-لَهُ؛ لِمَا قَامَ لَهُ مِنَ الطَّاعَةِ الَّتِي يُحِبُّهَا وَيَرْضَاهَا". (١)

٥- الأواه الحليم :

قال تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام:﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ ﴾إبراهيم، تبرز هذه الآية سمة إبراهيم عليه السلام الأواه الحليم؛ فهو لا يطلب العذاب لمن يعصيه، بل يكلهم إلى غفران الله ورحمته، ويكثر في نفس الوقت من الدعاء.

" لما كانت الأصنام سببا لإضلال الناس أضاف الفعل إليهن مجازاً؛ فإن الأصنام جمادات لا تفعل قال: "فمن تبعني في التوحيد، ﴿ فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ ﴾أي من أهل ديني ﴿ وَمَنْ عَصَانِى ﴾ أي أحد على الشرك﴿ فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ قَالَ هَذَا قَبْلَ أَنْ يُعَرِّفَهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ. وَقِيلَ: غَفُورٌ رَحِيمٌ لِمَنْ تَابَ مِنْ مَعْصِيَتِهِ قَبْلَ الْمَوْتِ. وَقَالَ مُقَاتِلُ بْنُ حيان:﴿ وَمَنْ عَصَانِى ﴾ فيما دون الشرك".(٢)

واتصف إبراهيم عليه السلام بالحلم بقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ ﴾التوبة، قال تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ ﴾هود.

إنه سبحانه يختم الآيتين بما يثبت لإبراهيم عليه السلام صفة التأوه وصفة الحلم ويزيد في آية هود صفة الأمانة، وكلها صفات عالية تظهر كمال نفسه وسمو أخلاقه وشمائله بما يجعله يحوز على لقب الخلة ، فهو خليل الرحمن عليه السلام.

٦- إبراهيم كان أُمةً:

وصف الله عز وجل إبراهيم عليه السلام بأنه أمة فقال تعالى:﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾النحل.

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٤٢٣)

(٢) تفسير القرطبي (٩/ ٣٦٨)

يقول الإمام الشافعي (رحمه الله): كان "معلماً"[1].ويقول الطبري (رحمه الله): "أمة"، "إمامًا في الخير يُقتدى به، ويُتَّبع عليه".[2]

إن إبراهيم خليل الله كان مُعَلِّم خَيْر، يأتمّ به أهل الهدى قانتاً، ومطيعًا لله حنيفاً ومستقيماً على دين، والأمَّة الذي يُعلِّم الناس الخير. [3]

رابعاً: فضائل إسماعيل وإسحاق -عليهما السلام- وصفاتهم:

قال تعالى :﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلۡكِبَرِ إِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ ﴾إبراهيم.

صفات إسماعيل عليه السلام:

وصف الله ﷻ إسماعيل عليه السلام بأنه صادق الوعد وأنه رسول نبي ومحافظ على الصلاة والزكاة، وكان يحث أهله على العبادة، فقال تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا ﴿٥٥﴾ ﴾مريم.

١-صادق الوعد:

قال تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ﴿٥٤﴾ ﴾مريم.

قال ابن كثير (رحمه الله): "هَذَا ثَنَاءٌ مِنَ اللَّهِ-تَعَالَى -عَلَى إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ،- عَلَيْهِمَا السَّلَامُ-،وَهُوَ وَالِدُ عَرَبِ الْحِجَازِ كُلِّهِمْ بِأَنَّهُ:﴿كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ ﴾، قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: لَمْ يَعِدْ رَبَّهُ عِدَةً إِلَّا أَنْجَزَهَا، يَعْنِي: مَا الْتَزَمَ قَطُّ عِبَادَةً بِنَذْرٍ إِلَّا قَامَ بِهَا، وَوَفَّاهَا حَقَّهَا، وذكر ابْنُ جَرِيرٍ: أَنَّ إِسْمَاعِيلَ النَّبِيَّ، عليه السلام وَعَدَ رَجُلًا مَكَانًا أَنْ يَأْتِيَهُ، فَجَاءَ وَنَسِيَ الرَّجُلُ، فَظَلَّ بِهِ إِسْمَاعِيلُ وَبَاتَ حَتَّى جَاءَ الرَّجُلُ مِنَ الْغَدِ، فَقَالَ: مَا بَرِحْتَ مِنْ هَا هُنَا؟ قَالَ: لَا. قَالَ: إِنِّي نَسِيتُ. قَالَ: لَمْ أَكُنْ لِأَبْرَحَ حَتَّى تَأْتِيَنِي. فلذلك ﴿كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ ﴾مريم"[4]

---

(١) تفسير الإمام الشافعي الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي ، جمع وتحقيق ودراسة: د. أحمد بن مصطفى الفرَّان (رسالة دكتوراه)، الطبعة الأولى، دار التدمرية – المملكة العربية السعودية، ١٤٢٧ – ٢٠٠٦ م،(١٠٢٤/٢).

(٢) تفسير الطبري، (٤ /٢٦٧).

(٣) المرجع السابق(١٧ /٣١٥-٣١٦).

(٤) تفسير ابن كثير (٥/ ٢٣٨).

أما إسماعيل عليه السلام فكان صادق الوعد في أمر حياة أو موت، أمر يتعلق بنفسه، حين قال لأبيه: ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٠٢ ﴾الصافات.[1] وصفه الله بهذا الوصف وإن كان غيره من الأنبياء كذلك تشريف لإسماعيل عليه السلام وتكريم لشأنه؛ لأن هذا الوصف من الأوصاف التي اكتملت شهرتها منه.

٢- رسولاً نبياً:

وصف الله إسماعيل عليه السلام بالرسالة والنبوة فقال: ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ٥٤ ﴾مريم.فالرسالة التي هي أكبر منن الله على عبده، وأهله امن الطبقة العليا من الخلق.[2]

٣- مقيماً لأمر الله على أهله:

قال الله عن إسماعيل عليه السلام أنه متبعٌ لأمره سائراً على هديه فقال:﴿ وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا ٥٥ ﴾مريم.أي: كان مقيماً لأمر الله على أهله، فيأمرهم بالصلاة المتضمنة للإخلاص للمعبود، وبالزكاة المتضمنة للإحسان إلى العبيد، فكم لنفسه، وكم لغيره، وخصوصا أخص الناس عنده وهم أهله؛ لأنهم أحق بدعوته من غيرهم.[3]

٤-عند الله مرضيٌّ:

حين وصف اللهﷻ إسماعيل عليه السلام بهذه الصفات ختمها بأنه مرضيٌّ من ربه فقال:﴿ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا ٥٥ ﴾مريم. وجاء هذا الرضا بسبب امتثاله له لمراضي ربه واجتهاده فيما يرضيه، فارتضاه الله وجعله من خواص عباده وأوليائه المقربين فرضي الله عنه .

٥- من الأخيار:

قال تعالى:﴿ وَٱذۡكُرۡ إِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ وَكُلّٞ مِّنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ٤٨ ﴾ص،وإن هؤلاء الذين ذكرنا عندنا لمن الذين اصطفيناهم لذكرى الآخرة الأخيار، الذين اخترناهم لطاعتنا ورسالتنا إلى خلقنا.[4]

---

(١) تفسير الشعراوي – الخواطر، محمد متولي الشعراوي،ط١، ١٩٩٧م، الناشر: مطابع أخبار اليوم. (١٥/ ٩١٢٢)

(٢) تفسير السعدي (ص: ٤٩٦).

(٣) المرجع السابق والصفحة.

(٤) تفسير الطبري (٢١/ ٢١٩)

٦- من الصالحين:

وصف اللهﷻ إسحاق عليه السلام بأنه من الصالحين فقال:﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾الأنبياء، وقال: ﴿ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾الصافات.

صفات سيدنا إسحاق عليه السلام:

" وولد إسحق لسيدنا إبراهيم عليه السلام وهو ابن مائةٍ واثنتي عشرةَ سنة أو مائة وسبعَ عشرة سنة".(١)

قال تبارك وتعالى: ﴿ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾ ﴾الصافات.

١- نبيٌّ من الصالحين:

قال تعالى:﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾الأنبياء، قال القرطبي:﴿ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴾ "أَيْ وَكُلًّا مِنْ إبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ جَعَلْنَاهُ صَالِحًا عَامِلًا بِطَاعَةِ اللَّهِ. وَجَعْلُهُمْ صَالِحِينَ إنَّمَا يَتَحَقَّقُ بِخَلْقِ الصَّلَاحِ وَالطَّاعَةِ لَهُمْ، وَبِخَلْقِ الْقُدْرَةِ عَلَى الطَّاعَةِ".(٢)

٢- مبارك من عند الله:

قال تعالى: ﴿ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ ﴾ الصافات: ١١٣،قال السعدي: " أي: أنزلنا عليهما البركة، التي هي النمو والزيادة فيعلمهما وعملهما وذريتهما، فنشر الله من ذريتهما ثلاث أمم عظيمة: أمة العرب من ذرية إسماعيل، وأمة بني إسرائيل، وأمة الروم من ذرية إسحاق" (٣).

٣- المصطفون الأخيار:

قال تعالى:﴿ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾ ﴾ص،

"أَيْ: لَمِنَ الْمُخْتَارِينَ الْمُجْتَبِينَ الْأَخْيَارِ فَهُمْ أَخْيَارٌ مُخْتَارُونَ".(٤)قال تعالى:﴿ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ ﴾ص، "المختار ونفي الدنيا بالنبوة والإسلام، الأخيار عند الله يوم القيامة". (٥)

---

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، المسمى تفسير أبي السعود، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت. (٥/ ٥٤)

(٢) تفسير القرطبي (١١/ ٣٠٥)

(٣) تفسير السعدي (ص: ٧٠٦)

(٤) تفسير ابن كثير (٧/ ٧٧)

(٥) تنوير المقباس لفيروز أبادي (ص: ٣٨٣)

٤- لسان الصدق والثناء الحسن:

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُم مِّن رَّحۡمَتِنَا وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيّٗا ﴿٥٠﴾ ﴾مريم، ﴿ وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيّٗا ﴿٥٠﴾ ﴾مريم، "أكرمناهم بالثناء الحسن"[١]، "ووهبنا لهم جميعاً من رحمتنا فضلاً لايحصى، وجعلنا لهم ذكرًا حسنًا، وثناءً جميلاً باقيًا في الناس".[٢]

٥- الكريم ابن الكريم

فقد مدحه النبي ﷺ بقوله : "**الْكَرِيمُ ابْنُ الْكَرِيمِ ابْنِ الْكَرِيمِ ابْنِ الْكَرِيمِ يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ- عَلَيْهِمُ السَّلَامُ-**". (٣)

---

(١)تنوير المقباس لفيروز أبادي (ص: ٢٥٧)

(٢) التفسير الميسر نخبة من أساتذة التفسير الطبعة: الثانية، مزيدة ومنقحة، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩ م، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - السعودية. (١/ ٣٠٨)

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب العلم باب قَوْلِهِ {وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ} حديث رقم ٤٦٨٨(٤/ ١٤٩)

المبحث الثالث

قصص الأقوام السابقين مع أنبيائهم في ضوء السورة والعبر المستفادة منه

الناظر في آيات القرآن الكريم التي تحدثت عن قصص الأقوام السابقين مع أنبيائهم يجد أن القرآن الكريم بين ووضح كيف كان حال هذه الأقوام مع أنبيائهم، والمتأمل في قوله تعالى﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فِيٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾ ﴾إبراهيم، نجد أن الآية أثبتت ﴿ مِن ﴾ في قوله تعالى: ﴿ مِن قَبْلِكُمْ ﴾، لأن المراد أقوام مخصوصون لم تستغرق أعمارهم الزمان كله، بل جاء قوله تعالى﴿ قَوْمِ نُوحٍ ﴾ بدلاً من الاسم الموصول ﴿ ٱلَّذِينَ ﴾، وقوله قوم نوح وعاد وثمود، تفصيل للإجمال في قوله تعالى﴿ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾، فنلحظ مراعاة الترتيب الزمني في ذكر هؤلاء الأقوام، ونص على هؤلاء الثلاثة؛ لأن قوم نوح كانوا أكثر عدداً، وقوم عاد كانوا أشد الناس أبداناً وأثبتهم جناناً –قلوباً–، واقرأ خطاب هود عليه السلام لهم﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾الأعراف. وفي قوله ﴿ وَعَادٍ وَثَمُودَ ﴾مجاز مرسل، إذ أطلق على كل منها وأريد ذريتها وهما قبيلتا عاد وثمود، قوما هود وصالح ، وأثبتت﴿ مِنۢ ﴾ في قوله تعالى ﴿ مِنۢ بَعْدِهِمْ ﴾؛ لأن المراد بعض هؤلاء وفي قوله تعالى﴿ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾إبراهيم: ٩ ، كناية عن كثرة عددهم.

أما ثمود فكانوا أمهر الناس في نحت الصخور وبناء القصور، كما يدل عليه قوله تعالى على لسان صالح –عليه السلام– فخاطب قوم ثمود:﴿ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾الأعراف. (١)

ومن خلال هذا المبحث سأذكر قصص الأنبياء المذكورين في السورة؛ ولنأخذ منها العظات والعبر .

---

(١) انظر تأملات في سورة إبراهيم، تفسير بلاغي تطبيقي ،د. عادل أحمد صابر الرُّوَيني ،ط١، ١٤٣٤–٢٠١٣، الناشر جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم. (ص٩٢).

قصة موسى عليه السلام:

"ذَكَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى موسى عليه السلام فِي مَوَاضِعَ مُتَفَرِّقَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ. وَذَكَرَ قِصَّتَهُ فِي مَوَاضِعَ مُتَعَدِّدَة مبسوطة ومتوسطة ومختصرة في أول القرآن وأوسطه وآخره".(١)

وما أريد أن أقوله: إن قصة سيدنا موسى عليه السلام وردت في آيات كثيرة في القرآن الكريم وهي من أكثر قصص الأنبياء وروداً في القرآن الكريم، فقد وردت في سورة: إبراهيم عليه السلام، والإسراء، والدخان، والنازعات، وغيرها من السور.

ففي سورة إبراهيم قال تعالى:﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّـٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾ ﴾ إبراهيم، وفي سورة الإسراء: ﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ وَجَعَلْنَـٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴿٢﴾ ﴾ الإسراء، وقال :﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَـٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ ﴾ الإسراء، وفي سورة الدخان قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ ﴾ الدخان، وقال تعالى في سورة النازعات: ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾ النازعات، فموسى عليه السلام له خصائص عظيمة لم يعطها غيره من الأنبياء حيث كلمه الله، وغير ذلك من صفات الأنبياء التي وردت في السورة.

وقال تعالى﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾القصص، فرعون تجبر في الأرض "إِنَّ فِرْعَوْنَ تَجَبَّرَ في الأرض وَعَتَا وَبَغَى، وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا على الآخرة، وَأَعْرَضَ عَنْ طَاعَةِ الله.

(١) قصص الأنبياء أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، الطبعة: الأولى، ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م الناشر: مطبعة دار التأليف - القاهرة. (٢/ ٣).

وَجَعَلَ أَهلهَا شيعًا، ومن طغيانه أن قَسَّمَ رَعِيَّتَهُ إِلَى أَقْسَامٍ، وَفِرَقٍ وَأَنْوَاعٍ، يستضعف طَائِفَة مِنْهُم، وَهُمْ شَعْبُ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ هُمْ مِنْ سلالة نَبِي الله يَعْقُوب بْن إِسْحَق بْنِ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ اللَّهِ، وَكَانُوا فيذَلكَ الوقت هم خِيَارَ أهلِ الأرضِ.

وَقد سلط عَلَيْهِمْ طاغية ظَّالِماً متجبراً متكبراً كَافِراً، استعبدهم فِي أخس الصَّنَائِع والأعمال الوضيعة الصغيرة وَمَعَ هَذَا كله ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ ﴾ القصص، يذبحون من وجد من أبنائهم ويتركون إناثهم وكان السبب الذي حمل فرعون على هَذَا الصَّنِيعِ الْقَبِيحِ أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانُوا يَتَدَارَسُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ مَا يأثرونه عَن إِبْرَاهِيمعليه السلام، أَنَّهُ سَيَخْرُجُ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ غُلَامٌ يَكُونُ هَلَاكُ مَلِكِ مِصْرَ عَلَى يَدَيْهِ.

وَذَلِكَ – وَالله أعلم – حِينما جَرَى عَلَى سَارَّةَ امْرَأَةِ الْخَلِيلِ مِنْ مَلِكِ مِصْرَ، مِنْ إِرَادَتِهِ إِيَّاهَا عَلَى السُّوءِ وَعِصْمَةِ اللَّهِ لَهَا. وَهَذِهِ الْبِشَارَةُ اشْتُهِرَت فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَتَحَدَّثَ بِهَا الْقِبْطُ فِيمَا بَيْنَهُمْ، هنا وصلت هَذِهِ الْبِشَارَةُ إِلَى فِرْعَوْن في مجلس مسامرتهُ أُمَرَاءِهِ وَأَسَاوِرَتِهِ وَهُمْ عِنْدَهُ، فَأَمَرَ بِقَتْلِ أَبْنَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، حَذَرًا مِنْ وُجُودِ هَذَا الْغُلَامِ، ورواية أخرى عَنْ الصَّحَابَةِ: أَنَّ فِرْعَوْنَ رَأَى فِي مَنَامِهِ، كَأَنَّ نَارًا قَدْ أَقْبَلَتْ مِنْ نَحْوِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، فَأَحْرَقَتْ دَوْرَ مِصْرَ وَجَمِيعَ الْقِبْطِ وَلَمْ تَضُرَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وكان من أقوال الكهنة والحذقة والسحرة هَذَا غُلَام يُولد من بني إسرائيل، يَكُونُ سَبَبَ هَلَاكِ أَهْلِ مِصْرَ عَلَى يَدَيْهِ، فَلِهَذَا أَمَرَ بِقَتْلِ الْغِلْمَانِ وَتَرْكِ النِّسْوَانِ".(١)

"أما سورة إبراهيم – عليه وعلى نبينا صلاة الله وسلامه – فقد جاء فيها إشارة إلى الحديث عن موسى وبني إسرائيل، ومن بديع حُسن الموضوع وجماله وروعة البراعة: أن تكون في سورة إبراهيمعليه السلام إشارة إلى بني إسرائيل الذين ينتسبون إليه.﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّـٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾ ﴾إبراهيم: ٥، يذكر موسى قومه امتثالاً لأمر ربه بقوله:﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ ﴾ إبراهيم: ٦، وهذه العبارة يبدأ موسى بها بني إسرائيل بأكثر من موضعكما سنعرف ذلك إن شاء الله، وما نظن ذلك إلا لأنه رأى منهم تفريطهم في النعم ومجانبتهم للحق في شكرها، فهو دائماً يذكرهم بهذه النعم، ومن أعظمها نعمة الحرية، ورفع نير الاستعباد وهذا الاستعمار، ولهذا وجدنا موسى عليه السلام يذكر أول ما يذكر هذه النعم بقوله﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾ ﴾إبراهيم، لكن موسى يحس جحود

(١) انظر قصص الأنبياء (ص٢١٥-٢١٦) بتصرف

قومه وكفرهم بآلاء الله ونعمه فيقول – كما حدثنا القرآن–﴿ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكۡفُرُوٓاْ أَنتُمۡ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ٨ ﴾إبراهيم، وقد بين عاقبة الشكر والكفران﴿ وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ ٧ ﴾إبراهيم، بهذه العبارات الهادفة الهادرة وبتحذير موسى قومه عاقبة ما حل بالأقوام السابقة .(١)

"تحدى الله فرعون بمعجزات أجراها على يدى موسى عليه السلام؛ حتى يؤمن هو ومن معه، ولكن زادهم ذلك جحوداً وكبرياء وجبروتاً، قال تعالى:﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ ﴾،أي موسى نبي بني إسرائيل﴿ بِـَٔايَٰتِنَآ ﴾أي بحججنا وأدلتنا الدالة على رسالته والهادية إلى ما يدعو إليه وهي تسع آيات منها اليد والعصى﴿ أَنۡ أَخۡرِجۡ قَوۡمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾أي أخرج قومك من ظلمات الشرك إلى نور التوحيد،﴿ وَذَكِّرۡهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِۚ ﴾أي وقلنا له: ذكرهم بأيام الله وهي بلاؤه ونعمه إذ أنجاهم من عذاب آل فرعون وأنعم عليهم بمثل المن والسلوى؛ وذلك ليحملهم على الشكر لله بطاعته وطاعة رسوله، وقوله تعالى:﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ ٥ ﴾ أي إن في ذلك التذكير بالبلاء والنعماء لدلالات يستدل بها على إفضال الله وإنعامه الموجب للشكر، ولكن الذين يجدون تلك الدلالات في التذكير هم أهل الصبر والشكر بل هم الكثيروا الصبر والشكر، وأما غيرهم فلا يرى في ذلك دلالة ولا علامة".(٢)

"وكذلك معاناة موسى عليه السلام في الحقيقة لم تتوقف عند فرعون وجبروته وظلمه، بل هي تضاعفت بسبب قومه من بني إسرائيل المطبوعين على الذلة والخسة والجدال والطباع الدنيئة، ولم يكونوا ليتخلوا عن ذلك ولا حتى مع نبيهم الذي أرسل لتخليصهم من حياة الذل والقهر، وفي الحقيقة كان موسى وهارون–عليهما السلام– يحاربان على الجبهتين، فمع فرعون وكهنته والمصريين حدثت وقائع عديدة مما أخبر الله من دعوته فرعون للإيمان ومناظراتهم وتهديد فرعون له بالسجن فإظهار آيات اليد والعصا، فتحدى فرعون بسحرته في يوم الزينة، وتأييد الله لموسى بآية العصا، ثم بإيمان السحرة مع موسى، ثم قتل فرعون لهم وصلبهم لترهيب الناس، ثم أمر فرعون لهامان ببناء الصرح الشاهق ليرى إله موسى. وقيل: إن هذا استهلك عدداً من السنين. وفى داخل بلاط فرعون ووراء جدران المعابد زاد قادة فرعون وكهنته من تأليبهم له على موسى وقومه؛ خوفاً على منافعهم ومناصبهم واستغلالهم لبنى إسرائيل في الخدمة والصناعات

---

(١) القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته، د. فضل حسن عباس ،(ص٢٩٤–٢٩٥).

(٢) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، الطبعة : الخامسة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م الناشر : مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية(٣/ ٤١)

والأعمال الدنية، فزاد فرعون بدوره في إيذاء بني إسرائيل، واستمر في تعذيبهم وعاد لتقتيلهم ويدل على ذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ۖ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾ ﴾الأعراف، وليقيم الله الحجة على فرعون وملئه أكثر وأكثر ، توالى تأييده سبحانه لموسى وبني إسرائيل بعجائب الآيات العديدة من القحط والجدب ونقص الثمار والطوفان والجراد والدم والقمل والضفادع والمسخ وغيرها من الآيات البينات علَّ فرعون يرعوي أو يتعظ، وفى كل مرة يطلب المصريون من موسى رفع البلاء عنهم وأنهم سيتركون له بني إسرائيل يخرجون معه، ثم يعودون كما كانوا وأكثر، واستمر ذلك سنوات عديدة أيضاً ، وقال بعضهم: بلغ ذلك عشرين عاماً من الدعوة والآيات والنكث ولا حياة لمن تنادى". (١)

قال الشعراوي: " كان هذا الوحي لموسىعليه السلام بعد أنِ انتهت المعركة، وانتصر فيها معسكر الإيمان، أما فرعون فقد خسر سلاحاً من أهمِّ أسلحته وجانباً كبيراً من سَطْوته وجبروته.

وهنا جمع موسى بني إسرائيل، وهم بقايا ذرية آل يعقوب ليذهب بهم إلى أرض الميعاد، وسرعان ما أعدَّ فرعون جيشه وجمع جموعه، وسار خلفهم يتبعهم إلى ساحل البحر، فإذا بموسى وقومه مُحَاصرين: البحر من أمامهم، وفرعون بجيشه من خلفهم، وليس لهم مَخْرج من هذا المأزق".(٢)

أطال اللهعز وجل في قصة موسى عليه السلام مع فرعون وقومه بما لم يوجد في قصة غيرها من قصص الأنبياء؛ لما فيها من دروس وعبر عظيمة يستفاد منها وسأذكر بعضاً منها:

١- الطاغية في النهاية يهزمه الله ويجعله عبرة لمن يعتبر ، فيجعل نهايته مؤلمة .

٢- من تمسك بدين الله ودافع عنه سيفوز فوزاً عظيماً، ونهايته التمكين في الأرض.

٣- كل ما جاء موافق للشرع اتخذناه منهجاً للحياة.

٤- الدعوة إلى الله والإصرار على دخول الناس في هذا الدين لما يحقق لنا من سعادة.

---

(١) بنو اسرائيل ووعد الآخرة، محمد فوزي محمد أبو زيد،ط١ ، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م، الناشر دار الإيمان والحياة مصر، (ص٢٠-٢١)

(٢) تفسير الشعراوي (ص: ٢٤٠٨)

٥- تذكير الناس بنعم الله وعطاياه حتى نقربهم لهذا الدين.

٦- تأييد الله بالمعجزات للنبي المرسل على عظمة هذا الدين وعلى معيةالله مع العبد الصالح.

٧- الحاشية الصالحة سبب لإصلاح الأمة والحاشية الفاسدة سبب هلاك الأمة بأكملها.

٨- الابتلاء أحياناً يكون نعمة من الله وأحياناً نقمة.

٩- المنتصر دائماً معسكر الإيمان.

١٠- إن أراد الله أمراً هيأ أسبابه ويسر وسائله.

١١- الإيمان إن خالطت بشاشة القلوب، ضحى الإنسان بكل شيء:﴿ قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ ﴾طه.

١٢- الحق دائماً له أنصار.

١٣- سنن الله اقتضت في هذه الحياة أن يجعل نصره وثوابه في النهاية للأخيار من عباده، والخذلان والعقاب للأشرار، وهذا يحتاج دائماً إلى تأييد الله.

١٤- اللين في الدعوة والملاحظة حتى مع أكثر الطغاة والمتجبرين.

١٥- الطغاة والمتجبرون يقاتلون الحقب كل ما يملكون من سلاح ويزعمون أنهم مغلوبون كما قال الله﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾الشعراء.

١٦-الطاغية يستعين بأتباعه﴿ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾الزخرف.

١٧- الباطل لا يدوم وهذا ما حصل مع السحرة فكانت النتيجة إيمانهم.

١٨- كثير من الناس تغفل عن آيات الله الدالة على وحدانيته

١٩- إن الدعاة لا يخافون من آلة التهديد من الظالمين قال تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ يوسف؛ لأن بني إسرائيل كانوا رجالاً صالحين يقاتلون في سبيل الله لكن منهم من خاف من البطش الذي سيقع عليه.

٢٠- فتن الدنيا تدعو النفس إلى الهلع ومحبة البقاء، كما حدث مع بني إسرائيل قال تعالى:﴿ قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ ﴾ الأعراف.

قصة إبراهيم عليه السلام

إبراهيمعليه السلام خليل الرحمن أبو الأنبياء -عليهم السلام- من أولي العزم من الرسل حطم الأصنام ودعا أباه وقومه إلى توحيد الله وجاهد في الله حق جهاده وصبر على الأذى في سبيل اللهﷻ ، وأمره الله بذبح ابنه قرة عينه فامتثل لأمر الله طائعاً مستسلماً وبنى بيت الله العتيق الذي لا تصح صلاتنا إلا بالتوجه إليه.

" فهو إمام الحنيفية ففي سورة إبراهيم عليه السلام جاء الحديث فيها عن إبراهيم جاء في سلسلة هذه الإلزامات الكثيرة التي تنعي على أهل مكة وغيرهم من العرب مع استمرارهم في عبادة الأصنام ،وكان من حقهم أن يعبدوا الله الذي منّ عليهم بهذا الأمن في بلدهم، وأن يتذكروا دعوة إبراهيم حينما سأل ربه أن يجعل هذا بلداً ءامناً، وأن يجنبه وبنيه عبادة الأصنام، ويصرفهم عنها؛ فإنها أضلت كثيراً من الناس وبين إبراهيم عليه السلام بأن الرابطة الحقيقية التي تربط بنيه به إنما هي رابطة العقيدة﴿ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي ﴾إبراهيم: ٣٦، كما تبين الآيات الكريمة حرص إبراهيم على هذا البلد الآمن وساكنيه كل ذلك من أجل أن يشكروا نعم الله عليهم فلا يكفروها ولا يكفروا بالله الذي أنعم بها، ويعطي القدوة في نفسه على هذا الشكر، فهو يحمد الله الذي وهب له على الكبر ولديه إسماعيل وإسحاق، ويسأل ربه سميع الدعاء أن يجعله مقيم الصلاة ومن ذريته كذلك، وأن يغفر له ولوالديه وللمؤمنين، فنحن نرى أن ما جاء في سورة إبراهيم عليه السلام كان جانباً جديدا في خبر إبراهيم، فهو متناسق مع موضوع السورة من جهة ومع شخصيتها واسمها من جهة أخرى."(١)

يقول تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي ۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾ ﴾إبراهيم، "إبراهيم عليه السلام كان لين القلب كما قال فيه عز وجل:﴿ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ ﴾، وهذا دلالة على لينه عليه السلام وحرصه الشديد على إيمان الناس بقوله تعالى:﴿ فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ ﴾ قادر على أن تغفِرَ له وترحَمه ابتداءً أو بعد توبتِه، وفيه أن كل ذنبٍ فلَّله تعالى أن يغفرَه حتى الشركُ، خلا أن الوعيدَ قضى بالفرق بينه وبين غيره"(٢)

هذا النبي العظيم صاحب الخلق الحسن والقلب اللين أعطاه الله –تبارك وتعالى– نعم كثيرة وخصائص كثيرة أعطاه الإمامة في الدين بقوله﴿ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾البقرة: ١٢٤،ونسب سبحانه المنة له بقوله﴿ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ ﴾الحج: ٧٨، وأعطاه الله رشده وفطرته وكمال عقله من صغره ﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾الأنبياء، جعل الله من مقامه مصلى﴿ وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ

(١) القصص القرآني إيحائه ونفحاته فضل حسن عباس(ص ١٥٦–١٥٧).

(٢) تفسير أبي السعود (٥/ ٥١)

﴿إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ البقرة: ١٢٥، ومن كرامات الله العظيمة لهذا النبي الذي سنتناول قصته في سورة إبراهيم أول من يكسى من الخلائق يوم القيامة، وجاء أثر عن مجاهد عن ابن عباسأن إبراهيم يؤتى له بكرسي على يمين العرش، فيكسى حلة تشرئب إليه أعناق البشر، وهنا في سورة ابراهيم في ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾ إبراهيم، إبراهيم يخشى على نفسه وذريته عبادة الأصنام فإبراهيم عليه السلام هو صاحب القلب اللين والعقيدة الثابتة، وهو أبو الأنبياء ومن أولي العزم من الرسل، وهو إمام للناس أعطاه الله رشده وجعل مقامه مصلى، وهو الذي بنى البيت يخاف على نفسه وذرتيه من الشرك، بقوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾ إبراهيم، والسلف مما قالوه من يأمن الفتنة بعد قول إبراهيم عليه السلام ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾ ما أعظمك من نبي إذ ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ﴾ أي " أيها المحسن إليّ بإجابة دعائي في جعل القفر الذي وضعت به ولدي بلداً عظيماً ".(١)

"بدأ إبراهيم دعاءه: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾ فنعمة الأمن نعمة ماسة بالإنسان، عظيمة الوقع في حسه، متعلقة بحرصه على نفسه. والسياق يذكرها هنا ليذكر بها سكان ذلك البلد، الذين يستطيلون بالنعمة ولا يشكرونها وقد استجاب الله دعاء أبيهم إبراهيم فجعل البلد آمناً، ولكنهم هم سلكوا غير طريق إبراهيم، فكفروا النعمة، وجعلوا لله أنداداً، وصدوا عن سبيل الله. ولقد كانت دعوة أبيهم التالية لدعوة الأمن: ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ ويبدو في دعوة إبراهيم الثانية تسليم إبراهيم المطلق إلى ربه، والتجاؤه إليه في أخص مشاعر قلبه. فهو يدعوه أن يجنبه عبادة الأصنام هو وبنيه، يستعينه بهذا الدعاء ويستهديه. ثم ليبرز أن هذه نعمة أخرى من نعم الله. وإنها لنعمة أن يخرج القلب من ظلمات الشرك وجهالاته إلى نور الإيمان بالله وتوحيده".(٢)

"وأجاب الحق سبحانه دعاء إبراهيم فصار المكان بلداً؛ وجعله سبحانه آمناً أماناً عاماً؛ لأن الإنسان في أيّ بُقْعة من بقاع الأرض لا يتخذ مكاناً يجلس فيه ويقيم ويتوطّن إلا إذا ضمن لنفسه أسباب الأمن من مُقوّمات حياة ومن عدم تفزيعه تفزيعاً قوياً، وهذا الأمن ملطوب لكل إنسان في أيّ أرض."(٣) اللهم ارزقنا الأمن والأمان في فلسطين وفي كل بلاد المسلمين.

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة . (١٠/ ٤٢٤)

(٢) في ظلال القرآن، لسيد قطب،(٤/ ٢١٠٩)

(٣) تفسير الشعراوي (١٢/ ٧٥٦٤)

ويقول المفسر السعدي: " ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ﴾ أي: الحرم ﴿ ءَامِنًا ﴾ فاستجاب الله دعاءه شرعاً وقدراً، فحرمه الله في الشرع ويسر من أسباب حرمته قدراً ما هو معلوم، حتى إنه لم يرده ظالم بسوء إلا قصمه الله كما فعل بأصحاب الفيل وغيرهم.(١)

طلب إبراهيم عليه السلام من ربه الأمان في هذا البلد فاستجاب الله دعاءه فأمنه في هذا البلد، وطلب إبراهيم من ربه بقوله: ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾، وما قاله الجزائري في تفسيره :" أي اجعل مكة بلدا آمنا يأمن كل من دخله، أبعدني أن نعبد الأصنام: عن أن نعبد الأصنام.

أضللن كثيرا من الناس: أي بعبادتهم لها، من تبعني فإنه مني: أي من اتبعني على التوحيد فهو من أهل ملتي وديني". (٢)

وهنا يقول الجزائري في تفسيره: " الذرية أي من بعض ذريتي وهو إسماعيل مع أمه هاجر".(٣)

﴿ وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾،" باعِدْنِي، وَبَاعِدْ بَنِيَّ عَنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ قِيلَ: أَرَادَ بَنِيهِ مِنْ صُلْبِهُ وَكَانُوا ثَمَانِيَةً، وَقِيلَ: أَرَادَ مَنْ كَانَ مَوْجُودًا حَالَ دَعْوَتِهِ مِنْ بَنِيهِ وَبَنِي بَنِيهِ، وَقِيلَ: أَرَادَ جَمِيعَ ذُرِّيَّتِهِ مَا تَنَاسَلُوا، وَيُؤَيِّدُ ذَلِكَ مَا قِيلَ مِنْ أَنَّهُ لَمْ يَعْبُدْ أَحَدٌ مِنْ أَوْلَادِ إِبْرَاهِيمَ صَنَمًا". (٤)

وقد استجاب الله دعوة إبراهيم عليه السلام فكانت مكة بلداً آمناً على الدوام للإنسان والطير، والنبات والشجر.

والطلب الثاني في هذا الدعاء: جعل العبادة خالصة لله تعالى على منهج التوحيد، واجتناب عبادة الأصنام، والأصنام هي المنحوتة على خلقة البشر، وما كان منحوتا على غير خلقة، فهي أوثان. وكانت هذه الأصنام سببا للضلال، وعرضة للإضلال والغي، وسوء الأعمال وانحدار مستوى الكرامة الإنسانية. فمن صدّق إبراهيم عليه السّلام في دينه واعتقاده وسار على منهجه في الإيمان بالله والتوحيد الخالص لله، فإنه على سنّة إبراهيم وطريقته. ومن خالفه وعصاه فهو ليس على ملّة إبراهيم، وأمره إلى الله الغفور الرحيم، وهذه شفاعة في العصاة غير الكفار. ".(٥)

" وبأمر من الله – تبارك وتعالى– أسكن ذريته إسماعيل وأمه هاجر بواد غير ذي زرع مكة المكة، ومن قوله تعالى في قول سيدنا إبراهيم عليه السلام: ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى ﴾. في هذه القصة لسيدنا إبراهيم ومرحلة إسكانه لذريته في مكان أمره الله باسكان ذريته فيه، ونفهم من التعبير في هذه الآية أن المكانَ لا يصلح للزرع؛ ذلك أنه أرض صَخْرية، وليست أرضاً يمكن استصلاحها،

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٤٢٦)

(٢) أيسر التفاسير للجزائري (٣/ ٦١)

(٣)المرجع السابق (٣/ ٦٢) بتصرف

(٤) فتح القدير للشوكاني (٣/ ١٣٤)

(٥) التفسير الوسيط للزحيلي (٢/ ١٢٠٣).

وقَوْل إبراهيم عليه السلام: ﴿ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ ﴾إبراهيم: ٣٧، أي: لا أملَ في زراعتها بمجهود إنساني، وليس أمام وجود الرزق في هذا المكان إلا العطاء الرباني. ولم يكُنْ اختيار المكان نتيجة بَحْثٍ من إبراهيم –عليه السلام– ولكن بتكليف إلهيّ، فسبحانه هو الذي أمر بإقامة القواعد من البيت المحرم، وهو مكان من اختيار الله، وليس من اختيار إبراهيم –عليه السلام–.

فهذا يعني حيثية الرِّضا بالتكليف، وما دام هذا أمراً تكليفياً يجب أنْ يُنفّذ بعشق؛ فهو يأخذ ثوابين اثنين؛ ثواب حُبّ التكليف؛ وثواب القيام بالتكليف. "[١] "هنا ليقيموا الصلاة ياربنا كي تؤدّى فرائضك من الصلاة التي أوجبتها عليهم في بيتك المحرّم".[٢]

قال ابن عباس:" ﴿لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ لكي يتموا الصلاة نحو الكعبة".[٣]

"﴿ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ متوجّهين إليه متبرّكين به وهو متعلقٌ بأسكنتُ وتخصيصُها بالذِّكرِ من بين سائر شعائرِ الدينِ لفضلها وتكريرُ النداءِ وتوسيطُه لإظهار كمالِ العنايةِ بإقامة الصلاةِ والاهتمامِ بعرضِ أن الغرضَ من إسكانهم بذلك الوادي البلقعِ ذلك المقصدُ الأقصى والمطلب الأسنى وكلٌّ ذلك لتمهيد مبادى إجابة دعائه وإعطاء مسئوله الذي لا يتسنى ذلك المرامُ إلا به ". [٤]

﴿ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ ﴾ "يقول – تبارك وتعالى– في ذكر دعاء سيدنا إبراهيم عليه السلام فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ لو قال عليه السلام فاجعل أفئدة الناس تهوي إليهم من بغير من لما بقى على ظهر الأرض إنسان إلا وذهب إليهم بقلبه ولبه، انظر آية٦٠ من سورة غافر ﴿ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾،وقد استجاب الله لإبراهيم عليه السلام دعاءه؛ فحملت الثمار من سائر الأقطار إلى الحرم قبل أن يتذوقها."[٥]

يقول ابن كثير في تفسيره: لَوْ قَالَ: "أَفْئِدَةَ النَّاسِ" لَازْدَحَمَ عَلَيْهِ فَارِسُ وَالرُّومُ وَالْيَهُودُ وَالنَّصَارَى وَالنَّاسُ كُلُّهُمْ، وَلَكِنْ قَالَ:﴿ مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾ فَاخْتَصَّ بِهِ الْمُسْلِمُونَ".[٦]

قال الطبري: "لا يجوز لأحد أن يتعلق بهذا في طرح ولده وعياله في أرض مضيعة اتكالا على العزيز الرحيم واقتداء بفعل إبراهيم الخليل كما تقول غلاة الصوفية في حقيقة التوكل فإن ابراهيم فعل ذلك بأمر الله لقوله في الحديث آلله أمرك بهذا؟ قال: نعم"[٧].

---

(١) تفسير الشعراوي (١٢/ ٧٥٧٥– ٧٥٧٤).

(٢) تفسير الطبري،(١٧/ ٢٥).

(٣) تنوير المقباس، لفيروز أبادي،(ص: ٢١٤)

(٤) تفسير أبي السعود (٥/ ٥٢)

(٥) أوضح التفاسير، لمحمد الخطيب (١/ ٢٣)

(٦) تفسير ابن كثير(٤/ ٥١٤)

(٧) تفسير الطبري (١٧/ ١٩)

﴿ وَٱرۡزُقۡهُم ﴾ " أى ذريتى الذين أسكنهم هناك أو مع من ينحاز إليهم من الناس وإنمالم يخصَّ الدعاء بالمؤمنين منهم كما في قوله وارزق أَهْلَهُ مِنَ الثمرات مَنْ آمن مِنْهُم بالله واليوم الأخر اكتفاءً بذكر إقامة الصلاة ﴿ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾من أنواعها بأن يجعل بقربٍ منه قرًى يحصُل فيها ذلك أو يجبى إليه من الأقطارِ الشاسعةِ وقد حصل كلاهما حتى إنه يجتمعُ فيه الفواكهُ الربيعيةُ والصيفيةُ والخريفيةُ في يومٍ واحدٍ ".(١)

" فهم في مكان لا يمكن زراعته. وقد تقبَّل الحق سبحانه دعاءَ إبراهيم عليه السلام؛ ووجدنا التطبيق العملي في قوله الحق: ﴿ أَوَلَمۡ نُمَكِّن لَّهُمۡ حَرَمًا ءَامِنٗا يُجۡبَىٰٓ إِلَيۡهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيۡءٖ رِّزۡقٗا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾القصص ."(٢)

" فإن قلوب بعض الناس عندما تهفوا إلى مكة وتميل إلى الحج والعمرة تكون سببا في نقل الأرزاق والخيرات إلى مكة، وقوله: ﴿ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴾ دعاء آخر بأن يرزق الله بنيه من الثمرات ليشكروا الله تعالى على ذلك فوجود الأرزاق والثمرات موجبة للشكر، إذ النعم تقتضي شكراً."(٣)

قال ابن جرير: "يقول تعالى مخبراً عن إبراهيم خليله أنه قال:﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُۗ ﴾أي أنت تعلم قصدي في دعائي وما أردت بدعائي لأهل هذا البلد، وإنما هو القصد إلى رضاك والإخلاص لك، فإنك تعلم الأشياء كلها ظاهرها وباطنها لا يخفى عليك منها شيء في الأرض ولافي السماء، ثم حمد ربه عزَّ وجلَّ على ما رزقه من الولد بعد الكبر فقال: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلۡكِبَرِ إِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ ﴾إبراهيم."(٤)يقول: الحمد لله الذي رزقني على كبر من السنّ ولدي إسماعيل وإسحاق﴿ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ ﴾يقول: إن ربي لسميع دعائي الذي أدعوه به.(٥)

يقول القرطبي في تفسيره :﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلۡكِبَرِ ﴾" أَيْ عَلَى كِبَرِ سِنِّي وَسِنِّ امْرَأَتِي، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: وُلِدَ لَهُ إِسْمَاعِيلُ وَهُوَ ابْنُ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ سَنَةً. وَإِسْحَاقُ وَهُوَ ابْنُ مِائَةٍ وَاثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً. وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: بُشِّرَ إِبْرَاهِيمُ بِإِسْحَاقَ بَعْدَ عَشْرٍ وَمِائَةِ سَنَةٍ ﴿ رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ ﴾".(٦)

---

(١) تفسير أبي السعود(٥/ ٥٢)
(٢) تفسير الشعراوي (١٢/ ٧٥٧٧)
(٣) أيسر التفاسير للجزائري (٣/ ٦٢)
(٤) مختصر تفسير ابن كثير (٢/ ٤٧٠)
(٥) تفسير الطبري(١٧/ ٢٧)
(٦) تفسير القرطبي (٩/ ٣٧٥)

"وأخرج ابْن الْمُنْذر عَن ابْن جريج(رَحمهالله) فِي قَوْله:﴿ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ﴾قَالَ: فَلَنْ يزَال من ذُرِّيَّة إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلَام نَاس على الْفطْرَة يعْبدُونَ الله تَعَالَى حَتَّى تقوم السَّاعَة."(١)

﴿ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾" أَيْ مُحَافِظًا عَلَيْهَا مُقِيمًا لِحُدُودِهَا ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِى ﴾ أي واجعلهم كذلك مقيمين لها (يعني بذريته: بني إسماعيل الذين تناسلت فيهم عرب الحجاز. وقيل أيضاً عرب اليمن، وذريته اثنا عشر رجلاً وامرأة) ،﴿ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴾ أَيْ فِيمَا سَأَلْتُكَ فِيهِ ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ ﴾ ، وَكَانَ هَذَا قَبْلَ أَنْ يَتَبَرَّأَ مِنْ أَبِيهِ لما تبين عَدَاوَتُهُ لِلَّهِ ﷻ ﴿ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾{وَلِلْمُؤْمِنِينَ} أَيْ كُلِّهِمْ."(٢)

﴿ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾"يدعو الإنسان للمؤمنين بالمغفرة؛ كما دعا إبراهيم عليه السلام؛لأنهم كانوا صُحْبة له وقُدْوة، وتواصى معهم وتواصوا معه بالحق والصبر، وكأن إبراهيم – عليه السلام – صاحب الدعاء يدعو للمؤمنين من ذريته؛ وتلك دعوة وشفاعة منه لمَنْ آمن، ويرجو الحقَّ–سبحانه– أنْ يتقبلها يوم يقوم الناس للحساب يكون حساب الخلائق"،(٣)

"كل امرئ بما كسب رهين، وكل إنسان يحاسب على أفعاله ما كان سراً أو جهراً.﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴾يوم يكون الحساب وتقوم الحسنة والسيئة فمن زادت له الحسنة وجبت له الجنة ومن زادت له السيئة وجبت له النار، ومن استوت له حسنة وسيئة فهو من أصحاب الأعراف".(٤)

العبر المستفادة من قصة إبراهيم عليه السلام

١– الدعوة إلى الله ﷻ، قال تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ يوسف.

٢– الصبر على المصائب وتحمل الأذى، حسبنا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار. (٥)

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، الناشر: دار الفكر بيروت. (٥/ ٤٩)

(٢) مختصر تفسير ابن كثير (٢/ ٤٧٠)

(٣) تفسير الشعراوي (١٢/ ٧٥٨٦)

(٤) تنوير المقباس لفيروز أبادي، (ص: ٢١٥)

(٥) انظر موقع طريق الإسلام http://akhawat.islamway.net/forum/index.php?showtopic=278400&st=40بتصرف

٣- الهجرة في سبيل الله ، هاجر سيدنا عليه السلام من بلاده بابل في العراق إلى الأرض المقدسة ومن ثم إلى مصر ثم عاد إلى فلسطين قال تعالى: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾﴾ مريم.

٤- صدق التوكل على الله مع الأخذ بالأسباب وهذا ما فعلته أمنا هاجر أم إسماعيل عندما تركها إبراهيم عليه السلام وحيدة.

٥- الفزع للصلاة حال الخوف، وهذا ما حدث مع سيدنا إبراهيم حين ذهبت زوجته سارة إلى جبار مصر قام يدعو إلى الله عز وجل ويصلي له حتى عادت زوجته سالمة غانمة بفضل الله تعالى.

٦- الاستغفار بعد الفراغ من العبادة ،وهذا شأن الأتقياء الصالحين ، فبعد بناء البيت قال سيدنا إبراهيم وولده إسماعيل ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾﴾ البقرة.

٧- من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه ﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾﴾ مريم.

٨-جزاء الله العظيم للطائعين المخلصين. (١)

٩- دائماً أن ندعو الله ولا نصرفه لغيره سبحانه. (٢)

١٠- أن يطلب الإنسان من ربه الولد الصالح ويلح على الله بالدعاء بأن يعطيه ولد صالح ينتفع به ﴿رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾﴾ الصافات.

١١- اختيار الزوجة الصالحة.

---

(١) انظر مقال بعض الدروس المستفادة من حياة نبي الله إبراهيم عليه السلام كتبه سهام عبيد /http://ar.islamway.net/collection/10817

(٢) انظر التفسير الميسر (١/ ٢٠٥) بتصرف.

١٢- أن نتأدب بالدعاء مع الله، مع عدم العجلة.

١٣- أن الحلم سبب لتحبيب الناس في الدعاة إلى الله ؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾ التوبة.

١٤-كثرة الدعاء إلى الله فهو من أكرم وأعظم العبادات ولا شيء أكرم منه. (١)

١٥- المشاورة منهج أهل التقوى قال تعالى ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ آل عمران: ١٥٩، وهذا مستنبط من قول سيدنا إبراهيم لولده ﴿مَاذَا تَرَىٰ﴾ الصافات: ١٠٢، وهذا درس في منهج الشورى في الأسرة والمجتمع والدولة.

١٦- أعظم الضلال محاولة الانحراف في سبيل الله وجعله عوجا.

١٧- الصبر على الأذى في سبيل الله تعالى والثبات على الدين دليل الإيمان ،وحب الله تعالى .

١٨- خطورة تقليد الآباء وإتباعهم على ما هم فيه من الباطل وأخطر ما يكون هذا في العقيدة. (٢)

١٩- طلب المؤمن للثناء الحسن من بعده لا يتعارض مع إخلاصه لله ولا مانع فيه.

٢٠- السخاء والكرم من صفات الأنبياء والصالحين.

قصة سيدنا إسماعيل عليه السلام:

قال تعالى : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾﴾ إبراهيم، سنتكلم بإذن الله- تبارك وتعالى- عن قصة سيدنا إسماعيل في سورة إبراهيم هو ابن إبراهيم البكر، وولد أمنا هاجر -عليها السلام-، حيث سار إبراهيم ووضعها وابنها إسماعيل بواد غير ذي زرع في موضع من مكة.

---

(١) انظر تفسير الشعراوي (٩/ ٥٥٣٥)بتصرف

(٢) مقال بعنوان للدعاة : اثنتا عشرة وسيلة لكتم الغيظ، د. قذلة بنت محمد القحطاني /http://www.saaid.net

ذكر الله تبارك وتعالى في كتابه العظيم ثلاث مشاهد مر بها سيدنا إسماعيل عليه السلام، وما من مشهد إلا وكان عبارة عن محنه واختبار لكل من إبراهيم وإسماعيل –عليهما السلام–.

المحنه الأولى: هي أمر الله إبراهيم وإسماعيل –عليهما السلام– وأمه في واد مقفر غير ذي زرع لا ماء ولا طعام، فما كان من سيدنا إبراهيم إلا الاستجابة لهذا الأمر الرباني.

سار سيدنا إبراهيم وابتعد عن أمنا هاجر وعن ابنه إسماعيل وأخفي الجبل رؤية إسماعيل وأمه، وهنا رفع إبراهيم عليه السلام يديه إلى السماء وقال﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٖ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ٣٧ ﴾إبراهيم. "وقال إبراهيم خليل الرحمن هذا القول حين أسكن إسماعيل وأمه هاجَرَ– فيما ذُكِر– مكة."[1]

رزق الله سيدنا إبراهيم رغم كبر سن زوجته قال ابن عباس : "ولد إسماعيل وهو ابن تسع وتسعين سنة"،[2] لم يكن بيت الله قد أعيد بناؤه بعد، ولم تكن الكعبة قد بنيت، وكانت هناك حكمة عليا من عند الله عندما أمر الله إبراهيم أن يضع ابنه إسماعيل في موضع من مكة .

فإسماعيل عليه السلام تُرك مع أمه في هذا المكان القفر لا ماء ولا زرع ولا مقومات حياة، ولا ندري أن هناك حكمةً عظيمةً عند الله أن إسماعيل ووالدته من سيكونان المسئولين عن بناء الكعبة فيما بعد، وكانت حكمة الله أن يسكن أحد في هذا الوادي، ليمتد إليه العمران... باقي القصة ذكرتها في قصة إبراهيم عليه السلام.

وعندما انفجرت تحت قدمي إسماعيل بئر زمزم وفار الماء من البئر أنقذت حياة الطفل والأم، الأم غرفت بيدها وشكرت الله وشربت وسقت طفلها إسماعيل، ومن هذه اللحظة بدأت الحياة تدب في هذه المنطقة القفر، كيف لا وهي القائلة: إذن لن يضيعنا الله، وعم الخير والبركة في هذا المكان، وجاءت قوافل إلى هذا المكان مع عديد من الناس لوجود الماء فيه ببئر زمزم، وبدأ بحمد الله العمران يملأ المكان.

أما **المحنة الثانية:** " لإسماعيل عليه السلام فهي الذبح عندما بشر إبراهيم عليه السلام بالغلام قال:﴿ فَبَشَّرۡنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٖ ١٠١ ﴾الصافات، وحليم صفة للغلام وهو سيدنا إسماعيل أنه حليم وأيُّ حِلْمٍ يُعادل حلمه عليه السلام حين عرض عليه أبوه الذبح فقال: يأبت افعل مَا تُؤمَرُ سَتَجِدُنِى إن شاء الله من

---

(١) تفسير الطبري ،(١٧/ ١٩)

(٢) تفسير الطبري (٣٧٥/٩)

الصابرين، وقيل: مانعتَ اللَّهُ الأنبياءَ–عليهم الصَّلاةُ والسَّلامُ–بأقلَّ ممَّا نعتهم بالحِلْمِ لعزَّةِ وجودهِ غيرَ إبراهيمَ وابنه إسماعيل".(١)

بدعاء سيدنا إبراهيم أن يهبه الله ولداً من الصالحين، فكانت الهبة هي ميلاد سيدنا إسماعيل، بغلام حليم، ذي حلم وصبر كثير يولد له، ولما بلغ من العمر ما أصبح يقدر منه على العمل كابن سبع سنين فأكثر بمعنى أصبح ذا رأي رشيد .(٢)

" كبر إسماعيل وشبّ وبلغ ابن ثلاث عشرة سنة، امتحن الله تعالى الأب إبراهيم والابن إسماعيل بقصة الذبح، وأعقب ذلك الامتحان بشارة أخرى بإسحاق نبيا من الصالحين، مباركا عليه وعلى إبراهيم". (٣)

فلما كبر إسماعيل ﷺ قال له أبوه إبراهيمﷺ: يابني، إني رأيت في المنام أني أذبحك، فما رأيك؟ أخبره بذلك ليستعدّ لتنفيذ أمر الله، ويثاب على انقياده وطاعته لربه، وليعلم صبره لأمر الله، فأجابه إسماعيل قائلاً: امض لما أمرك الله من ذبحي، وافعل ما أوحي إليك، سأصبر على القضاء الإلهي، وأحتسب ذلك عند الله ﷻ، فلما استسلم الأب وابنه لأمر الله وطاعته، وأسلما أنفسهما، أي فوّضا إلى الله في قضائه وقدره وألقى إبراهيم على الأرض ابنه على جنبه مستسلماً لقضاء الله وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ وضعه بقوة، وهنا نادى الملك إبراهيم من الخلف بعدئذ، وقد حصل المقصود من رؤياك، وتحقق المطلوب، وصرت صادقاً مصدّقاً بمجرد العزم، وإن لم تذبح.(٤)

الصبر سمة عظيمة من سمات سيدنا إسماعيل؛ فهو صابر على أي حال، وعلى كل حال وربما استعذب هذا الابن أن يموت ذبحاً بأمر من الله –تعالى–، وهنا تلتقي محبة الابن وأبيه لله، وإبراهيم ﷺ يكتشف أن ابنه ينافسه فيحب الله هنا إسماعيل يرقد ووجهه للأرض رحمة به كيلا يرى نفسه وهو يذبح؛ وهنا إبراهيم ﷺ يرفع السكين طائعاً لأمر ربه فلما أسلما وهذا هو إسلامنا العظيم أن نعطي لله كل شيء ولا يبقى شيء إلا نعطيه لله راضين مستسلمين، ومما أشعرني بمعية الله مع كل من يعطيه ويرضيه، أن سيدنا إبراهيم بعد أن قرر أن يذبح ولده طاعة وتسليماً لله بعد أن بلغ ولده إسماعيل ثلاث عشرة عاماً، وأكرمه الله بأن فدى إسماعيل بذبح

---

(١) تفسير أبي السعود، (٧/ ١٩٩)

(٢) انظر أيسر التفاسير للجزائري (٤/ ٤١٩)

(٣) التفسير الوسيط للزحيلي (٣/ ٢١٨٠)

(٤) انظر المرجع السابق (٣/ ٢١٨١) بتصرف يسير

عظيم في نفس الوقت بشره الله بشارة عظيمة بعد كشف هذا البلاء بولادة إسحاق، وما أعظم عطايا الله، وما أكثر رحماته على عباده المتقين.

المحنة الثالثة-اختبار كان صعباً:﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ ﴾البقرة، هذا الاختبار وهذه المحن لا تمس إبراهيم وإسماعيل -عليهما السلام-، بل تمس ملايين البشر من المسلمين إلى يوم القيامة، فهي مهمة صعبة جبارة وَكّلَ الله- تعالى- بها هذين النبيين الكريمين، فهذه المهمة مهمة بناء بيت الله تعالى في الأرض.

بلغ إسماعيل أشده هنا جاءه أبوه وطلب منه أن يلبي أمراً قد أمره الله به، فما كان رد ابنه إسماعيل إلا قوله: فاصنع ما أمرك به ربك، واستعد سيدنا إسماعيل لعون والده ومساعدته والوقوف معه جنباً إلى جنب، وكان ما أمر الله إبراهيم به وهو بناء بيت في صحن منخفض في هذا المكان؛ إذ إن إبراهيم كان يعرف بتوجيه من الله ببقعة خاصة من الوادي فيها بيت الله الحرام -أول بيت وضع للناسفي الأرض -، وهو كما دلت الروايات والتفاسير أنه أول بيت عبد فيه الله -تبارك وتعالى-.

وأول من هبط على الأرض آدم عليه السلام، وإليه يرجع فضل البيت الحرام أول مرة، لما ذكره "عُثْمَانَ بْنِ سَاجٍ، قَالَ: بَلَغَنِي أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، رضي الله عنه قَالَ لِكَعْبٍ: يَاكَعْبُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ، قَالَ كَعْبٌ: " أَنْزَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ السَّمَاءِ يَاقُوتَةً مُجَوَّفَةً مَعَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ لَهُ: يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا بَيْتِي أَنْزَلْتُهُ مَعَكَ يُطَافُ حَوْلَهُ كَمَا يُطَافُ حَوْلَ عَرْشِي، وَيُصَلَّى حَوْلَهُ كَمَا يُصَلَّى حَوْلَ عَرْشِي، وَنَزَلَتْ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ فَرَفَعُوا قَوَاعِدَهُ مِنْ حِجَارَةٍ، ثُمَّ وُضِعَ الْبَيْتُ عَلَيْهِ، فَكَانَ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَطُوفُ حَوْلَهُ، كَمَا يُطَافُ حَوْلَ الْعَرْشِ، وَيُصَلِّي عِنْدَهُ كَمَا يُصَلَّى عِنْدَ الْعَرْشِ، فَلَمَّا أَغْرَقَ اللَّهُ قَوْمَ نُوحٍ، رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَى السَّمَاءِ، وَبَقِيَتْ قَوَاعِدُهُ"[1] ثم بعد ذلك قام كلٌّ من الأب وابنه بالحفر على أساس الكعبة، وتعاونا مع بعضهما على رفع قواعده، حيث كان إسماعيل يأتي بالحجارة وإبراهيم يبني، وهنا لا بد أن نعرف أن هذه المرحلة مرحلة رفع القواعد تحتاج إلى معونة، لهذا ظهر إسماعيل في هذه المرحلة، يقول تعالى: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ ﴾البقرة، فمهمة إبراهيم رفع القواعد فقط مع سيدنا

---

(١) أخبار مكة أخبار مكة وما جاء فيها من الأثار، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن الوليد بن عقبة بن الأزرق الغساني المكي المعروف بالأزرقي، تحقيق: رشدي الصالح ملحس، الناشر: دار الأندلس للنشر - بيروت (١/ ٤٠)

إسماعيل عليه السلام، أما القواعد فكانت موجودة قبل إبراهيم عليه السلام ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ ﴾ آل عمران، بعد رفع القواعد وعناء البيت توجها – عليهما السلام – إلى ربهما بالدعاء ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ۖ إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا ۖ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ ﴾ البقرة، جعل إبراهيم للبيت ركنين فقط: ركن الحجر الأسود، والركن اليماني، وبعد رفع القواعد بوساطة إبراهيم وإسماعيل – عليهما السلام– ترك إبراهيم سيدنا إسماعيل – عليهم الصلاة والسلام– وعهد بولاية البيت إلى سيدنا إسماعيل عليه السلام.

الدروس والعبر المستفادة من قصة إسماعيل عليه السلام

١– بر الوالدين وطاعتهما علامة من علامات الصلاح والتقوى لدى الأبناء. (١)

٢– كل شيء بمشيئة الله ولا يقع إلا ما أراد الله فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

٣–الصبر من علامات وصفات الصالحين وسيدنا إسماعيل كان نموذجاً في الصبر والامتثال من التكاليف الشرعية.

٤– من يتق الله يجعل له مخرجا، والتزام والطاعة لله سبب النجاة والتمكين قال تعالى:﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ ﴾ الطلاق.

٥– رسالة جميع الرسل هي الدعوة إلى توحيد الله ونبذ الشرك والكفر.

٦– على المؤمن تنفيذ حكم الله وقضائه والالتزام بشرعه وأحكامه.

٧– أهمية الصدق في الوعد ، وذلك من خلال الجمع بين حقيقة الرسالة والنبوة وهذا دليل على عظمة مكانة سيدنا إسماعيل عليه السلام .

٨– اشتغال الإنسان بتكميل غيره بعد تكميل نفسه.

٩– استقامة الأقوال والأفعال دليل التقوى.

---

(١) انظر مقال القرآن الكريم يؤكد بر الوالدين وطاعتهما في غير معصية الله د. محمد منير الجنباز:
http://www.alukah.net/sharia/0/72367/#ixzz3ZgCYpAr5

١٠- في خيرية الإنسان لا بد أن يكون لأهله في البدء كما قالﷺ خيركم خيركم لأهله. (١)

١١- التضحية في سبيل الله مهما كان الثمن باهضاً.

١٢- الترهيب من ترك الصلاة أو التقصير بها.

١٣- بناء بيوت الله ورعايتها والقيام على خدمتها علامة من علامات الأتقياء.

١٤- التسليم المطلق لأمر الله تعالى.

١٥- الابتلاء اختبار للإيمان والمحن تعقبها المنح..

قصة إسحاق عليه السلام

جاء ذكر إسحاق عليه السلام في سبعة عشر موضعاً في القرآن، وكان الحديث عنه مرتبطاً بالحديث عن أبيه إبراهيم.

قال ابن كثير في تفسيره : " يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّهُ وَهَبَ لِإِبْرَاهِيمَ إِسْحَاقَ، بَعْدَ أَنْ طَعَنَ فِي السِّنِّ، وَأَيِسَ هُوَ وَامْرَأَتُهُ "سَارَةُ" مِنَ الْوَلَدِ، فَجَاءَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُمْ ذَاهِبُونَ إِلَى قَوْمِ لُوطٍ، فَبَشَّرُوهُمَا بِإِسْحَاقَ، فَتَعَجَّبَتِ الْمَرْأَةُ مِنْ ذَلِكَ، وَقَالَتْ: ﴿قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾﴾هود، وَبَشَّرُوهُ مَعَ وُجُودِهِ بِنُبُوَّتِهِ، وَبِأَنَّ لَهُ نَسْلًا وعَقِبا، كَمَا قَالَ:﴿ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾ الصافات، وَهَذَا أَكْمَلُ فِي الْبِشَارَةِ، وَأَعْظَمُ فِي النِّعْمَةِ،﴿ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ ﴾ هود، وكان عمر إبراهيم عليه السلام حين إذ مائة واثنتا عشرة سنة، ومن عظم هذه البشرى للسيدة سارة أن هذا الوَلَد – إسحاق – سيولد له ولد اسمه يَعْقُوبَ في حياتكما فتقر أعينكما كما قرت بوالده، وما يتعارف عليه أن الفرحة بولد الولد تزيد الجد فرحاً؛ لأن ذلك يبقي النسل والعقب.

ولد إسحاق ولأبيه مائة سنة بعد أخيه إسماعيل بأربع عشرة سنة، وكان عمر سارة حين بشرت بإسحاق تسعين سنة، ﴿ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن

(١) أخرجه الترمذي في سننه في كتاب المناقب باب فضل أزواج النبيﷺ حديث رقم٣٨٩٥ - (٥/ ٧٠٩)قال الألباني: صحيح.

ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾ ﴾الصافات". [١] عن رسول الله ﷺ"**الْكَرِيمُ ابْنُ الْكَرِيمِ ابْنِ الْكَرِيمِ ابْنِ الْكَرِيمِ، يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ-عَلَيْهِمُ السَّلَامُ-**".[٢]

وما ذكره أهل الكتاب أن إسحاق لما تزوج رفقا بنت بتوابيل في حياة أبيه كان عمره أربعين سنة، وأنها كانت عاقراً فدعا الله لها فحملت فولدت غلامين توأمين (عيصو ويعقوب)،ومن أبرز ما تعرض له المؤرخون في حياته عليه السلام:

ميلاده كان بشرى عظيمة بشرت به الملائكة سيدنا إبراهيم وزوجه هاجر بعد مضي مائة عام من عمر سيدنا إبراهيم، وكانت في التسعين من عمرها، فكانت للبشارة بهجة كبيرة وأقر الله عين أمنا سارة.

- تزوج إسحاق امرأة من أهل أبيه في أرض بابل بالعراق.

-أثبت القرآن إثبات نبوة إسحاق عليه السلام ورسالته، وأن الله أوحى إليه، وأنزل إليه طائفة من الشرائع.

-أثبتت الآيات أنه عليم ونبي من الصالحين، وأن الله بارك عليه وأثنى عليه.

- هو أبو إسرائيل يرجع إليه نسل بني إسرائيل، وعاش إسحاق من العمر مائة وثمانين سنة، ودفن بجوار أبيه في حبرون وهي قرية في فلسطين -مدينة الخليل-.

- ذكر النبيﷺ أن سلسلة ذرية إبراهيم وإسحاق (سلسلة كرام)؛ إذ حوت أنبياء الله -تعالى- يوسف ويعقوب وإسحاق وإبراهيم -عليهم السلام -، فقد جاء في حديث أبي هريرة عن رسول الله ﷺ"الْكَرِيمُ ابْنُ الْكَرِيمِ ابْنِ الْكَرِيمِ ابْنِ الْكَرِيمِ، يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ-عَلَيْهِمُ السَّلَامُ-". [٣]

- وإسحاق هو ولد سيدنا إبراهيم من زوجته سارة، كانت البشارة بولادته من الملائكة لإبراهيم وسارة، بشرا بهذه البشارة وإبراهيم وسارة لما مروا وهم مجتازين ذاهبين إلى مدائن قوم لوط ليدمروها عليهم بسبب كفرهم وفجورهم، قال تعالى في وصف إسحاق عليه السلام: ﴿ **فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾** ﴾الصافات، أي أن الله جعله نبياً يهدي الناس إلى فعل الخيرات، وجاء من نسله يعقوب.

وما نعرفه أن القرآن لم يذكر عن سيرة إسحاق إلا ومضات سريعة، ولا نجد في القرآن ولا في السنة كيف كانت حياة إسحاق ولا بما أجابه قومه، وكل ما نعرفه أن الله أثنى عليه بأنه

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٢٩٧)

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب العلم باب قَوْلِهِ ﴿ **وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ** ﴾، حديث رقم ٤٦٨٨(٤/ ١٤٩)

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب العلم باب قَوْلِهِ ﴿ **وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ** ﴾، حديث رقم ٤٦٨٨(٤/ ١٤٩) .

غلام حليم ونبي من الصالحين، وكذلك قال تعالى في الثناء عليه﴿ وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمۡ عِندَنَا لَمِنَ ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ﴿٤٧﴾ وَٱذۡكُرۡ إِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ وَكُلّٞ مِّنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ﴿٤٨﴾ ﴾ص ، فدعا إسحاق إلى دين الإسلام وعبادة الله وحده وأوحى إليه بشريعة مبينة، ويترجح من الأثر أنه كان رسولاً في أرض الكنعانيين (بلاد الشام في فلسطين)في البيئة التي عاش فيها سيدنا إبراهيمعليه السلام.

وأوصى إبراهيم ابنه إسحاق أن يتزوج من أهل أبيه فتزوج إسحاق رفقة بنت ابن عمه، وقد أنجبت: العيص، ويعقوب وهو المسمى إسرائيل، وإليه ينسب اليهود بنو إسرائيل فشب إسحاق على أبوين كريمين، ونهل من أبيه العلم، وورث منه الحلم، كما ورثه من إسماعيل، إلا أن إسحاق برز في العلم، قال تعالى:﴿ وَبَشَّرۡنَٰهُ بِإِسۡحَٰقَ نَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكۡنَا عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ إِسۡحَٰقَۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحۡسِنٞ وَظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ مُبِينٞ ﴿١١٣﴾ ﴾ الصافات، ومن الروايات ما تقول: إن إسحاق أرسل إلى الكنعانين في تلك الأراضي التي يسكنونها (بلاد الشام فلسطين)، فلبث فيهم عمراً طويلاً يدعوهم إلى الله ويعلمهم أحكام الشريعة التي جاء بها إبراهيمعليه السلام، ووصفه الله بالقوة في الطاعة والبصائر في الدين والعلم فقال :﴿ وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٤٥﴾ ﴾ص.

– كان كثيراً يذكر اليوم الآخر والعمل له والدعوة إليه بالإيمان والتقوى، وهم أخيار مطبوعون على الخير.

– جعل الله النبوة في ذرية إبراهيم من ولديه: إسماعيل، وإسحاق، قال تعالى :﴿وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَ ﴾العنكبوت: ٢٧.

– ومن كرامات سيدنا إسحاق أن حياته منذ ولادته حتى وفاته فيها من العبر والعظات ما فيها، وهي سلالة نسل إسحاق، فمن سلالته يوسفعليه السلام الذي أوتي شطر الحسن، والناس يدخلون الجنة على صورته ، كما أن الله يمن على العباد الصالحين، كما أعطى زكريا يحيى – عليهما السلام– بعد أن بلغ من الكبر عتياً.

ومنَّ على إبراهيم بإسحاق نبياً من الصالحين، بل زاده بشرى بحفيد نبي له اسمه يعقوب وأنه خير من يخلف الإنسان على نفسه وأهله الذرية الصالحة؛ لقول الرسول ﷺ:" **إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، وَعِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، وَوَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ**".(١)

(١) أخرجه النسائي في سننه في كتاب الوصايا باب فضل الصدقة عن الميتحديث ٣٦٥٣رقم (٦/ ٥٦١) صححه الألباني

الدروس والعبر المستفادة من قصة إسحاق عليه السلام

١- على المؤمن أن يكثر من الأعمال الصالحة فهي أفضل عند الله وأكرم.

٢- بر الوالدين وطاعتهما والإحسان إليهما.

٣- الصالح يستخرج الله له ذرية صالحة تنفعه في الدنيا وبعد موته . (١)

٤- الصدق مع الله في السر والعلن صفة من صفات الأنبياء والرسل والصالحين

٥- الذكر الحسن والثناء باقياً بين الناس إلى يوم القيامة . (٢)

٦ –الذرية الصالحة علامة من علامات رضى الله على العبد .

٧-مكانة فلسطين العظيمة عند الله باستقرار كثير من الأنبياء فيها .

٨-جميع الشرائع جاءت بالتوحيد لله تعالى.

قصة نوح عليه السلام في سورة إبراهيم مع قومه

قال تعالى:﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾ ﴾إبراهيم، وقال تعالى في حق نوح:﴿ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾هود، ومما جاء في الأخبار الصحيحة التي تُخْبِرُهُمْ عن نوح عليه السلام أَنَّهُ رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ، يَدْعُو إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَعدم الإِشْرَاكَ باللَّهِ، وعلينا أن نعلم أن جميع الرسالات السماوية تدعو إلى توحيد الله وعدم الإشراك به، وَلَا يَسْأَلُهُمْ نوح عليه السلام عَلَى دعوتهم أَجْرًا، بَلْ يَدْعُو مَنْ لَقِيَهُ مِنْ شَرِيفٍ وَوَضِيعٍ، فَمَنِ اسْتَجَابَ لَهُ فَقَدْ نَجَا. وَمما أُخْبِرُ قومه به أَنَّهُ لَا يَقدِر عَلَى التَّصَرُّفِ فِي خَزَائِنِ اللَّهِ، وَلَا يَعْلَمُ مِنَ الْغَيْبِ إِلَّا مَا أَطْلَعَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَهُو بَشَرٌ مُرْسَل وليس مَلك مِنَ الْمَلَائِكَةِ، مُؤَيَّدٌ بِالْمُعْجِزَاتِ. وَلَاأقولُ عَنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ تَحْتَقِرُونَهُمْ

---

(١) انظرالتفسير المنير للزحيلي (٣/ ٢٢٠)

(٢) انظر تفسير الطبري (١٩/ ٣٦٤) بتصرف

وَتَزْدَرُونَهُمْ: إِنَّهُم لا ثَوَابٌ لهم عند الله ﷻ على إيمانهم بل إن الله أعلم بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ، فَإِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ بَاطِنًا، كَمَا هُوَ الظَّاهِرُ مِنْ حَالِهِمْ، فَلَهُمْ جَزَاءً الْحُسْنَى، وَلَوْ قَطَعَ لَهُمْ أَحَدٌ بَشَرٌّ بَعْدَ مَا آمَنُوا، لَكَانَ ظَالِمًا قَائِلًا مَا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ.(١)

قال الطبري: " يقول تعالى ذكره: قال قوم نوح لنوح عليه السلام: قد خاصمتنا فأكثرت خصومتنا، فأتنا بما تعدنا من العذاب، إن كنت من الصادقين في عِداتك ودَعواك أنك لله رسول".(٢)

قال القرطبي: " وَالْجَدَلُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ المبالغة في الخصومة"(٣)، ومما تجاوز به الحد قوم نوح طلبهم بتعجيل العذاب، وطلب قوم نوح عليه السلام من نوح أن يسرع لهم بما يعدهم بقولهم له﴿ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ ﴾أَيْ مِنَ الْعَذَابِ.﴿ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾فِي قَوْلِكَ، فكان من قوله لهم إِنْ أَرَادَ إِهْلَاكَكُمْ عَذَّبَكُمْ. وَما أنتم بِغَالِبِينَ بِكَثْرَتِكُمْ، وهم قوم أُعْجِبُوا بِذَلِكَ، كَانُوا مَلَئُوا الْأَرْضَ سَهْلًا وَجَبَلًا فأنتم قوم ﴿ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِيٓ ﴾أَيْ إِبْلَاغِي وَاجْتِهَادِي فِي إِيمَانِكُمْ ﴿ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ ﴾أَيْ لِأَنَّكُمْ لَاتَقْبَلُونَ نُصْحًا. (٤)

"وكان من قول نوح لقومه:﴿ يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾هود،يعني أن ذلك ليس موكولاً إليّ ولا هو مما يدخُل تحت قدرتي وإنما يتولاه الله الذي كفرتم به وعصيتموه يأتيكم بِهِ عاجلاً أو آجلاً إنْ تعلَّق به مشيئتُه التابعةُ للحكمة وفيه ما لا يَخفَى من تهويل الموعودِ فكأنه قيل الإتيانُ به أمرٌ خارجٌ عن دائرة القُوى البشرية وإنما يفعله اللَّهﷻ ﴿ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴾ بالهرب أو بالمدافعة كما تدافعونني في الكلام".(٥)

قوم نوح لم ينفعهم نصحه ودعاؤه وتحذيره لهم من عذاب الله ودعوتهم إلى التوحيد إن كان الله يريد أن يغويكم أن يضلكم عن الهدى فهو ربكم أولى بكم مني، والله سترجعون له بعد الموت فيجزيكم بأعمالكم.(٦)

---

(١) انظر تفسير ابن كثير (٤/ ٣١٨) بتصرف

(٢) تفسير الطبري (١٥/ ٣٠٣)

(٣) تفسير القرطبي (٩/ ٢٧)

(٤) انظر تفسير القرطبي (٩/ ٢٨) بتصرف

(٥) تفسير أبي السعود (٤/ ٢٠٤)

(٦) انظر بتصرف تنوير المقباس، لفيروز أبادي (ص: ١٨٤)

ومما قاله نوح لقومه :﴿إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ ﴾، يقول يأتيكم الله بعذابكم إن شاء فيعذبكم وما أنتم بمعجزين، ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ﴾قال ابن عباس- رضي الله عنهما-يعني نوحاً-عليه السلام- ومعناه بل أيقولُ قومُ نوحٍ إن نوحاً افترى ماجاء به مسنِداً إلى الله ﷻ، قُلْ يانوح إنِ افتريته فَعَلَيَّ إِجْرَامِى إثمي ووبالُ ما أجرمت وَأَنَاْ بَرِىء مّمَّا تُجْرَمُونَ[1]

وَأُوحِيَ الله إلى نُبيه ونوح عليه السلام أَنَّ المُصِرِّين على الكفر، وهو إقناط له ﷺمن إيمانهم وإعلامٌ؛ لكونه كالمُحال الذي لا يصِحّ توقّعُه إلاَّ مَنْ قَدْ آمَنَ سينجو من عذاب الله، يقول الله لسيدنا نوح عليه السلام:فَلاَ تحزَنْ حزْنَ بائسٍ مستكينٍ، ولاتغتمَّ بما كانوا يتعاطَوْنه من التكذيب والاستهزاء والإيذاءِ في هذه المدة الطويلةِ فقد حان وآن الانتقامِ منهم.[2]

" هنا أمر الله سيدنا نوح بصناعة الفلك فقال: ﴿ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ﴾هود: ٣٧، والحق-سبحانه وتعالى-يقول هنا لنوح عليه السلام:﴿ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ ﴾، أي: أوجد شيئاً من عدم، إلا أن هذا الشيء سيصنع من شيء آخر موجود، لأن نوحاً عليه السلام قد زرع من قبل شجرة وعاشت معه كل هذه المدة الطويلة، وتضخَّمت في الجذع والفروع.

وبدأ نوح عليه السلام في عملية شقِّ الشجرة ليصنع منها السفينة التي بلغ طولها كما قيل ثلاثمائة ذراع وبلغ عرضها خمسين ذراعاً، وبلغ ارتفاعها ثلاثين ذراعاً ومكوَّنة من ثلاثة أدوار لتسع المؤمنين، وزوجين من كل نوع من حيوانات الأرض ودوابِّها وهوامها وسباعها ووحوشها.

ونحن قد علمنا أن الشجرة التي زرعها نوح عليه السلام قد تضخَّمت جداً لطول المدَّة التي قضاها نوح في دعوته لقومه؛ ونعلم أيضاً أن جذع الشجرة ينمو دائرياً بمقدار دائرة كل عام. وحين نقطع جذع الشجرة نجد أن قطر الجذع مكوَّن من دوائر، وكل دائرة تمثِّل عاماً من عمرها.

وهكذا بلغ حجم الشجرة ما يساعد نوحاً عليه السلام على أن يصنع السفينة. ".[3]

وأخذ سيدنا نوح ﴿وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُواْ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾هود، لم يترك قومه غيهم وماهم فيه من ضلال ﴿وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ ﴾ طائفة من أشرافهم وكبرائهم ﴿سَخِرُواْ مِنْهُ ﴾ كانوا يحسبون ذلك عملاً لَا ثمرة له فيبني

(١)انظر تفسير أبي السعود (٤/ ٢٠٥)بتصرف

(٢)المرجع السابق (٤/ ٢٠٥) بتصرف

(٣) تفسير الشعراوي (١١/ ٦٤٦٠- ٦٤٦١).

لهم نوح عليه السلام نتيجة ما يفعلون ويقول لهم: ﴿ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَا ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ ﴾، سبحان الله أمر اللَّه-تعالى-هو الأمر الكوني وهو الغرق، والنجاة لمن نجا عليها، ﴿ وَفَارَ التَّنُّورُ ﴾هود، مكان النار، إن كل جزء من الأرض صار فيه تنور يفور منه الماء وكانت معجزة الله أن يخرج الماء من التنور ويصير غرقاً. والتنور في الأرض ليكون الغرق، وليس في السفينة أي لما فار ووجدت أسباب الغرق أمر اللَّه- سبحانه-نوحاً أن يحمل في السفينة من كل حي زوجين اثنين؛ ليكون التوالد في الحيوان والنبات بشكل عام.(١)

﴿ وَمَا ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ ﴾هؤلاء ركبوا السفينة هنا قال: ﴿ ۞ وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا ۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ ﴾هود، فباسم الله تجرى على هذا الماء، وباسم الله تستقر على اليابسة، بعد أن يأذن الله للماء أن يغيض، وللأرض أن تستقبل السفينة. فالله-سبحانه-هو المسيّر لها، وهو الممسك بها. ﴿ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ ﴾ يتجاوز عن سيئات من يبسط له يده بالتوبة ﴿ رَّحِيمٌ ﴾ لا يؤاخذ الناس بظلم الظالمين.(٢)

وهنا سبحان الله يحدث حدث عظيم ألا وهو كيف يفرّق الضلال بين الابن وأبيه، حتى إن الابن مهما اشتد عليه البلاء لن يستجيب لأبيه ويستمع له، ففي وقت تجري فيه السفينة في موج كالجبال ينادي نوح ابنه أن يركب السفينة ولكنه أبى ويرفض كبرياء وكفراً وجحوداً ويخرج عن أمر أبيه ، وهو يدعوه إلى ما فيه سلامته ونجاته، وهكذا يوفّى كلّ من الأبو الابن جزاء ما كسب فينجو الأب بإيمانه، ويهلك الابن الكافر بكفره،(٣) وحال الماء الذي بدأ يرتفع بين الوالد والولد أثناء النقاش فكان من المغرقين الهالكين، وتم الحدث الرهيب وغمر الماء الأرض كلها، ولما تحقق المراد نجى الله أصحاب السفينة، وأمر الأرض أن تبتلع ماءها الذي نبع منها واجتمع عليها ، وأمر السماء أن تكف عن نزول المطر ونادى الربﷻ يا أرض ابلعي ماءك الذي تفجر منك، وياسماء كفي عن المطر فغاض الماء أينقص، امتثالا للأمر الإلهي وقضي الأمر أي أنجز ما وعد الله به نوحاً من هلاك قومه الظالمين وبعد رحمة الله .

وهكذا في سورة إبراهيم تذكير الأمم السابقة الذين كذبوا بكل وقاحة وجرأة برسالات الرسل، جاءت رسلهم بمعجزات خارقة ودلالات واضحة على توحيد الله وصدق رسالتهم فازدادوا كفراً،فكانت نهايتهم الهلاك ليكونوا عبرة لمن جاء بعدهم.

---

(١) انظر زهرة التفاسير، لأبو زهرة (٧/ ٣٧٠٨- ٣٧٠٩) بتصرف.

(٢) انظر التفسير القرآني للقرآن عبد الكريم يونس الخطيب، الناشر: دار الفكر العربي القاهرة.(٦/ ١١٤٠-١١٤١)بتصرف.

(٣) انظر المرجع السابق (٦/ ١١٤١) بتصرف.

الدروس والعبر المستفادة من قصة نوح عليه السلام

١- لا تدع مركب النجاة يفوتك ولا تترك نفسك للغرق في مفاسد الكفر والانحراف. (١)

٢- أن لا نتأثر بالسخرية والانتقادات وأن نقوم بأعمالنا على أكمل وجه ،ولو وقف سيدنا نوح عن بناء السفينة ، ولغرق المؤمن والعاصي ، قال تعالى ﴿وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ هود. (٢)

٣-أن نختار خير الرفقاء في صحبتنا في الحياة والسفر كما اختار سيدنا نوح أصلح وأتقى الناس لركوب السفينة.

٤- كيف خطط سيدنا نوح أن بنى السفينة قبل الحدث استعداد للنجاة بقومه بأمر من رب العالمين.

٥- أن الله مع الجماعة وناصرهم ومؤيدهم وانفراد ابنه بعد اللحاق بهم كان سبب هلاكه.

٦- أن نعرض عن الجاهلين ونمضي في طريق الحق مهما كانت العقبات الصعبة التي تواجهنا.

٧- دائما لا نتوكل على الأسباب بل نتوكل على رب الأسباب. (٣)

٨- تشابه رد الأقوام على رسلهم وكأنهم متواصون بذلك.

٩- الله ثبت المؤمنين في الدنيا والآخرة.

١٠- وجوب المسارعة في فعل الخير قبل فوات الأوان.

١١- وجوب الاعتبار عند المرور بمساكن الذين ظلموا أنفسهم.

---

(١) انظر http://www.thqif.com/vb/showthread.php?t=11484

(٢) انظر التفسير الوسيط للزحيلي (٢/ ١٠٤١)،بتصرف.

(٣) انظر محاضرة التوكل لا التواكل للشيخ : (أحمد القطان)
http://audio.islamweb.net/audio/Fulltxt.php?audioid=5877

١٢- اختيار الإنسان لطريق الضلال والكفر يؤدي إلى أن يختم الله على قلبه ويصرفه عن معرفة الحق.

١٣-على المؤمن أن ينصح أقرب الناس إليه وأن يلومَهُ على خطئه.

١٤- الداعية مأمور بالدعوة والبلاغ وهو يهدي الناس هداية البيان والإرشاد وبها تنتهي مهمته.

١٥- أصحاب الحق هم المنتصرون على أصحاب الباطل والعاقبة لهم في الدنيا والآخرة. (١)

١٦- الدعوة إلى الله بالسر والعلن، مهما كانت الصعوبات .

١٧- أعلم الناس بالله ﷻ هم أنبياؤه ورسله عليهم الصلاة والسلام.

---

(١) انظر تفسير الرّازي: ١٤/ ٢١٢.

الفصل الثالث

الغيبيات في ضوء سورة إبراهيم

وفيه ثلاثة مباحث:-

المبحث الأول-حقيقة الموت في ضوء السورة.

المبحث الثاني-أحداث اليوم الآخر في ضوء السورة.

المبحث الثالث-علاقة الإنسان بالشيطان في ضوء السورة.

المبحث الرابع- القضاء والقدر في ضوء السورة.

المبحث الأول

حقيقة الموت في ضوء السورة

المطلب الأول- الموت لغةً واصطلاحاً

الموت لغة:

قال ابن فارس: "الْمِيمُ وَالْوَاوُ وَالتَّاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى ذَهَابِ الْقُوَّةِ مِنَ الشَّيْءِ ومِنْهُ الْمَوْتُ: خِلَافُ الْحَيَاةِ."[١]وقيل: " هو السكون فكل ما سكن فقد مات، وهو على المثل، مثل قول ماتت النار موتاً: أي برد رمادها، فلم يبق من الجمر شيء، وقول مات الحر والبرد: أي باخَ، وماتت الريح: ركدت وسكنت، وماتت الخمر: أي سكن غليانها" [٢].

فإذا كان السكون أصل الموت في لغة، فإن الحركة أصل الحياة، فالحي من كل شيء: نقيض الميت، والجمع أحياء. والحي: كل متكلم ناطق، والحي من النبات: ما كان طرياً يهتز[٣].

ويطلق الموت على كلُّ ما سَكَنَ بعد حركة، فيقال: ماتَتِ النارُ مَوتاً إذا بَرَدَ رَمادُها فلم يَبْقَ من الجمر شيء، وقال: ماتَت الريحُ أي رَكَدَتْ وسَكَنَتْ، يقال: ماتَت الخَمْرُ أي سكن غَلَيانُها.[٤]

والممات مصدر بمعنى الموت: قال تعالى ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ ﴾ الأنعام.

الموت اصطلاحاً:

الموت هو زوال الحياة، والموت ضد الحياة والضدان صفتان وجوديتان تتعاقبان على موضوع واحد ويستحيل اجتماعهما، ويجوز ارتفاعهما، وزوال الحياة ليس بضد الحياة، كما أن زوال السكون ليس بضد السكون[٥]،وهو مفارقة الروح للبدن، وانتقال من الحياة الدنيا إلى الحياة الآخرة[٦].

---

(١) معجم مقاييس اللغة (٥/ ٢٨٣)

(٢) لسان العرب، (٩٢/٢).

(٣) انظر: المرجع السابق، (٢١٢/١٤).

(٤) انظر المرجع السابق (٢/ ٩٠) بتصرف

(٥) انظر: البحر الرائق شرح كنز الدقائق، زين الدين بن إبراهيم المعروف بابن نجيم المصري، وفي آخره: البحر الرائق لمحمد بن حسين بن علي الطوري الحنفي القادري، وبالحاشية: منحة الخالق لابن عابدين، ط٢، دار الكتاب الإسلامي.(ص١١٥)

(٦) انظر: بينات الرسول ﷺ ومعجزاته، عبد المجيد الزنداني، ، دار الإيمان – القاهرة.(ص٣١٧)

"الموت صفة وجودية خلقت ضد الحياة، وباصطلاح أهل الحق قمع هوى النفس فمن مات على هواه فقد حيي بهداه".[١]

"والمراد بالموت انقطاع تعلق الروح بالبدن و مفارقته و حيلولة بينهما و تبدل حال، و انتقال من دار إلى دار".[٢]

المطب الثاني– أسماء الموت وأنواعه

أولاً–أسماء الموت

فللموت أسماء عدة، ولكن إن اختلف المسمى فالمضمون متفق، ومن أسمائه: الموت، والحتف، والمنون، وشَّعُوب، والسام، والحمام، والردى، والحين، والثكل، والوفاة، والهلاك.[٣]

ثانياً–أنواع الموت بحسب أنواع الحياة:

الأول– ما هو بإزاء القوة النامية الموجودة في الإنسان والحيوان والنبات نحو قوله تعالى: ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا﴾ق: ١١.

الثاني– زوال القوة الحساسة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ﴾ مريم: ٦٦.

الثالث– الحزن المكدر للحياة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾ إبراهيم: ١٧يأتيه أي يأتيه أسباب الموت من الشدائد وأنواع العذاب والآلام في كل موضع من مواضع جسده؛ حتى لا يخلو جزء من أجزاء جسده إلا أتاه الموت.

وقد سُئِلَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيْنَامُ أَهْلُ الْجَنَّةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "النَّوْمُ أَخُو الْمَوْتِ، وَأَهْلُ الْجَنَّةِ لَا يَنَامُونَ"[٤]

---

(١) التعريفات (ص: ٢٣٥) وانظر لسان العرب لابن منظور (٢/٩٠-٩٤)والقاموس المحيط مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادى ، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان. (ص: ١٦٠) بتصرف يسير.

(٢) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة للقرطبي (ص: ٤)

(٣) انظر: الألفاظ المختلفة في المعاني المؤتلفة، محمد بن عبد الله الطائي الجياني جمال الدين، تحقيق: محمد حسن عواد،، دار الجيل – بيروت(١/٢٣٢)، أيضاً: مجلة البحوث الإسلامية، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد،(١٤٣/٦٥).

(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط حديث رقم٩١٩ (١/ ٢٨٢) قال الشيخ الألباني : (صحيح)انظر الجامع الصغير وزيادته (ص: ١١٧٦)

تَوَفِّي الميتِ اسْتِيفاء مُدَّتِه التي وُفِيتْ له وعَدَد أَيامِه وشُهوره وأَعْوامه في الدنيا. [1]

الرابع- المنام فقد قيل: النوم موت خفيف، والموت نوم ثقيل، وعليه سماه الله توفياً، قال تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢﴾ الملك. فالله "خلق الموت والحياة ليختبركم أيكم أحسن عملاً وإيماناً" (٢) ، "يقول تبارك وتعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ۝١٨٥﴾ آل عمران، أي كل نفس خلقها الله -تعالى- لابد أن تذوق طعم الموت وتُحس به حين تفارق الجسد وتصعد إلى بارئها ﷻ وتوفى أجرها وتعطى جزاء عملها وافياً يوم القيامة".[3]

لقد ورد ذكر الموت في سورة إبراهيم عليه السلام ضمناً وليس صراحة، وذلك في آيتين هما: قوله تعالي: ﴿ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ۝٢ ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ۝٣﴾ إبراهيم، فالله ﷻ له ما في السموات وما في الأرض، ملكاً وعبيداً واختراعاً وخلقاً، وتدل الآية على الحصر، أي كل ما في السموات والأرض له، لا لغيره، وكل ذلك دل على أنه لا مالك إلا الله، ولا حاكم إلا الله ﷻ.

ولذلك عطف الله ﷻ عليه وعيد الكفار بقوله: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾؛ لأنهم تركوا عبادة الله -تعالى - الذي هو مالك السموات والأرض وما فيهما، إلى عبادة ما لا يملك ضراً ولا نفعاً، ويخلق ولا يخلق، ولا إدراك لها ولا فعل.

فاستحقاق الكافرين الهلاك والعذاب في نار جهنم لصفات ثلاث: هي تفضيلهم أو إيثارهم الدنيا على الآخرة، ومنعهم الناس من الوصول إلى سبيل الله ودينه، وهو المنهج القويم والطريق المستقيم، وطلبهم لسبيل الله زيغاً وميلاً واعوجاجاً؛ لموافقة أهوائهم، وقضاء حاجاتهم وأغراضهم، فهم في ضلال بعيد عن الحق، فاستحقوا العذاب لذلك[4].

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٣ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ۝١٤﴾

---

(١) لسان العرب، لابن منظور (١٥/ ٣٩٨)

(٢)التفسير المنهجي بإشراف أ.د. أحمد شكري (١٠/١٠٩)

(٣) التفسير المنهجي بإشراف أ.د. أحمد شكري (٥/١٩٣)

(٤) انظر: التفسير المنير، للزحيلي(١٣/٢٠٥)، أيضاً: التفسير الوسيط، ٢/١١٨٠، مختصر تفسير ابن كثير: (٢/٢٨٩).

﴿وَٱسۡتَفۡتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ ١٥ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسۡقَىٰ مِن مَّآءٖ صَدِيدٖ ١٦ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأۡتِيهِ ٱلۡمَوۡتُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٖۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٞ ١٧﴾إبراهيم، تأمل الإهانة عندما يسقي هذا المتجبر من صديد وقيح أهل النار، ويجبر على تجرعه وإن لم يستسيغه، ثم يأتيه الموت من كل مكان حوله، ولو تخيلنا مشهده وهو يتجرع الصديد ولا يكاد يسيغه فتأتيه طعنة من هنا وحرق من هناك ومرض من أمامه وسياط من خلف ظهره ولهب من فوقه، وكل هذا لا يقتله وبذلك، وكل هذه الأسباب يفاجئ هذا الجبار المتكبر المخالف لشرع الله أن الأمر لم ينته﴿وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٞ ١٧﴾، هل من متدبر في هذه الآيات لهذا الكم من العذاب الشديد فيعود إلى ربه تائباً عن ظلمه وتجبره على الخلق وإهانته له وفهذا هو البعد عن الصراط المستقيم. (١)

فقد ذكر رب العزة حال الكفار حين دعاهم رسله إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له، وفراق عبادة الآلهة والأوثان، فرفضوا عبادته بل وطلبوا من الرسل الرجوع عن دعوتهم، أو إخراجهم من أرضهم فظلموا أنفسهم، فأوجبوا لها عقاب الله بكفرهم لعبادتهم من لا تجوز عبادته من الأوثان والآلهة،، فوعد الله ﷻ أنبياءه بالنصر على الكفرة به من قومه، لتماديهم في الكفر، وأوحى الله بإهلاك من كفر بهم من أممهم ووعدهم النصر، وكل ذلك وعيدٌ وتهديدٌ لمشركي نبينا محمد ﷺ لكفرهم به، وجرأتهم على نبيه، وتثبيتاً لمحمدﷺ، وأمرٌ له بالصبر على ما لقي من المكروه فيه من مشركي قومه، كما صبر من كان قبله من أولي العزم من الرسل ومعرفة أن عاقبة أمر من كفر به الهلاك، وعاقبته النصر عليهم، وتلك سنة الله في الذين خلوا من قبل، فمن خاف مقام الله بين يديه، وخاف وعيده واتقاه بطاعته، وتجنب سخطه، أهلك عدوه وأخزاه، وأورثه أرضه وديارهم، ونصر الله ﷻ الرسل على أقوامهم، وخاب وهلك كل متكبر جائر حائد عن الإقرار بتوحيد الله وإخلاص العبادة له، وبعد ذلك وصف رب العزة مصير أولئك وحالهمفي الآخرة بقوله تعالى: ﴿وَمِن وَرَآئِهِۦ ﴾إبراهيم، أي من أمام كل جبار ﴿جَهَنَّمُ﴾ ، أي يردونها.

وقوله: ﴿وَيُسۡقَىٰ مِن مَّآءٖ صَدِيدٖ ﴾إبراهيم، بمعنى يسقى من ماء، ثم بين ذلك الماء جل ثناؤه وما هو، فقال: هو "صديد"

والصديد قيل هو: هو القيح والدم.

وقيل: ما يسيل من لحمه وجلده.

وقيل: ما يسيل من بين لحمه وجلده.

وقيل: ما يخرج من جوف الكافر، قد خالط القيح والدم.

---

(١) انظر التفسير المنهجي، أ.د. أحمد شكري (١٥١/٥).

وقوله: ﴿يَتَجَرَّعُهُ﴾، أي يتحساه ﴿ولا يَكادُ يُسِيغُهُ﴾، أي ولا يكاد يزدرده من شدة كراهته، وهو مسيغه من شدة العطش، فإذا شربه قطع أمعاءه حتى يخرج من دبره(١).

﴿ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسۡقَىٰ مِن مَّآءٖ صَدِيدٖ ﴾ومن بعد هلاك هذا الجبار العنيد في الدنيا فإن له في الآخرة عذاب جهنم ينتظره، وسيكون عذابه في النار بأن يسقى من الصديد وهو ما يسيل من أجساد أهل النار من قيح ودم فيشرب ونفسه ترفضه وتأباه.

وما فسره العلماء في قوله تعالى:﴿ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأۡتِيهِ ٱلۡمَوۡتُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٖۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٞ ﴿١٧﴾ ﴾إبراهيم، "قال بكر بن مضر كان محمد بن كعب القرظي يقول: إن الكافر إذا دعا بالشراب، إذا رآه مات موتاتٍ، فإذا دنا منه مات موتاتٍ، فإذا شرب منه مات موتاتٍ، قال الله:﴿ وَيَأۡتِيهِ ٱلۡمَوۡتُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٖۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٞ ﴿١٧﴾ ﴾ "(٢).

قال الترمذي: حَدَّثَنَا سُوَيْدُ بْنُ نَصْرٍ قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ قَالَ: أَخْبَرَنَا صَفْوَانُ بْنُ عَمْرٍو، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرٍ، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺفِي قَوْلِهِ:﴿ وَيُسۡقَىٰ مِن مَّآءٖ صَدِيدٖ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ ﴾قَالَ: «يُقَرَّبُ إِلَى فِيهِ فَيَكْرَهُهُ، فَإِذَا أُدْنِيَ مِنْهُ شَوَى وَجْهَهُ وَوَقَعَتْ فَرْوَةُ رَأْسِهِ، فَإِذَا شَرِبَهُ قَطَّعَ أَمْعَاءَهُ حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ دُبُرِهِ»، يَقُولُ اللَّهُ: ﴿ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمٗا فَقَطَّعَ أَمۡعَآءَهُمۡ ﴿١٥﴾ ﴾محمد، وَيَقُولُ:﴿ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ ﴾ الكهف(٣):﴿ وَيَأۡتِيهِ ٱلۡمَوۡتُ مِن كُلِّ مَكَانٖ ﴾ إبراهيم. " أَيْ: يَأْلَمُ لَهُ جَمِيعُ بَدَنِهِ وَجَوَارِحِهِ وَأَعْضَائِهِ. قَالَ مَيْمُونُ بْنُ مِهْرَان: مِنْ كُلِّ عَظْمٍ، وَعِرْقٍ، وَعَصَبٍ. وَقَالَ عكرمة: حتى من أطراف شعره. وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ التَّيْمِيُّ: مِنْ مَوْضِعِ كُلِّ شَعْرَةٍ، أَيْ: مِنْ جَسَدِهِ، حَتَّى مِنْ أَطْرَافِ شَعْرِهِ. وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ:﴿ وَيَأۡتِيهِ ٱلۡمَوۡتُ مِن كُلِّ مَكَانٖ ﴾. أَيْ: مِنْ أَمَامِهِ وَوَرَائِهِ، وَعَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ، وَمِنْ فَوْقِهِ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِ وَمِنْ سَائِرِ أَعْضَاءِ جَسَدِهِ".(٤)

---

(١) انظر: تفسير الطبري، (٥٣٦/١٦) ومابعدها ، أيضاً: الكشاف للزمخشري،(٢/٥٤٥).

(٢) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب، أبو محمد عبد الله بن وهب بن مسلم المصري القرشي، ط١، ٢٠٠٣ تحقيق: ميكلوش موراني ،الناشر: دار الغرب الإسلامي (٢/ ١١٢).

(٣) أخرجه الترمذي في سننه في كتاب أبواب صفة جهنم بَاب فِي صِفَةِ شَرَابِ أَهْلِ النَّارِ حديث رقم٢٥٨٣ (٤/ ٧٠٥).

(٤) تفسير ابن كثير (٤/ ٤٨٥- ٤٨٦).

قال تعالى:﴿ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾ ﴾إبراهيم. "يتناول الكافر هذا الشراب جرعة بعد جرعة ، ويحاول ويتكلف بلعه وهو لا يكاد يستطيع ابتلاعه لكراهته له ،وشدة حرارته ونتنه فيغص به ويشربه بعناء وتعب.

ومن صور عذاب الكافر في النار أن يأتيه أسباب الموت من الشدائد وأنواع العذاب والآلام من كل مواضع من مواضع جسده ، ومن كل ناحية حوله، ومع ذلك لا يموت فيستريح من هذا العذاب عذاب غليظ شديد لا يقل عما هو فيهمن عذاب مؤلم مستمر فأنواع العذاب في جهنم متعددة متنوعة".(١)

قال تعالى:﴿ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ﴾إبراهيم." أي من كل مكان من جسده"(٢)

قال علماء التفسير: " إن ما يسقاه من الصَّدِيدُ هُوَ سائل يُسِيلُ مِنْ لَحْمِهِ وَجِلْدِهِ، وَمما يزيد هؤلاء الكفرة ألماً وعذاباً أن يسقاه بعنف فيَتَجَرَّعُهُ غضباً وكرهاً، ولا يكاد يسيغه لقذارته ومرارته وهذا التقزز نلاحظه من سرد الآيات، وبعد ذلك يأتيه الموت بأسبابه المحيطة من كل مكان ولكنه لا يموت ليستكمل عذابه، :﴿ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ ﴾ أَيْ أَنَ جميع بدن هذا الكافر الجاحد يألم ويألم به كل عظم وعصب وعرق، حَتَّى أَطْرَافِ شَعْرِهِ، من موضع كل شعر من جسده والموت وَيَأْتِيهِ مِن كُلِّ مَكَانٍ أمامه وخلفه وعن يمينه وشماله ومن فوقه ومن تحت أرجله.

وجملة القول: إن الموت يأتي من سائر جسده . وما من عَذَابِ يأتي لهذا العاصي الكافر بالله يوم القيامة ونار جهنم إلا ويأتيه الموت مِنْهُ، لَكَنَّ الحسرة أنه لَا يَمُوتُ ولا يستريح ﴿ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ﴾فاطر: ٣٦،ومن ورائه عذاب غليظ قال النحاس: حبس الأنفاس. " (٣)

هذا ما فهمناه من كتب التفسير في تفسير حقيقة الموت من خلال سورة إبراهيم عليه السلام، ولذا ينبغي علينا أن نذكر الموت حتى نتوب إلى الله ونستعد للآخرة، وبذلك نكثر من الطاعات، فإن جعلنا الموت نصب أعيننا ننشط لطاعة الله ونتوب إليه ونبتعد عن المعاصي؛ حتى لا نبوء

---

(١)التفسير المنهجي، أ.د. أحمد شكري(١٥١/٥)

(٢) غريب القرآن، لابن قتيبة، (ص٢٣١)

(٣) معاني القرآن، النحاس، تحقيق : محمد علي الصابوني،ط١، ١٤٠٩الناشر : جامعة أم القرى – مكة المكرمة. (٣/ ٥٢٣).

بسوء الخاتمة وغضب الله علينا. قال رسول اللهﷺ:"**أَكْثِرُوا ذكر هَادِمِ اللَّذَّاتِ، فَمَا ذَكَرَهُ عَبْدٌ قَطُّ وَهُوَ فِي ضِيقٍ إِلا وَسَعَهُ عَلَيْهِ، وَلا ذَكَرَهُ وَهُوَ فِي سَعَةٍ إِلَّا ضيقه عَلَيْهِ**".(١)

وعن ابن عمر –رضي الله عنهما– قال: "أتيت النبي ﷺعاشر عشرة فجاء رجل من الأنصار فقال يا نبي الله من أكيس الناس وأحزم الناس؟ قال: أكثرهم ذكراً للموت وأشدهم استعداداً للموت قبل نزول الموت، أولئك هم الأكياس، ذهبوا بشرف الدنيا، وكرامة الآخرة"(٢)

وعن البراء بن عازب قال كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺفِي جِنَازَةٍ، فَجَلَسَ عَلَى شَفِيرِ الْقَبْرِ، فَبَكَى، حَتَّى بَلَّ الثَّرَى، ثُمَّ قَالَ: "يَا إِخْوَانِي لِمِثْلِ هَذَا فَأَعِدُّوا."(٣)

ومن أكثر من ذكر الموت كما بينت لنا الأحاديث الشريفة أكرمه الله بتعجيل التوبة وقناعة القلب ونشاط العبادة، أما من نسي الموت وغرره الغرور فسيعاقبه الله بتسويف العبادة وترك الرضا بالكفاف وتكاسل عن العبادة وأصبح همه الدنيا وغفل عن الآخرة فعمر دار الدنيا وخرب دار الآخرة.

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، " أَنَّ جِبْرِيلَ عليه السلام جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: "يَا مُحَمَّدُ، عِشْ مَا شِئْتَ، فَإِنَّكَ مَيِّتٌ، وَأَحْبِبْ مَا شِئْتَ ، فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ، وَاعْمَلْ مَا شِئْتَ ، فَإِنَّكَ تُجْزَى بِهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ شَرَفَ الْمُؤْمِنِ قِيَامُهُ بِاللَّيْلِ، وَعِزُّهُ اسْتِغْنَاؤُهُ عَنِ النَّاسِ".(٤) فالموت لا يعرف شاباً ولا يعرف عمراً ولا صحةً ولا مرضاً ولا غنىً ولا فقراً ولا قوةً ولا ضعفاً .

قالﷺ:"**يَهْرَم ابنُ آدمَ وتَشِبُّ معهُ اثْنَتانِ؛ الحرصُ عَلَى الْمَالِ، والحرصُ على العُمر**".(٥)

وروي عن عمر بن عبد العزيز أنه كان يجمع كل ليلة الفقهاء، ويتذكرون الموت والقيامة والآخرة، ثم يبكون كأن بين أيديهم جنازة.

---

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه في كتاب الزهد بَابُ ذِكْرِ الْمَوْتِ وَالِاسْتِعْدَادِ لَهُ حديث رقم٤٢٥٨ (٥/ ٣٢٦) قال الألباني حسن صحيح

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط حديث رقم ٦٤٨٨(٦/ ٣٠٨) قال محقق مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: وإسناده حسن. (١١/ ٢٢٤).

(٣) أخرجه ابن ماجه في سننه في كتاب الزهد باب الحزن والبكاء حديث رقم ٤١٩٥ (٢/ ١٤٠٣) وقال الألباني حسن.

(٤) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان حديث رقم ١٠٠٥٧(١٣/ ١٢٥)"وهَذَا حَدِيثٌ الحاكم في المستدرك على الصحيحين صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ (٤/ ٣٢٦)

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الزكاة باب كراهة الحرص على الدنيا حديث رقم ٢٤٥٩

المبحث الثاني

أحداث اليوم الآخر في ضوء السورة

المطلب الأول- التعريف باليوم الآخر

قال شيخ الإسلام: " ويدخل في الإيمان بالله واليوم الآخر كل ما أخبر به النبي ﷺ، مما يكون بعد الموت مثل فتنة القبر وعذابه ونعيمه؛ لأن حقيقة الأمر أن الإنسان إذا مات قامت قيامته وارتحل إلى دار الجزاء" [١].

وهناك من أطلق عليه: "يوم القيامة، حيث يبعث الله العباد من قبورهم للحساب والجزاء، ويقضى بينهم، ففريق في الجنة، وفريق في السعير[٢]"، وأوله من الموت[٣]، ودليله حديث هانئ مولى عثمان بن عفان قال: كان عثمان ﷺإذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته فقيل له: أتذكر الجنة والنار فلا تبكي، وتذكر القبر وتبكي؟ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "**القبر أول منزل من منازل الآخرة فإن نجا منه فما بعده أيسر منه وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه**[٤]". وقيل: "أول اليوم الآخر من النشر (وهو الخروج من القبور)، وآخره"[٥].

وعرف بأنه: "التصديق الجازم بكل ما أخبر الله ورسوله به مما يكون في ذلك اليوم العظيم من البعث، والحشر، والحساب، والصراط، والميزان، والجنة، والنار وغير ذلك مما يجري في عرصات القيامة، ويلحق بذلك ما يكون قبل الموت من علامات الساعة وأشراطها، وما يكون بعد الموت من فتنة القبر، وعذاب القبر ونعيمه" [٦].

---

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد، محمد بن صالح العثيمين ، ط٢، محرم ١٤٢٤هـ، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، (٢/٧٢).

(٢) رسالة في أسس العقيدة، محمد بن عودة السعوي، ط١، ١٤٢٥هـ، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، ١٤٢٥هـ.(ص٥٨)، أيضا: تفسير الشعراوي،(٣٥٧٩/٦).

(٣) تبسيط العقائد الإسلامية، حسن محمد أيوب ، ط٥، دار الندوة الجديدة، بيروت – لبنان، ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣م.(ص٢١١).

(٤) أخرجه الترمذي في سننه في كتاب الطهارة، باب م اجاء في نضح بول الغلام قبل أن يفطم، حديث رقم٣٢٠٨(١٤٢/٤)قال الألباني: حديث حسن.

(٥) تبسيط العقائد الإسلامية،(ص٢١١).

(٦) مختصر الفقه الإسلامي في ضوء القرآن والسنة، محمد بن إبراهيم التويجري،ط١١، دار أصداء المجتمع، المملكة العربية السعودية، ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م،(ص٨٩)، وأيضا: موسوعة الفقه الإسلامي، محمد بن إبراهيم التويجري،ط١، بيت الأفكار الدولية، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م،(٢١١/١)، تأصيل علم العقيدة، عبد الرحيم العلياني السلمي،١٦، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية،http://www.islamweb.net.

وهناك تعريف آخر: "بأنه الإيمان بالبعث، والجنة والنار؛ فالبعث هو الذي أنكره الكفار من عهد نوح إلى عهد محمدﷺ ولا يؤمن به إلا المنتسبون إلى دين الرسل، كاليهود والنصارى؛ لكن اعتقادهم للبعث فيه خلل؛ لكن بعث الناس من قبورهم هذا قدر مشترك، يؤمن به جميع المسلمين، ولا ينكره إلا الخارجون عن أديان الرسل، ولهذا المكذبون للرسل مكذبون باليوم الآخر"(١).

وأطلق عليه آخرون: " هو الغيب الكامل فيما يتعلق بالمخلوقات التي يتعلق به مصائر الخلق جميعاً المصائر الأبدية التي لا تنتهي" (٢).

وقرن الله الإيمان به بالإيمان باليوم الآخر كثيرا:

لأن الإيمان باليوم الآخر يحمل الإنسان إلى الامتثال، فإنه إذا آمن أن هناك بعثا وجزاء حمله ذلك على العمل لذلك اليوم، ولكن من لا يؤمن باليوم الآخر لا يعمل؛ إذ كيف يعمل لشيء وهو لا يؤمن به؟!(٣) ومثال ذلك قوله تعالى:﴿مَنكَانَ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ﴾ الطلاق: ٢ .

وأطلق عليه اليوم الآخر: "لتأخره عن الدنيا، وقد أخبرنا الله ﷻ عن هذا اليوم العظيم، وما يكون فيه، وما يكون قبله من علاماته حتى لا تكاد سورة من سور القرآن الكريم تخلو عن شيء من ذلك(٤)".

"وقيل لأنه آخر مراحل بني آدم وغيرهم، فالإنسان له أربع دور، في بطن أمه، وفي الدنيا، وفي البرزخ، ويوم القيامة وهو آخرها"(٥).

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية، عبد الرحمن بن ناصر البراك،عبد الرحمن بن صالح السديس، ط٢، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م، دار التدمرية،(ص٢٤١).

(٢) مجمل أصول أهل السنة، ناصر بن عبد الكريم العلي العقل،٢٠، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية،http://www.islamweb.net.

(٣) انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد، لابن العثيمين ،(٧٢/٢).

(٤) تفسير الفاتحة والبقرة، محمد بن صالح بن محمد العثيمين ،ط١، ١٤٢٣ هـ،دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، (٥٢/٢) أيضاً: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، محمد علي البكري الصديقي الشافعي،، ط٤، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤م، اعتنى بها: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، (١٨١/٥)

(٥) شرح الأربعين النووية، محمد بن صالح العثيمين ، دار الثريا للنشر.(ص٤٨) أيضأ: صور الإعلام الإسلامي في القرآن الكريم – دراسة في التفسير الموضوعي، عاطف إبراهيم رفاعي، إشراف فضيلة الدكتور: حاتم محمد منصور مزروعة،١٤٣٢هـ – ٢٠١١م،(الناشر: رسالة ماجستير، قسم التفسير وعلوم القرآن،كلية العلوم الإسلامية، جامعة المدينة العالمية (ماليزيا)، ص١٠٤) أيضأ: الطريق إلى الإسلام، محمد بن أحمد الحمد، ط٢، دار بن خزيمة.(ص٦٨)

وقيل سمي بذلك: "لأنه لا يوم بعده، حيث يستقر أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار"[1].

الإيمان باليوم الآخر يتضمّن أربعة أمور:

أولاً: الإيمان بوقوعه، وأن الله يبعث من في القبور، وهو إحياؤهم حين ينفخ في الصور، ويقوم الناس لرب العالمين، ودليله قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُم يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ ﴾المؤمنون، وهو واقع لامحالة، لأن لإخبار رب العزة به في محكم كتابه وسنة نبيه ﷺ، وكثيراً ما يقرن الله ﷻ بين الإيمان به والإيمان باليوم الآخر، لأن من لم يؤمن باليوم الآخر لا يعمل، إذ إنه يرى أن لا حساب.

ثانياً: الإيمان بكل ما ذكره الله ﷻ في كتابه وما صح عن النبي ﷺ مما يكون في ذلك اليوم الآخر، من كون الناس يحشرون يوم القيامة حفاة عراة غرلاً بهماً، أي ليس معهم مال، وهذا كقوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ﴾ الأنبياء: ١٠٤.

ثالثاً: الإيمان بما ذكر في اليوم الآخر من الحوض والشفاعة والصراط والجنة والنار فالجنة دار النعيم، والنار دار العذاب الشديد.

رابعاً: الإيمان بنعيم القبر وعذابه؛ لأن ذلك ثابت بالقرآن والسنة وإجماع السلف[2].

- أشهر أسماء اليوم الآخر:

يوم القيامة، يوم البعث، يوم الفصل، يوم الخروج، يوم الدين، يوم الخلود، يوم الحساب، يوم الوعيد، يوم الجمع، يوم التغابن، يوم التلاق، يوم التناد، يوم الحسرة، الصاخة، الطامة الكبرى، الغاشية، الواقعة، الحاقة، القارعة[3]،وكثرة الأسماء تدل على عظمة المسمى.

المطلب الثاني- أثر الإيمان باليوم الآخر:

١- يحيي في النفوس معاني الصبر والرضا والاحتساب ويعلم المؤمن أن هذا الدنيا دار بلاء وليست داراً للجزاء أو النعيم ، قال رسول الله ﷺ: «**عَجِبْتُ لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ ، إِنَّ أَمْرَ الْمُؤْمِنِ**

---

(١) جامع المسائل، لابن تيمية، (٥/٥٥).

(٢) انظر: شرح الأربعين النووية ،٤٨، أيضاً: صور الإعلام الإسلامي،١٠٤، أيضاً: الطريق إلى الإسلام،٦٨.

(٣) انظر: مختصر الفقه الإسلامي للتويجري،(ص٨٩)،. أيضا: موسوعة الفقه الإسلامي، محمد بن إبراهيم التويجري،(٢١١/١)،. أيضا: جامع المسائل، لابن تيمية ، (٥٥/٥)، ط١،أيضاً: الكتاب: تأصيل علم العقيدة، عبد الرحيم العلياني السلمي،١٦، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية،http://www.islamweb.net.

كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ، لَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، وَكَانَ خَيْرًا، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ، وَكَانَ خَيْرًا»(١)

٢- الإيمان باليوم الآخر يحيي في النفوس معاني العفو عن الظالم هذه صفات المحسنين المؤمنين باليوم الآخر، قال تعالى: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾المائدة: ١٣

٣- الإيمان باليوم الآخر يجعل القلب لا يتعلق بالدنيا لعلم صاحبه أن الآخرة خير وأبقى قال رسول ﷺ**وَاللَّهِ مَا الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مِثْلُ مَا يَضَعُ أَحَدُكُمْ أُصْبُعَهُ فِي الْيَمِّ، فَلْيَنْظُرْ بِمَا تَرْجِعُ**(٢) وقول رسول الله ﷺ**اللهمَّ لا عيشَ إلا عيشُ الآخِرةَ**(٣)

٤- الإيمان باليوم الآخر يطهر القلوب من الحسد والفرقة والاختلاف؛ لأن المؤمن باليوم الآخر لا تؤثر فيه المصائب لأنه موقن أن المصائب إن لم تزل عنه زال عنها بالموت لا محالة، فلا تذهب نفسه على الدنيا حسرات، قال تعالى :﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾ ﴾فاطر.

٥- يمسح على قلوب المستضعفين والمظلومين مسحة يقين تسكن معه القلوب؛ لأنهم يتطلعون لما أعده الله للصابرين.

٦- يجعل للمسلم هدفاً يصبو إليه وهو دخول الجنة.

٧- الدنيا جنة المؤمن وسجن الكافر، كما روى ذلك عن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "**الدُّنْيَا سجن الْمُؤمن، وجنة الْكَافِرِ**".(٤)

٨- ذكر اليوم الآخر يجعل أهل الغفلة ينتهون عن غفلتهم وأهل المعصية يتوبون ويرجعون إلى الله فأهل كل المصائب أساس الذنوب والغفلة، يقول الحارث المحاسبي (رحمه الله): "ما من أحدٍ يعصي ربه ﷻإلا وهو ناسٍ للحسابِ ومقاساةِ الأهوال، وإني أحذِّركم وأحذِّرُ

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده حديث رقم٢٣٩٣٠ (٣١/ ٢٦٨) وإسناده صحيح على شرط مسلم.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الجنة وصفة نعيم أهلها باب فَنَاءِ الدُّنْيَا وَبَيَانِ الْحَشْرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. حديث رقم ٧٣٧٦ (٨/ ١٥٦).

(٣)أخرجه البخاري في صحيحه ففي كتاب بَاب غَزْوَةِ الْخَنْدَقِ حديث رقم ٢٩٦١ - (٤/ ٥٠)

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم٧٦٠٦ - (٨/ ٢١٠)

نفسي من يومٍ آلَى اللهُ على نفسه ألاَّ يترك عبدًا حتى يسأله عن عملِه كله، دقيقه وجليله، سرِّه وعلانيته".

٩- ذكر اليوم الآخر طمأنينة للقلب وراحة البال. يقول د. عائض القرني:"إنْ جمعتَ في هذه الدارِ أو افتقرتَ أو حزنتَ أو مرضتَ أو بخستَ حقاً أو ذقت ظلماً فذكِّر نفسك بالنعيمِ، المقيم في جنات رب العالمين إنك إن اعتقدت هذه العقيدةَ وعملتَ لهذا المصيرِ، تحولتْ خسائرُك إلى أرباحٍ، وبلاياك إلى عطايا. إن أعقلَ الناسِ همُ الذين يعملون للآخرةِ لأنها خيرٌ وأبقى، وإنَّ أحمق هذه الخليقة هم الذين يرون أنَّ هذه الدنيا هي قرارُهم ودارُهم ومنتهى أمانيهم".(١)

المطلب الثالث-سر اهتمام القرآن الكريم باليوم الآخر

١- إنكار المشركين واستبعادهم لوقوعه، فكفار مكة وغيرهم من كفار الأمم السابقة أنكروا توحيد الألوهية وأقروا بتوحيد الربوبية، فإنهم كانوا منكرين أشد إنكار اليوم الآخر ومنكرين للبعث من قبورهم، قائلين: ﴿وَقَالُوٓاْ إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ ٢٩﴾الأنعام.

٢- فساد تصور اليهود والنصارى لليوم الآخر، فالتوراة المنزلة على موسىعليه السلام والإنجيل المنزل على عيسى، قد احتوت جميعها على عقيدة اليوم الآخر، كما أخبرنا القرآن الكريم لكنهم ضلوا وشددوا وأحدثوا تغييراً وتعديلاً في عقائد أنبيائهم، وأنكروا اليوم الآخر، وأفسدوا عقيدتهم كما قال شارح الطحاوية: "اعْتِرَافٌ مِنْ أَصْنَافِ الْكُفَّارِ الدَّاخِلِينَ جَهَنَّمَ أَنَّ الرُّسُلَ أَنْذَرَتْهُمْ لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا. فَجَمِيعُ الرُّسُلِ أَنْذَرُوا بِمَا أَنْذَرَ بِهِ خَاتَمُهُمْ، مِنْ عُقُوبَاتِ الْمُذْنِبِينَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ".(٢)

٣-أثر الإيمان باليوم الآخر: للإيمان باليوم الآخر تأثير عجيب في توجيه سلوك الإنسان وضبطه على مستوى الفرد والمجتمع ويؤدي إلى الإلتزام بمكارم الأخلاق وشيوع التعاون على البر والتقوى كما قال الله ﷻ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَهُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ٩٢﴾الأنعام.

٤- عموم رسالة محمدﷺ: فرسالة الرسول محمد ﷺ للناس كافة، وهي باقية إلى يوم القيامة، فالقرآن الكريم آخر الكتب، والرسول ﷺ أخر الرسل، لذلك قال الله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ﴾آل عمران: ١٤٤، وقد بين هذا شارح الطحاوية فقال: "وَمُحَمَّدٌ ﷺلَمَّا كَانَ

---

(١) لا تحزن (ص: ٧٠)

(٢) شرح الطحاوية ت الأرناؤوط (٢/ ٥٩١)

خَاتَمَ الْأَنْبِيَاءِ ، وَكَانَ قَدْ بُعِثَ هُوَ وَالسَّاعَة كَهَاتَيْنِ . وَكَانَ هُوَ الْحَاشِرُ الْمُقَفِّي بَيَّنَ تَفْصِيلَ الْآخِرَة بَيَانًا لَا يُوجَدُ فِي شَيْءٍ مِنْ كُتُبِ الْأَنْبِيَاءِ"(١).

"فإن الْإِيمَانُ بِالْمَعَادِ مِمَّا دَلَّ عَلَيْهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ، وَالْعَقْلُ وَالْفِطْرَةُ السَّلِيمَةُ. فَأَخْبَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَنْهُ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ، وَأَقَامَ الدَّلِيلَ عَلَيْهِ، وَرَدَّ عَلَى مُنْكِرِيهِ فِي غَالِبِ سُوَرِ الْقُرْآنِ".(٢)

المطلب الرابع–اليوم الآخر من خلال سورة إبراهيم

إن المتأمل في آيات اليوم الآخر في ثنايا سورة إبراهيم يقف على مجموعة أمور متعلقة في هذا اليوم العظيم من أبرزها:

١– بيان حال الظالمين يوم القيامة كما ذكرته السورة حين عرضت تسلية الله ﷻ لرسوله ومن سار معه على دربه.

قال تعالى:﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ ﴾إبراهيم، فهذه الآية تبين حال الظالمين يوم القيامة وهي ترتفع أبصارهم إلى الأعلى مفتوحة لا يستطيعون حفظها ولا ردها من هول مشاهد هذا اليوم العظيم، ثم نجده يواصل وصف حالهم قائلاً سبحانه:﴿ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾ ﴾ إبراهيم. إنهم حين تتبعثر عنهم قبورهم يخرجون مسرعين خائفين، ورؤوسهم مرتفعة إلى أعلى لا تتحرك أجفانهم وعيونهم جاحظة ، أما قلوبهم فهي من شدة الفزع والرهبة خالية من كل شيء وأفئدتهم هواء لم تعد تفهم أو تعي شيئاً من هول الصدمة حتى لا يلتفت أحد حوله؛ لأنه شغله الرهب والذهول من كل شيء، وبين ذلك السعدي بقوله: " مسرعين إلى إجابة الداعي حين يدعوهم إلى الحضور بين يدي الله للحساب لا امتناع لهم ولا محيص ولا ملجأ، ﴿ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ ﴾ أي: رافعيها قد غُلَّتْ أيديهم إلى الأذقان، فارتفعت لذلك رءوسهم، ﴿ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴾أي: أفئدتهم فارغة من قلوبهم قد صعدت إلى الحناجر لكنها مملوءة من كل هم وغم وحزن وقلق".(٣)

٢– طلب الظالمين تأخير هذا اليوم: لو نظرنا إلى ماذا سيطلب المشركون من الله يوم القيامة لوجدناهم يطلبون منه أن يؤخر هذا اليوم، كما اللهﷻ ذلك بقوله : ﴿ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ ﴾إبراهيم، إن يوم القيامة الذي أمر الله رسول الله ﷺ بتخويف الظالمين منه، نظراً لما فيه من الرعب وصنوف العذاب يقوم الظالمون بطلب خطير

---

(١) شرح الطحاوية في العقيدة السلفية (٢/ ٤٩٢)

(٢) المرجع السابق (٢/ ٤٩١)

(٣) تفسير السعدي (ص: ٤٢٧).

من ربهم ألا وهو تأخير العذاب قليلاً حتى يستجيبوا لنداء الرسل فيستدركوا على أنفسهم ويتخلصوا من العذاب المهين، فيقولون﴿ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓاْ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ ﴾إبراهيم، وسرعان ما يأتيهم الجواب على هذا الطلب مشحون بتوبيخهم أولم تكونوا في الدنيا تحلفون وتغلظون الأيمان بأفواهكم وألسنتكم أنكم ستعيشون أبد الدهر ولن تبعثوا ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوٓاْ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ ﴾، وفعلتم أفعالكم الشنيعة وأنتم تعتقدون بدوام الحال وخلوده بلا نهاية ولا جزاء ولا حساب . يقول المراغي: " وخوّف أيها الرسول القوم الظالمين، وازجرهم عما هم عليه من الظلم شفقة بهم- هول يوم العذاب وشدته حين يقولون من الهلع والجزع: فهم حين يرون العذاب واقع يقلون ربنا أرجعنا إلى الدنيا، وأمهلنا أمداً قريباً، نجب فيه دعوة الرسل إلى توحيدك، وإخلاص العبادة لك، بعد أن جحدنا ذلك، ثم رد عليهم مقالتهم بقوله: ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوٓاْ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴾أي وحينئذ يقال لهم على سبيل التوبيخ والتقريع: ألم تحلفوا فى الدنيا أنكم إذا متّم لا تخرجون لبعث ولا حساب كما حكى الله عنهم «وأقسموا بالله جهد أيمانهم ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ﴾النحل: ٣٨فذوقوا وبال أمركم".(١)

٣- ثم بدأت السورة تسترسل في تقريع الظالمين الكافرين المنكرين للبعث واليوم الآخر وتوبيخهم وتؤنبهم أشد تأنيب، فيقول سبحانه:﴿ وَسَكَنتُمْ فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ ﴾إبراهيم، وكشفت الآية حقيقة هذا المصير في الآخرة وهي السير على نهج الظالمين والمشركين دون غيرة أو تأثر من مجريات القدر منهم ، مما أدى إلى هلاكهم كم أهلك من كان قبلهم قد أجرم وظلم.

٤- بعض مشاهد اليوم الآخر: يقول تعالى:﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ ﴾إبراهيم، تصور هذه الآية نهاية العالم المشهود على مدار الزمان واستبداله بعالم جديد كل حسب مشيئة الله، انظر ولك أن تتخيل كيف يُنهى الأرض ويستبدلها بأرض كبيرة عظيمة أو ينهي السموات ويستبدلها بسماوات أعظم من المعهودة على طريقة يعلمها سبحانه جل في علاه ،يقول الصابوني: "يوم تتبدل هذه الأرض أرضاً أخرى، وتتبدل السماوات سماوات أخرى قال ابن مسعود: تُبدَّل الأرضُ بأرضٍ كالفضة نقية، لم يسفك فيها دم، ولم يعمل

(١) تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي ط١، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر . (١٣/ ١٦٦)

عليها خطيئة﴿ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ ﴾إبراهيم، أي خرجت الخلائق جميعها من قبورهم، وإنما هم في أرض المحشر أمام الواحد القهار".(١)

٥- ثم نجد السورة تصف حالهم وهم أذلة مغلوبون مهطعون يساقون وقد قيدت أيديهم وأرجلهم إلى الأعناق، كما قال تعالى﴿ وَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ يَوۡمَئِذٖ مُّقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ ﴿٤٩﴾ ﴾إبراهيم.

قال الطبري: "أي مقرَّنة أيديهم وأرجُلهم إلى رقابهم بالأصفاد وهي الأغلال والسلاسل ﴿ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٖ ﴾إبراهيم، أي ثيابهم التي يلبسونها من قطران وهي مادة يسرع فيها اشتعال النار، تُطلى بها الإبل الجربى فيحرق الجربَ بحرّه وحدته، وهو أسود اللون منتنُ الريح".(٢)

٦- لباسهم يوم القيامة بعد أن تناولت السورة صورتهم وهم مقرنون ومصفدون أذلة تكمل الحديث عن لباسهم في قوله تعالى: ﴿ سَرَابِيلُهُم مِّن ﴾ إبراهيم، أي ثيابهم مصنوعة من وسائل كريهة الرائحة سريع الاشتعال؛ ليذوقوا وبال ظلمهم وشركهم وتقشر وجوههم النار أي تعلوا فوق رؤوسهم وتحيط بأجسامهم حتى تزدادوا عذاباً ضعفاً مضاعفاً من نار جهنم.

٧- اليوم الآخر لا بيع فيه ولا خلال: من مواصفات اليوم الآخر أنه لا بيع فيه ولا خلال، كما قال تعالى: ﴿ قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾ ﴾إبراهيم، والمتأمل في الآية يدرك بأن الله تعالى يطلب من المؤمنين عبر هذه الآية بأن يبادروا وينشطوا في الأعمال الطيبة، من قبل أن يأتي يوم الحساب وهو اليوم الذي لابيع فيه ولا تجارة ولا علاقات ولا صداقة ولا مودة، وعن حال المقر والمكان الذي فيه مستقر الظالمين فيه الظالمين، قال تعالى ﴿ جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَاۖ وَبِئۡسَ ٱلۡقَرَارُ ﴿٢٩﴾ ﴾إبراهيم، ثم نجد السورة تعرضت لذكر الآخرة في سياق بيان أن الحق -جل وعلا- يمن عل عباده بنعمة التثبيت، بأن يجعلهم يتلفظون بكلمة التوحيد تائبين مرابطين لا يتزحزحون، وذلك في الحياة الدنيا، ويواصلون الثبات على التوحيد في الآخرة لا يخافون إذا سئلوا.

قال الشوكاني: "الْمُرَادُ بِتَبْدِيلِ نِعْمَةِ اللَّهِ كُفْرًا أَنَّهُمْ لَمَّا كَفَرُوهَا سَلَبَهُمُ اللَّهُ ذَلِكَ فَصَارُوا مُتَبَدِّلِينَ بِهَا الْكُفْرَ وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دارَ الْبَوارِ أَيْ: أَنْزَلُوا قَوْمَهُمْ بِسَبَبِ مَا زَيَّنُوهُ لَهُمْ مِنَ الْكُفْرِ دَارَ الْبَوَارِ، وَهِيَ جَهَنَّمُ، وَالْبَوَارُ: الْهَلَاكُ". (٣)

---

(١) صفوة التفاسير، للصابوني (٢/ ٩٤)

(٢) تفسير الطبري ،(١٧/ ٥٢).

(٣) فتح القدير ،محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني،ط١، ١٤١٤هـ، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت (٣/ ١٣٠)

٨- مشاهد أخرى من عذاب الكافرين يوم القيامة:قال تعالى:﴿ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسۡقَىٰ مِن مَّآءٖ صَدِيدٖ ١٦ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأۡتِيهِ ٱلۡمَوۡتُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٖۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٞ ١٧ ﴾إبراهيم، توضح الآيات أن شراب المشركين يوم القيامة يتناولونه جرعة بعد جرعة ولا يكاد ابتلاعه لريحته الكريهة ومذاقه المر، ومن صور عذاب الظالم الكافر أن يأتيه أسباب الموت وأنواع العذاب وكل الشدائد، يقول تعالى :﴿ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأۡتِيهِ ٱلۡمَوۡتُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٖۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٞ ١٧ ﴾إبراهيم، وعندها نجد الظالم الكافر يطلب الموت ولا ينوله، ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت، ثم من وراء ذلك سيقع في عذاب عظيم لا يقل بشاعة من السابقة، قال تعالى﴿ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسۡقَىٰ مِن مَّآءٖ صَدِيدٖ ١٦ ﴾إبراهيم، وهو ما يسيل من أجساد أهل الكفار من دم وقيح.

٩- بيان بعض من صفات الظالمين الكافرين الذميمة: قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَسۡتَحِبُّونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗاۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٖ ٣ ﴾ إبراهيم، حيث بينت الآية الكريمة كيف أن المشركين أهل الشهوات الدنيوية الذين يختارون دار الشهوات والمتع الزائلة على الدار الآخرة، قد بينت الآية الكريمة في فاصلتها، حيث قال سبحانه:﴿ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٖ ٣ ﴾بأنهم موصوفون بهذه الصفات هم في ضلال بعيد عن الحق لا يرتجي هداية أو إصلاح؛ فهم في حال ضلال راسخ متمكن فيهم.

وهكذا نكون قد وقفنا على أبرز المواقف والمشاهد المتعلقة باليوم الآخر، من خلال رصد آيات سورة إبراهيم عليه السلام.

المطلب الخامس

الجنة وأحوال أهلها من خلال قوله تعالى:

﴿ وَأُدۡخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ﴾ إبراهيم: ٢٣

أولاً الجنة لغة واصطلاحاً

١. **الجنة لغةً:** "الجَنَّه والجُنَّة بالضم: ما استترت به من سلاح. والجنة: السترة، والجمع الجُنَنُ. يقال: اسْتَجَنَّ بِجُنّةٍ، أي استتر بسُترة... والجَنَّةُ: البستان، ومنه الجَنّاتُ. والعرب تسمِّي النخيل جَنّةً". (١)

والجَنَّةُ: الحَديقةُ ذَاتُ الشَّجَرِ وَالنَّخْلِ، وَجَمْعُهَا جِنان، وَفِيهَا تَخْصِيصٌ، وَيُقَالُ لِلنَّخْلِ وَغَيْرِهَا. وَقَالَ أَبو عَلِيٍّ فِي التَّذْكِرَةِ: لَا تَكُونُ الجَنَّة فِي كَلَامِ الْعَرَبِ إِلَّا وَفِيهَا نخلٌ وعنبٌ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهَا ذَلِكَ وَكَانَتْ ذَاتَ شَجَرٍ فَهِيَ حَدِيقَةٌ وَلَيْسَتْ بجَنَّةٍ، (٢)

٢. **الجنة اصطلاحاً:** " هي دار الكرامة التي أعدّ الله لأوليائه يوم القيامة، وفيها نهر يطرد، وغرفة عالية، وشجرة مثمرة، وزوجة حسناء." (٣) بل فيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين، كما أخبرنا بذلك الحبيب محمدﷺ فقال: " **أَعْدَدْتُ لِعِبَادِيَ الصَّالِحِينَ، مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ**" (٤)

وقيل: " الجنة هي دار الثواب لمن أطاع الله وموضعها في السماء السابعة عند سدرة المنتهى". (٥)

---

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار،ط٤، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م الناشر: دار العلم للملايين - بيروت(٥/ ٢٠٩٤).

(٢) لسان العرب (١٣/ ١٠٠) محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ) ط٣، ١٤١٤ هـ، الناشر: دار صادر - بيروت

(٣) جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف عبد العزيز ين صالح بن إبراهيم الطويان ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م ، الناشر مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية (٢/ ٤٩٨).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الجنة وصفة نعيمها حديث رقم ٢٨٢٤ (٤/ ٢١٧٥).

(٥) أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة نخبة من العلماء، ط١، ١٤٢١هـ، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية،(ص: ٢٣٨).

ثانياً: أقوال المفسرين في تفسير الآية الوحيدة التي تناولت ذكر الجنة وأحوال أهلها في سورة إبراهيم عليه السلام

١- معنى الآية وأدخل الذين آمنوا بالله ورسله وكتبه وعملوا الأعمال الصالحات بساتين تجري دونها الأنهار ماكثين فيها أبداً بأمر ربهم تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ يعني: الملائكة يسلمون عليهم فيها ويحيي بعضهم بعضاً بالسلام. (١)

٢. أَن المحيي بِالسَّلَامِ قيل: هُوَ الله تَعَالَى، وَقيل: الْمَلَائِكَة، تحيهم تكريماً وترحيباً، وقيل المحيي بِالسَّلَامِ بَعضهم على بعض. (٢)

٣. "قيل المراد بالتحية الملك دائم السلامة، ومنه التحيات لله أي الملك، أو التحية المعروفة إذا تلاقوا سلموا بها". (٣)

٤. قوله: ﴿ وَأُدۡخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ أَيْ عَلَى الِاسْتِقْبَالِ وَالِاسْتِئْنَافِ. وقوله:﴿بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡۖ ﴾ أَيْ بِأَمْرِهِ. وَقِيلَ: بِمَشِيئَتِهِ وَتَيْسِيرِهِ. وَقَالَ:" بِإِذْنِ رَبِّهِمْ" تَعْظِيمًا وَتَفْخِيمًا. (٤)

٥. إن دخول الجنةَ وتنعم أهلها فيها هو عظيم ثواب من الله للذين آمنوا، فهو عين المنفعة الخالصة وخلودهم فيها اشارة إلى دوام هذه النعمة وعدم انقطاعها، كون دخول الجنة بِإِذْنِ رَبِّهِمْ فهذه المنفعة الخالصة الدائمة مقرونة بالتعظيم. (٥)

٦. وأدخل الذِينَ آمَنُوا الجنة بإذن ربهم أي بأمرِه أو بتوفيقه وهدايته وفي التعرُّض لوصفِ الربوبيةِ مع الإضافةِ إلى ضميرِهم إظهارُ مزيدٍ من اللطفِ بهم والمُدْخِلون هم الملائكةُ عليهم السلام (٦)

---

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه الهداية الى بلوغ النهاية أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى : ٤٣٧هـ) المحقق : مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة ، بإشراف أ.د.الشاهد البوشيخي الطبعة : الأولى ، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م الناشر : مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة. (٥/ ٣٨٠٣).

(٢) انظر تفسير السمعاني (٣/ ١١٣):

(٣) تفسير العز بن عبد السلام (٢/ ١٦٣)

(٤) انظر تفسير القرطبي (٩/ ٣٥٨).

(٥) انظر اللباب في علوم الكتاب (١١/ ٣٧٨):

(٦) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٥/ ٤٣)بتصرف قليل.

٧. ومعنى الآية "وأدخل الله المؤمنين الطائعين الذين عملوا الأعمال الصالحة جنات تجري من تحت ثمارها وأشجارها وقصورها الأنهار، وهم خالدون في هذه الجنات لا يخرجون منها ولا يموتون ، فنعيمهم فيها دائم لا ينقطع، وكل ذلك بإذن ربهم وإرادته وتوفيقه وهدايته لهم ، ويحيهم ربهم سبحانه بالسلام وتحييهم الملائكة بالسلام ويحيي بعضهم بعضاً بالسلام ، وهي كلمة دعاء بالسلامة من كل العاهات والمنغصات والتعبير عن دخول الجنة بالفعل الماضي لتحقق حصوله ، فالله تعالى لا يخلف وعده." (١)

ثالثاً: العبر والمعاني المستفادة من آية الجنة الواردة في سورة إبراهيم

١. الجنة دار السلامة والأمان من كل المنغصات والنكبات والأمراض والأغيار

٢. أهل الجنة يعيشون في بساتين خضراء واسعة ساترة وافرة تدب فيها الحياة في نماء وأنهار جارية وأكل وشرب وهناء وسعادة.

٣.دوام واستمرار الحياة في الجنة ولا نهاية ولأجل انهاء البقاء فيها بل خلود سرمدي لا يؤل إلى زوال البتة وهذا كمال النعيم الاطمئنان لأصحاب الجنة.

٤. مهما تحصلت السعادة للناس في الحياة الدنيا فإنها تزول وتنتهي أما دار المقامة والسعادة للذين آمنوا وعملوا الصالحات فيها تدوم ولا تنتهي.

٥. "دخول الجنة إنما يكون برحمة الله وإذنه ، والأعمال الصالحة من العباد سبب لذلك". (٢)

٦. إفشاء السلام سنة قرآنية نبوية نتيجة أهل الجنة.

٧. دخول الجنة للمؤمنين مسألة مؤكدة وثابتة ولا يحول بينهم وبين ذلك إلا مجرد وقت ولذا عبر بصيغة أدخل بالماضي المبني للمجهول وهذا وعد من الله تعالى الذي لا يخلف الميعاد.

---

(١)التفسير المنهجي لنخبة من علماء الأردن بإشراف أ.د. أحمد شكرى (١٥٩/٥)

(٢)التفسير المنهجي لنخبة من علماء الأردن بإشراف أ.د. أحمد شكرى (١٦١/٥)

المبحث الثالث

علاقة الإنسان بالشيطان في ضوء السورة

تحدثت سورة إبراهيمعليه السلام عن الإنسان وعلاقته بالشيطان، وكيف أن الشيطان يطغى الإنسان ويتوب ثم يتنصل من أعماله.

ومن خلال هذا المبحث سنتناول علاقة الشيطان بالإنسان.

المطلب الأول- الشيطان لغة واصطلاحاً:

أولاً- الشيطان لغة:

ذكر جماعة من أهل اللغة أن الشيطان نونه أصلية على وزن فيعال مشتق من شطن: أي بعد، فهو بعيد بطبعه عن طباع البشر، وبعيد بفسقه عن كل خير، وشيطن وتشيطن، صار كالشيطان وفعل فعله.

وذكر جماعة أن الشيطان نونه زائدة على وزن فعلان فهو من شاط يشيط: إذا احترق غضباً، و على هذا الأساس يكون ممنوعاً من الصرف.(١)

يقال: شطن إذا بعد عن الحق، أو عن رحمة الله، والنون هنا أصلية.

وذكر ابن الأثير: "أن نون الشيطان إذا جعلت أصلية كان من الشطن وهو: البعد عن الخير، أو الحبل الطويل، كأنه طال في الشر، وإن جعلت زائدة كان من شاط يشيط: إذا هلك، أو من استشاط غضباً، إذا احتد في غضبه والتهب، قال: والأول أصح". (٢)

وذكر ابن كثير: "أن من العلماء من صحح المعنيين مع قولهم بأن الأول أصح"(٣).

"والشطن: البعد، ومنه شطنت داره، أي بعدت، ويقال: نوى شطون أي بعيدة، وبئر شطون: أي بعيدة القعر، ويقال للحبل شطن سمي بذلك لطوله، وجمعه أشطان، و في الحديث: "**كل هوى شاطن في النار**" (٤) "

---

(١)انظر لسان العرب (٢٣٧/١٣)، والقاموس المحيط (ص٨٧) ، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، الناشر : المكتبة العلمية – بيروت. (ص١١٩).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير،(١١٦٠/٢).

(٣)تفسير ابن كثير (١٥/١).

(٤)أخرجه ابن عساكر تاريخ دمشق حديث رقم٧٦٣٢ (٣٨/ ٢٠٦)، والشاطن: الْبعيد من الْحق. غريب الحديث لابن قتيبة (٧٥٩/٣)

قال ابن قتيبة: "الشاطن البعيد عن الحق"[١] .

ويمكن أن نحاول الجمع بين هذه الوجوه في المعنى بأن الشيطان مأخوذ من معنى البعد عن الله وهدي الحق، ومن معنى التجاوز ثم نجده يتميز عظا وغيظاً من أولياء الله الذين ناصروه ومصيره في الخاتمة أن يشطن نفسه في النار ويدسها في قعر جهنم فيكون من الهالكين والمرجومين البعداء

ثانيا- تعريف إبليس والشيطان في الاصطلاح:

"إبليس هو ذلك المخلوق من النار، والذي كان يجالس الملائكة ويتعبد معهم، وليس من جنسهم ، فلما أمر الله ملائكته بالسجود لآدم خالف أمر ربه بتكبره على آدم؛ لادعائه أن النار التي خلق منها خير من الطين الذي خلق منه آدم عليه السلام،فكان جزاء هذه المخالفة أن طرده الله من رحمته، ومحل أنسه، وسماه إبليس إعلاماً له بأنه قد أبلس من الرحمة، وأنزله من السماء مذموماً مدحوراً، فسأل الله النظرة إلى يوم البعث، فأنظره الحليم الذي لا يعجل على من عصاه، فلما أمن الهلاك إلى يوم القيامة تمرد وطغى".[٢]

أ- الشيطان في الاصطلاح:

" كل مخلوق عات متمرد من الإنس، والجن، والدواب، فأما من جانب الجن والإنس فهو التمرد والعصيان لأمر الله، ومحاولة بذر الفساد في الأرض بشتى صوره وأشكاله قال تعالى:﴿ شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرۡهُمۡ وَمَا يَفۡتَرُونَ ١١٢ ﴾الأنعام، وأما من جانب الدواب فهو الخبث والأذى الذي تميزت به عن جنسها".(٣)

ب- **إبليس اصطلاحاً:** "هو اسم علم على عدو الله الذي خلقه من نار وأمره بالسجود لآدم عليه السلام اكراماً له وتشريفاً فأبى إبليس أن يسجد لآدم واستكبر فلعنه الله وطرده وأنظر إلى يوم الوقت المعلوم، ويمكن أن أقول هو أبو الجن المنظر إلى يوم الدين".(٤)

---

(١) غريب الحديث (٣/٧٥٩)

(٢) مختصر تفسير ابن كثير (٣/٢٠٩)

(٣)عالم الجن في ضوء الكتاب والسنة، د.عبدالكريم نوفات عبيدات،ط٢، ١٤١٩هـ،الناشر دار إشبيليا الرياض(ص٤٦٥)

(٤) المسائل العقدية المتعلقة بآدم عليه السلام ، ألطاف الرحمن بن ثناء الله ،الناشر عمادة البحث العلمي الجامعة الإسلامية بالمدينة (ص٦٢٢)

المطلب الثاني-علاقة الشيطان بالإنسان:

لو أردنا أن نلقي الضوء على علاقة الشيطان بالإنسان نجد أن العلاقة بينهما العداوة بينهما منذ الأزل. كما قال تعالى:﴿ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ٦ ﴾فاطر، وقال ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٥ ﴾يوسف

أسباب العداء وتاريخه:

وشدة هذا " العداء بين الإنسان والشيطان عداء بعيد الجذور، يعود تاريخه إلى اليوم الذي صور الله فيه آدم، قبل أن ينفخ فيه الروح، فأخذ الشيطان يطيف به، فعن أنس: أنّ رسول الله ﷺقال: **"لَمَّا صَوَّرَ اللَّهُ آدَمَ فِى الْجَنَّةِ تَرَكَهُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَتْرُكَهُ فَجَعَلَ إِبْلِيسُ يُطِيفُ بِهِ يَنْظُرُ مَا هُوَ فَلَمَّا رَآهُ أَجْوَفَ عَرَفَ أَنَّهُ خُلِقَ خَلْقًا لاَ يَتَمَالَكُ".** (١)

فلما نفخ الله في آدم الروح، وأمر الملائكة بالسجود لآدم، وكان إبليس يتعبد الله مع ملائكة السماء، فشمله الأمر، ولكنه تعاظم في نفسه واستكبر، وأبى السجود لآدم:﴿ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ١٢ ﴾الأعراف.

لقد فتح أبونا آدمعليه السلام عينيه، فإذا به يجد أعظم تكريم، يجد الملائكة ساجدين له، ولكنّه يجد عدواً رهيباً يتهدده وذريته بالهلاك والإضلال.

وطرد الله الشيطان من جنة الخلد بسبب استكباره، وحصل على وعد من الله بإبقائه حيّاً إلى يوم القيامة: ﴿ قَالَ أَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ١٤ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ١٥ ﴾الأعراف، وقد قطع اللعين على نفسه عهداً بإضلال بني آدم: ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ١٦ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ١٧ ﴾الأعراف. وقوله هذا يصور مدى الجهد الذي يبذله لإضلال بني آدم، فهو يأتيه من كل طريق، عن اليمين وعن الشمال، ومن الأمام ومن الخلف"(٢)

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب البر والصلة باب خُلِقَ الإِنْسَانُ خَلْقًا لاَ يَتَمَالَكُ. حديث رقم٦٨١٥ (٣١/٨). يَتَمَالَكُ: أَيْ لَا يتماسَكُ. النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/ ٣٦٠)

(٢) عالم الجن والشياطين، عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي، ط٤، ١٤٠٤ هـ- ١٩٨٤م، الناشر: مكتبة الفلاح، الكويت (ص: ٥٣)

المطلب الثالث– الصراع بين الحق والباطل والإنسان والشيطان

"إنَّ الذي يرسمه القرآن الكريم للمعركة بين شياطين الإنس والجن من ناحية، وكل نبي وأتباعه من ناحية أخرى، ومشيئة الله المهيمنة وقدره النافذ من ناحية ثالثة، هذا المشهد بكل جوانبه جدير بأن نقف أمامه وقفة قصيرة: إنها معركة تتجمع فيها قوى الشر في هذا الكون، شياطين الإنس والجن، تتجمع في تعاون وتناسق لإمضاء خطة مقررة، هي عداء الحق الممثل في رسالات الأنبياء وحربه، خطة مقررة فيها وسائلها،﴿ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ الأنعام: ١١٢، يمد بعضهم بعضا بوسائل الخداع والغواية وفي الوقت ذاته يغوي بعضهم بعضا! وهي ظاهرة ملحوظة في كل تجمع للشر في حرب الحق وأهله، إن الشياطين يتعاونون فيما بينهم ويعين بعضهم بعضاً على الضلال أيضا! إنهم لا يهدون بعضهم بعضاً إلى الحق أبداً، ولكن يزين بعضهم لبعض عداء الحق وحربه والمضي في المعركة معه طويلاً! ولكن هذا الكيد كله ليس طليقاً إنه محاط به بمشيئة الله وقدره، لا يقدر الشياطين على شيء منه إلا بالقدر الذي يشاؤه الله وينفذه بقدره. ومن هنا يبدو هذا الكيد – على ضخامته وتجمع قوى الشر العالمية كلها عليه – مقيدا مغلولا! إنه لا ينطلق كما يشاء بلا قيد ولا ضابط. ولا يصيب من يشاء بلا معقب ولا مراجع – كما يحب الطغاة أن يلقوا في روع من يعبدونهم من البشر، ليعلقوا قلوبهم بمشيئتهم وإرادتهم .. كلا! إن إرادتهم مقيدة بمشيئة الله. وقدرتهم محدودة بقدر الله. وما يضرون أولياء الله بشيء إلا بما أراده الله – في حدود الابتلاء – ومرد الأمر كله إلى الله، ومشهد التجمع على خطة مقررة من الشياطين جدير بأن يسترعي وعي أصحاب الحق ليعرفوا طبيعة الخطة ووسائلها".(١)

"إن وجود أولياء الرحمن وأولياء الشيطان أمر قديم نشأ منذ خلق آدم عليه السلام وأمر الله للملائكة بالسجود له فسجدت إلا إبليس أبى واستكبر، وقد تحدث القرآن الكريم عن قصة هذه العداوة بين آدم وإبليس في سور شتى." (٢)

نتاج الإعراض يمكن للشيطان: الشيطان لا يتمكن من نفس الإنسان إلا إذا أعرض عن هداية الله، وخرج عن المنهج المرسوم، فإذا أعرض الإنسان عن الطريق المرسوم له، عاقبه الله بتمكين الشيطان منه، فيوجهه وجهة الشر والفساد في كل قول وفى كل فعل.

---

(١) الإيمان بالجن بين الحقيقة والتهويل جمع وإعداد: علي بن نايف الشحود، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢ هـ – ٢٠١٠ م ،الناشر: دار المعمور، بهانج – ماليزيا. (ص: ١٢٢).

(٢) الولاء والبراء في الإسلام، أبو عاصم الشحات شعبان محمود عبد القادر البركاتي المصري، الطبعة: الأولى، ١٤٣٣ هـ – ٢٠١٢ م،الناشر: دار الدعوة الإسلامية. (ص: ١١١).

قال تعالى: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ الزخرف.

"ومع التمادي في الغي والضلال، يستحوذ الشيطان على النفس الإنسانية، ويستولى عليها استيلاء كاملاً، حتى يبلغ الإنسان أن يكون جنديًا لإبليس، أو عضوًا في جماعة الشياطين".(١)

وقوله: ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ﴾ الإسراء، "يقول: إن الشيطان يسيء محاورة بعضهم بعضاً ينزغ بينهم، يقول: يفسد بينهم، يهيج بينهم الشر ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ ﴾ الإسراء، يقول: إن الشيطان كان لآدم وذريته عدواً، قد أبان لهم عداوته بما أظهر لآدم من الحسد، وغروره إياه حتى أخرجه من الجنة".(٢)

" إن الصراع بين الحق والباطل قديم قدم البشرية فأول عدو لبني آدم هو إبليس الذي تعهد بإغواء البشرية قائلاً: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ ص، وقال ﴿ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ الأعراف: ٢٠وأقسم لهما: ﴿ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢١﴾ ﴾الأعراف، وهنا تظهر غريزة الإنسان وضعفه أمام المغريات، وها هو ذا قد ضعف أمام إغراء الشيطان، فأزلهما وأوقعهما في المخالفة، وكان ظاهر الأمر أن قد عصى آدم ربه وغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى.

وهكذا كانت حكمة الله وكان أمره لأسرار لا يعلمها إلا هو لتعمر الدنيا، ولتتحقق الخلافة لله في الأرض حكم بأن يخرجا من الجنة، ويهبط الكل بعضهم لبعض عدو، ولهم جميعا في الأرض مستقر ومتاع إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ".(٣)

قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ ﴾ [الكهف: ٦٣] .

قال المفسرون: "شغل قلبي بوسوسته حتى نسيت الحوت".(٤)

---

(١) العقائد الإسلامية، سيد سابق ، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت . (ص: ١٤٤)

(٢) تفسير الطبري (١٤/ ٦٢٤)

(٣) التفسير الواضح، لمحمد الحجازي،(١/ ٣٣)

(٤) النكت في القرآن الكريم (في معاني القرآن الكريم وإعرابه)، علي بن فَضَّال بن علي بن غالب المُجَاشِعِي القيرواني، أبو الحسن، دراسة وتحقيق: د. عبد الله عبد القادر الطويل،ط١ ،١٤٢٨-٢٠٠٧م دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت. (ص: ٣٠٧).

المطلب الرابع–موقف إبليس من أولياءه كما تعرضه السورة

قال تعالى ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٢﴾ ﴾إبراهيم،

" هنا ينتهي الحوار بين الفريقين، وترى زعيم المستكبرين، ومصدر الضلال والغواية يأخذ الكلمة ، ويلقي خطبته بعد أن كان يقف موقف المتفرج وهو يسمع ويشاهد المتحاورين من أهل النار حيث قال الشيطان مخاطباً أتباعه بما معناه بعد أن قضي الأمر دخل أهل الجنة في الجنة وأهل النار، في النار: إن الله وعدكم وعد الحق على ألسنة رسله فلم تطيعوه ، ولو أطعتموه لأدركتم الفوز العظيم، ووعدتكم كذباً وزوراً بأنه لا بعث ولا جزاء ولا جنة ولا نار فأخلفتكم وعدي ، وما كان لي عليكم من تسلط أو قهر أو حجة على تأييد قولي لتتبعوني، ولكن دعوتكم إلى الضلال ،ووسوست لكم فأسرعتم إلى إجابتي فلا تلوموني أبدا ،ولكن لوموا أنفسكم ، فأنتم الذين كنتم تملكون كامل الإرادة في اختيار طريق الخير أو طريق الشر، ولكنكم اخترتم الشر رغم تحذير الله لكم من سلوك سبل الشيطان وما كان مني إلا الوسوسة وزخرف القول وغروره، يا أتباعي كلنا في الغم والألم والعذاب سواء، ما أنتم بمغيثي مما أنا فيه من العذاب والنكال، إني كفرت اليوم بإشراككم إياي في الدنيا، وينهي الشيطان خطبته القاصمة يوجهها على أوليائه وأتباعه﴿ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٢﴾ ﴾تلك كانت خطبة الشيطان في النار".[1]

حرية الاختيار قضية عقدية

"يستمر إبليس في خطبته في أهل النار فيؤنبهم ويدعوهم إلى تأديب أنفسهم وزجرها؛ على سماعهم لوسوسته وأطاعوه فيقول﴿ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ ﴾، " أي: فلا تلموني بما وقعتم فيه بسبب وعدي لكم بالباطل وإخلافي لهذا الوعد ،ولوموا أنفسكم لاستجابتكم لي بمجرد الدعوة التي لا سلطان عليها ولا حجة". [2]

ولِمَ قال الشيطان لهم كما حكى عنه سبحانه ﴿ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ ﴾وهو معلوم أصلا" بسبب وسوسته.[3] الجواب أنه أراد لا تلوموني على فعلكم ولوموا أنفسكم عليه؛ لأنكم عدلتم عما توجه من هداية الله تعالى لكم.[4]

---

(١)تأملات في سورة إبراهيم ،عادل الرويني(ص١٤٧)

(٢) المرجع السابق (ص١٥١)

(٣) انظر الكشاف، للزمخشري (٣٠٠/٢)

(٤) انظر مفاتيح الغيب، للرازي،(٣٢٧/٩)

وقوله، ﴿ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ﴾،" يعني لما أدخل أهلُ الجنة الجنةَ وأهل النار النارَ، واستقرّ بكل فريق منهم قرارهم، أن الله وعدكم، أيها الأتباعُ النارَ، ووعدتكم النُّصْرة، فأخلفتكم وعدي، ووفى الله لكم بوعده ﴿ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ ﴾، يقول: وما كان لي عليكم، فيما وعدتكم من النصرة، من حجة تثبت لي عليكم بصدق قولي﴿ أَن دَعَوۡتُكُمۡ ﴾.

وهذا من الاستثناء المنقطع عن الأول، كما تقول: "ما ضربْتُه إلا أنه أحمق."[1]

وقوله تعالى﴿ وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ﴾ "روى سفيان، عن رجل، عن الحسن أنه قال: إذا كان يوم القيامة، ودخل أهل النار النار، وأهل الجنة الجنة، قام إبليس خطيباً على منبر من نار، فقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ ﴾. ويقال: إنهم لما دخلوا النار، أقبلوا على إبليس، وجعلوا يتهمونه ويلومونه ويقولون: أنت الذي أضللتنا، فيرد عليهم إبليس عليه اللعنة، فبيّن الله –تعالى– ردّه عليهم لكيلا يغتروا به في الدنيا، فذلك قوله:﴿ وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ﴾ يعني: لما فرغ من الأمر حين دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، فقال إبليس لأهل النار: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ ﴾ يعني: البعث بعد الموت والجنة والنار وَوَعَدْتُكُمْ بأنه لا جنة، ولا نار، ولا بعث، ولا حساب فَأَخْلَفْتُكُمْ فكذبتكم الوعد وَما كانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطانٍ يعني: لم يكن لي قدرة على الإكراه والقهر. ويقال: لم أكن ملكاً فقهرتكم على عبادتي. ويقال: لم يكن لي حجة على ما قلت لكم إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ يعني: سوى أن دعوتكم إلى طاعتي فَاسْتَجَبْتُمْ لِي يعني أستجبتم لي طوعا واختياراً؛ فلا تلموني بدعوتي إياكم ولوموا أنفسكم بالإجابة."[2]

وهذا يدل على أن الشيطان أغواهم للباطل والانحراف فقبلوه وأطاعوه دون دليل أو برهان، فكان هذا بإرادتهم واختيارهم لهذا تبرأ منهم، والله يحاسبهم لما أشركو به وانحرفوا عن منهاجه.

قال مقاتل: " يوضع له منبر من نار فيرقاه ويُجمع الكفار عليه بالإمامة (إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ) يوفى لكم (وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ)، (وَما كانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطانٍ) ولاية ومملكة وحجة وبصيرة، (إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ) هذا من الاستثناء المنقطع مجازه لمن يدعونكم (فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ) بإجابتي ومتابعتي من غير سلطان وغير برهان، (ما أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ)

---

(١) تفسير الطبري (١٦/ ٥٦٠)

(٢) بحر العلوم(تفسير السمرقندي)، أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي،تحقيق: د.محمود مطرجي، دار النشر : دار الفكر – بيروت. (٢/ ٢٤٠)

بمعينكم، (وَما أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ) بمغنيّ وبمغيثي" [1] إنه مشهد الخيبة لكلمن استسلم للشيطان وأطاعه في الأرض يقف هذا الموقف المذل والمهانة والندم يوم القيامة.

وقوله :﴿ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٢﴾ ﴾"يجوز أن يكون من كلام الله تعالى ، ابتداء لبيان استحقاق العصاة للعذاب ، وجوز أن يكون من تتمة كلام إبليس، وحكى القرآن قطعي لأطماع أهل النار من الكفار وغيرهم من إغاثتة وإعانتة، وحكى الله –تعالى– عنه ما سيقوله في ذلك الوقت ليكون تنبيهاً للسامعين وحثاً لهم على النظر في عاقبتهم، والاستعداد لما لا بد منه، وأن يتصوروا ذلك المقام الذي يقول فيه الشيطان ما يقول فيخافوا ويعملوا ما ينفعهم هناك". [2]فطاعة الضعفاء والمستكبرين للشيطان هي طاعة مهلكة كانت سبباً لاستحقاهم جميعاً عذاب الله وغضبه.

"فلا تلوموني ولوموا أنفسكم، ولاتلوموني حين ملام! إنما ينفع لوم النّفس فيما تتعاطاه من الإساءة في زمان المهلة وأوقات التكليف فإنّ أبواب التوبة مفتوحة، ولكن لمن لم ينزع روحه".[3]

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ ﴾ووعد الْحق هُوَ الَّذِي يَقع الْوَفَاء [بِهِ] . وَقَوله:﴿ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ ﴾ هُوَ مَا لَا يَقع بِهِ الْوَفَاء، وَقيل: إِنَّه يَقُول لَهُم: قلت لكم لَا بعث وَلَا جنَّة وَلَا نَار، وَغير ذَلِك.

وما قاله السمعاني في تفسيره: " فيَ قَوله:﴿ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ ﴾مَعْنَاهُ: أَنِّي لم آتكم بِحجَّة فِيمَا دعوتكم إِلَيْهِ. وَقَوله: ﴿ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ ﴾هَذَا اسْتِثْنَاء مُنْقَطع، وَمَعْنَاهُ: وَلَكِن دعوتكم أَي: زينت لكم."[4]وهذا اعتراف من الشيطان بضعفه وضعف كيده في الدنيا والآخرة.

---

(١) الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق ،تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي،ط١ ، ١٤٢٢-٢٠٠٢م، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، (٥/ ٣١٣).

(٢) تفسير الألوسي (٧/ ٢٠٠)

(٣) تفسير القشيري لطائف الإشارات، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الطبعة: الثالثة، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر. (٢/ ٢٤٧)

(٤) تفسير السمعاني تفسير القرآن، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني، تحقيق ياسر بن إبراهيم و غنيم بن عباس بن غنيم، ط١، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م الناشر دار الوطن – الرياض. (٣/ ١١٢)

قال المفسرون: " يعني به إبليس، لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ أي: فُرغ منه، فدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، فحينئذ يجتمع أهل النار باللَّوم على إبليس، فيقوم فيما بينهم خطيباً ويقول: إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ أي: وعدكم كَوْن هذا اليوم فَصَدَقكم وَوَعَدْتُكُمْ أنه لا يكون فَأَخْلَفْتُكُمْ الوعد وَما كانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطانٍ أي: ما أظهرت لكم حُجَّةً على ما ادَّعيت". ([1])

وقال بعضهم: "ما كنت أملككم فأُكرهكم إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ وهذا من الاستثناء المنقطع، والمعنى: لكن دعوتكم فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ حيث أجبتموني من غير برهان، ما أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ أي: بمغيثكم وَما أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ أي: بمغيثيَّ. قرأ حمزة «بمُصرِخيِّ» فحرك الياء إلى الكسر، وحرَّكها الباقون إلى الفتح. قال قُطرب: هي لغة في بني يربوع يعني: قراءة حمزة".[2]

ومما قاله ابن عطية في تفسيره : "قول الشيطان: ﴿فَلَا تَلُومُونِي﴾يريد بزعمه إذ لا ذنب لي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ في سوء نظركم وقلة تثبتكم فإنكم إنما أتيتم اتباعي عن بصيرة منكم وتكسب. و «المصرخ» المغيث، والصارخ: المستغيث".[3]

قال تعالى : "﴿وَعْدَ ٱلْحَقِّ ﴾الجنة والنار والبعث والثواب والعقاب. ﴿ وَوَعَدتُّكُمْ ﴾بأن لا بعث ولا ثواب ولا عقاب ﴿بِمُصْرِخِىَّ ﴾ بمنجي أو بمغيثي ﴿ إِنِّى كَفَرْتُ ﴾ قبلكم﴿ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ ﴾ من بعدي لأن كفره قبل كفرهم".[4]

يقول الشيطان بلسان الحال، ولعله بلسان المقال: "فَاسْتَجَبْتُمْ لِي أسرعتم إجابتي، فَلا تَلُومُونِي بوسوستي فإن من صريح العداوة لا يلام بأمثال ذلك، وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ حيث أطعتموني إذ دعوتكم

([1])زاد المسير في علم التفسير (٢/ ٥١٠).

(٢) زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت (٢/ ٥١٠)

(٣) تفسير ابن عطية المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد،ط١،١٤٢٢هـ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت. (٣/ ٣٣٤).

(٤) تفسير العز بن عبد السلام تفسير القرآن / اختصار النكت للماوردي، عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي الدمشقي الشافعي، تحقيق الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي، ط١، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦مالناشر دار ابن حزم بيروت. (٢/ ١٦٣)

ولم تطيعوا ربكم لما دعاكم"[1]،يلقي الشيطان اللوم على الإنسان الضال لإسراعه في المعصية وعدم طاعة الله.

قال تعالى : ﴿ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ﴾"فأسرعتم إجابتي ﴿ فَلَا تَلُومُونِى ﴾لأن من تجرد للعداوة لإيلام إذا دعا إلى أمر قبيح، مع أن الرحمن قد قال لكم لا يفتنكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة، ﴿ وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم ﴾حيث اتبعتموني بلا حجة ولا برهان".[2]﴿ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ إبراهيم، هذه أسلحة الشيطان الضعيفة ليزيدكم حرقة وألماً بعد وقوعكم بالذنوب وتوريطكم بمعصية الله، وقد ينجر رق البائس للهاوية إذا ما استعاذ بالله من الشيطان ولجأ إلى لله وعاد للباطل والله على الحق، وتوبيخ أتباعه أنهم بمجرد دعوتهم سمعوا وأطاعوه وليس له عليهم أدنى سلطان ولكنهم كانوا في بعد عن الله هل نستفيد نحن من هذه الدروس من كتاب الله لننتفع بها في الدنيا ونفوز برضا الله بالآخرة.

قال ابن كثير: "فَقَامَ فِيهِمْ إِبْلِيسُ -لَعَنَهُ اللَّهُ -حِينَئِذٍ خَطِيبًا لِيَزِيدَهُمْ حُزْنًا إِلَى حُزْنِهِمْ وغَبنا إِلَى غبْنهم، وَحَسْرَةً إِلَى حَسْرَتِهِمْ، فَقَالَ:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ ﴾ أَيْ: عَلَى أَلْسِنَةِ رُسُلِهِ، وَوَعَدَكُمْ فِي اتِّبَاعِهِمُ النَّجَاةَ وَالسَّلَامَةَ، وَكَانَ وَعْدًا حَقًّا، وَخَبَرًا صِدْقًا، وَأَمَّا أَنَا فَوَعَدْتُكُمْ وَأَخْلَفْتُكُمْ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ ﴾النساء، ثُمَّ قَالَ:﴿ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ ﴾ أَيْ: مَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ فِيمَا دَعَوْتُكُمْ إِلَيْهِ مِنْ دَلِيلٍ وَلَا حُجَّةٍ عَلَى صِدْقِ مَا وَعَدْتُكُمْ بِهِ."[3]

طاعة الشيطان خسارة ينتقل به من مطلب إلى آخر يوصلك إلى المهلكات ويتبرأ منك يوم القيامة، ويكون سبباً لهلاكك؛ لأن كثيراً من انحرافات البشر وراءها إبليس، زين لهم وثبت في نفوسهم الأنفة والكبرياء من أن يتراجعوا ووقف سداً منيعاً بينهم وبين الحق.

---

(١) تفسير البيضاوي (٣/ ١٩٧)

(٢) مدارك التنزيل وحقائق التأويل تفسير النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو،ط١٤١٩،١-١٩٩٨م الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت. (٢/ ١٧٠)

(٣) تفسير ابن كثير (٤/ ٤٨٩)

"لما ذكر الله –سبحانه وتعالى– المناظرة التي وقعت بين الرؤساء والأتباع أردفها بالمناظرة التي وقعت بين الشيطان وأتباعه فقال:﴿ وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ﴾"[1]

ومما تبينه الآيات الكريمة : أن الشيطان وعدكم وعوداً باطلة مهلكة في قوله تعالى﴿ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ ﴾ إن وعود الشيطان لأتباعه وعود باطلة لا صحة لها ولا دليل؛ لأن الشيطان لم يكن معه دليل ولا حجة على ما كان يوسوس لهم ويريهم للباطل من أقوال وادعاءات باطلة، ورغم ذلك إتبعوه دون أن مطالبته بدليل أو برهان على صحة ما يدعي وما يأمرهم به، ﴿ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ ﴾ وهنا أوقع الشيطان الملامة على أتباعه حتى يزدادوا حزناً على حزنهم وندم على ندمهم بقوله ﴿ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم ﴾.

قال المفسرون: كما سبق ذكره في التفاسير السابقة "إذ استقر أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار، أخذ أهل النار في لوم إبليس وتقريعه ،فيقوم فيما بينهم خطيبا ، فيقول: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ ﴾وقيل: المراد من قوله تعالى: ﴿ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ﴾ أي لما انقضت المحاسبة والمراد من الشيطان إبليس لعنه الله.

قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ ﴾ أي قدرة وتسلط وقهر فأقهركم على الكفر والمعاصي".[2]

الخلاصة:

العلاقة بين الشيطان والإنسان تقوم على العداوة الشاملة التي تستهدف كل شيء في الإنسان دينه وخلقه وصحته ونسله وماله ووقته وعقله وشرفه واستقراره وحتى طعامه وشرابه إلى غير ذلك في الكثير من الميادين والمجالات، كما يستخدم الشيطان وسائل وأساليب خطيرة وكثيرة من أبرزها الإغواء والوسوسة والتزيين والعمل على إنساء الإنسان ذكر الله والوعد بالفقر وإغراء الإنسان والجدل في الحق.

ومن أهم طرق الوقاية التي حث عليها القرآن العظيم:

الاستعاذة من الشيطان والعودة إلى الله واجتناب ما نهى الله عنه وعدم مجالسة رفقاء السوء.

ومما يجدر الإشارة إليه: أن وجود الشيطان من لوازم التكليف الإنساني إذ لا يصح التكليف بدونه حيث يصبح لا فضل لإنسان على عمل تعطلت نحوه إرادته وحريته. [3]

---

(١) اللباب في علوم الكتاب اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني، ، ط١، ١٤١٩ هـ –١٩٩٨م ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان.(١١/ ٣٦٩)

(٢)التفسير المنهجي أ.د.أحمد شكري (٥/ ١٥٤).

(٣) انظر مقال بعنوان حقيقة العلاقة بين النفس الإنسانية والشيطان وانعكاساتها التربوية بقلم د. محمد عمر الفقيه.http://pulpit.alwatanvoice.com/content/print/187557.htm.بتصرف

المبحث الرابع
القضاء والقدر في ضوء السورة

من أسباب سعادة المؤمن وانشراح صدره في هذه الحياة الدنيا إيمانه بالقضاء والقدر؛ لعلمه اليقين أن جميع الأمور كبيرها وصغيرها حلوها مرها كلها بتقدير الله –تعالى–، فيرضى ويسلم وهو على يقين أن الإيمان بالقضاء القدر من أهم ركائز العقيدة الإسلامية، وهو ركن من أركان الإيمان ومن خلال هذا المبحث سنوضح المقصود بالقضاء والقدر، وعلاقته بسورة إبراهيم

المطلب الأول– القضاء والقدر لغةً واصطلاحاً

أولاً– القضاء والقدر لغةً:

أ–القضاء لغة:

قال ابن فارس:" الْقَافُ وَالضَّادُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى إِحْكَامِ أَمْرٍ وَإِتْقَانِهِ وَإِنْفَاذِهِ لِجِهَتِهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ فصلت: ١٢"[١]، "وجاء القضاء بمعنى الفصل والحكم وقد تكرر في أحاديث رسول اللهﷺ ذكر (القضاء)وأصلُه: القَطْع والفَصْل، يُقَالُ: قَضَى يَقْضِي قَضاءً فَهُوَ قاضٍ: إِذَا حكَم وفَصَل. وقَضاءُ الشَّيْءِ: إِحْكامه وإِمْضاؤه والفَراغ مِنْهُ، فَيَكُونُ بِمَعْنَى الخَلْق.

وَقَالَ الزُّهري:" القَضاءُ فِي اللُّغة عَلَى وُجُوهٍ، مَرْجعها إِلَى انْقِطَاعِ الشَّيْءِ وتَمامه. وكلُّ مَا أُحكِم عَملُه، أَوْ أُتِمَّ، أَوْ خُتِم، أَوْ أُدِّي، أَوْ أُوجِبَ، أَوْ أُعْلِم، أَوْ أُنفِذَ، أَوْ أُمْضيَ. فَقَدْ قُضِيَ. وَقَدْ جَاءَتْ هَذِهِ الوجُوه كلُّها فِي الْحَدِيثِ. "[٢]

وخلاصة ما سبق أن القضاء: هو الحكم، والصنع، والحتم، والبيان، وأصله القطع، والفصل، وقضاء الشيء، وإحكامه، وإمضاؤه، والفراغ منه؛ فيكون بمعنى الخلق[٣].

ب–القدر لغة: مصدر قدَرتُ الشيء أقْدُره قَدْرًا؛ أي: أحطتُ بمقداره، فهو الإحاطة بمَقادير الأمور.[٤]، قال ابن حجر (رحمه الله): " وَالْقَدَرُ مَصْدَرٌ تَقُولُ قَدَرْتُ الشَّيْءَ بِتَخْفِيفِ الدَّالِ وَفَتْحِهَا أَقْدِرُهُ بِالْكَسْرِ وَالْفَتْحِ قَدْرًا وَقَدَرًا إِذَا أَحَطْتُ بِمِقْدَارِهِ".[٥]

---

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٥/ ٩٩)

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٤/ ٧٨)

(٣) انظر: تأويل مشكل القرآن، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، المحقق: إبراهيم شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان (ص٤٤١–٤٤٢).

(٤) انظر المخصص أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي المعروف بابن سيده، تحقيق : خليل إبراهم جفال، الطبعة: الأولى١٤١٧هـ ١٩٩٦م، دار النشر: دار إحياء التراث العربي –بيروت(٣/ ٤٤١).

(٥) فتح الباري لابن حجر (١/ ١١٨).

ثانياً – القضاء والقدر اصطلاحاً:

أ–القضاء اصطلاحاً: يقول ابن حجر (رحمه الله): " الْقَضَاءُ هُوَ الْحُكْمُ الْكُلِّيُّ الْإِجْمَالِيُّ فِي الْأَزَلِ وَالْقَدَرُ جُزْئِيَّاتُ ذَلِكَ الْحُكْمِ".[١] وقيل : "تقدير الله للكائنات حسب ما سبق به علمُه، واقتضته حكمته" .[٢]

ب. القدر اصطلاحاً :"هو علم الله–تعالى–بالأشياء وكِتابته لها قبل كونها، على ما هي عليه، ووجودها على ما سبَق به عِلمُه، وكتابته بمشيئته وخلقه. وقيل والقدر: ما سبق به العلم، وجرى به القلم مما هو كائن إلى الأبد، وأنه ﷻ قدر مقادير الخلائق، وما يكون من الأشياء قبل أنتكون في الأزل، وعلم سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده تعالى، وعلى صفات مخصوصة، فهي تقع على حسبما قدر لها". [٣]

وقد عد الرسولﷺ القدر من أصول الإيمان في إجابته عن سؤال جبريل عليه السلام فقال: **"الإِيمَانِ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ".**[٤]

وعليه فكلٌّ مِن القضاء والقدر يأتي بمعنى الآخر، فمعاني القضاء تؤول إلى إحكام الشيء، وإتقانه، ونحو ذلك من معاني القضاء، ومعاني القدر تدور حول ذلك، وتعود إلى التقدير، والحكم، والخلق، والحتم، ونحو ذلك.

المطلب الثاني–حكم الإيمان بالقضاء والقدر:

الإيمان بالقدر ركن من أركان الإيمان الستة التي وردت في حديث جبريل الطويل حين سئل عن الإيمان، فقال: "وأن تُؤْمِنَ بالقَدَرِ خَيرِهِ وَشَرِّهِ"(٥).

وقد دلَّ القرآن الكريم والسنة النبوية وإجماع المسلمين والفطرة والعقل على وجوب الإيمان بالقضاء والقدر، ومن هنا كان الإيمان بالقضاء والقدر يعني الإيمان بأن الله –تبارك وتعالى– قدر الأشياء في القدم ، وعلم أنها ستقع في أوقات معلومة عندهﷻ وعلى صفات مخصوصة فهي تقع حسب ما قدرها والرضا والتسليم لله –تعالى– في كل ما قدر وقضى سواء كان خيراً أو غيره. (٦)

---

(١) المرجع السابق (١١/ ٤٧٧).

(٢) رسائل في العقيدة، للشيخ محمد بن عثيمين (ص٣٧).

(٣) عقيدة السفاريني(١/٣٤٨).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان باب معرفة الإيمان والإسلام والقدر، حديث رقم ١٠٢(١/ ٢٨).

(٥) المرجع السابق. الجزء والصفحة.

(٦) انظر شرح أصول العقيدة الإسلامية، د. نسيم شحدة ياسين ط٥(ص٢٣٨).

المطلب الثالث – القضاء والقدر في سورة إبراهيم

القارئ لسورة إبراهيم عليه السلام يجد أن السورة تناولت إيحاءً لموضوع القضاء والقدر في موضعين هما :

١–قوله تعالى:﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٤ ﴾إبراهيم.

فقوله الحكيم هنا أي أنه هو الذي يقدر ويقضى الأمور لعباده، ويؤكد ذلك الشوكاني (رحمه الله) بقوله: "الْحَكِيمُ الَّذِي يُجْرِي أَفْعَالَهُ عَلَى مُقْتَضَى الْحِكْمَةِ"(١) فمقتضى الحكمة هو قضاء الله وقدره لعباده. يقول ابن عباس:"﴿ ٱلۡحَكِيمُ ﴾في أمره وقضائه."(٢)﴿ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ ﴾ " ممن لم ينقد للهدى، ويهدي من يشاء ممن اختصه برحمته.﴿ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾"الذي –من عزته– أنه انفرد بالهداية والإضلال، وتقليب القلوب إلى ما شاء، ومن حكمته أنه لا يضع هدايته ولا إضلاله إلا بالمحل اللائق به. ".(٣)

﴿ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن ﴾إبراهيم ٤.

وقال تعالى: ﴿ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ ﴾إبراهيم: ٤"أي لمباشرته أسبابه المؤدية إليه، أو يخذله ولا يلطف به لعمله أنه لا ينجح فيه الإلطاف. ويهدي من يشاء لما فيه من الإنابة والإقبال إلى الحق. و (الفاء) فصيحة، كأنه قيل فبينوه، فأضل الله من شاء إضلاله وهدى من شاء. الحذف للإيذان بأن مسارعة كلّ رسول إلى ما أمر به، وجريان كل من أهل الخذلان والهداية على سننه، أمر محقق غني عن الذكر والبيان وهو العزيز الحكيم أي : فلا يغالب، ولا يقضي إلا بما فيه الحكمة".(٤)

وهؤلاء المستحقون لعقاب الله هم الذين يختارون شهوات الدنيا ومتاعها على الآخرةوما فيها من نعيم مقيم، ويصرفون الناس عن الإيمان بالله و طريقه المستقيم، ويريدون لسبيل الله أن تكون معوجة مائلة؛ لتتفق مع أهوائهم وشهواتهم، فمنهم من لا يكتفون بالضلال، بل يسعون لإضلال غيرهم، ويحاولون الانحراف بسبيل الله عن سواء الصراط، وهم يظنون ويتوهمون قدرتهم على ذلك.

---

(١) فتح القدير للشوكاني (٣/ ١١٣)

(٢) تنوير المقباس، لفيروز أبادي (ص: ٢١١)

(٣) تفسير السعدي (ص: ٤٢١)

(٤) محاسن التأويل، "تفسير القاسمي" ،محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي،تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط١، ١٤١٨هـ، الناشر: دار الكتب العلميه – بيروت.تفسير القاسمي (٢٩٩/٦)

إن الموصوفين بهذه الصفات في ضلال بعيد عن الحق لا يُرجى لهم صلاح ولا هداية، التعبير ب(في) للإشارة إلى تمكن الضلال منهم وإحاطته بهم من كل جانب.(١)

﴿ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٤﴾ ﴾إبراهيم ويصرفون الناس عن الإيمان بالله وعن طريقه المستقيم ويطلبون لسبيل الله أن تكون معوجة مائلة لتتفق مع أهوائهم وشهواتهم فهم لا يكتفون بالضلال بل يسعون لإضلال غيرهم ويحاولون الانحراف بسبيل الله عن سواء الصراط وهم يظنون ويتوهمون قدرتهم على ذلك.(٢)

مراتب الضلال:

النوع الأول- الذين يستحسنون الدنيا على الآخرة وهؤلاء الذين وصفهم الله بأنهم:﴿ **ٱلَّذِينَ يَسۡتَحِبُّونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ** ﴾إبراهيم: ٣ أي: يقدمونها ويؤثرونها عليها ويعملون للدنيا ونسوا الآخرة وتركوها وراء ظهورهم. (٣)

النوع الثاني-الذين يصدون عن دين اللهﷻ،﴿ **وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ** ﴾إبراهيم:٣ أي "يمنعون من أراد الإيمان بالله واتباع رسوله على ما جاء به من عند الله من الإيمان واتباعه".(٤)"أي أنهم لم يكتفوا بحب الدنيا على الآخرة، ولم يكتفوا بالسير في طريق الشهوات والملذات وتخريب ذواتهم، بل تمادوا في الغي وصدوا غيرهم عن سبيل الله".(٥)

النوع الثالث-الذين يتبعون أهوائهم ويدعون الناس إلى إتباعهم﴿ **وَيَبۡغُونَهَا عِوَجًاۚ** ﴾أي "يطلبون لها زيغاً وميلاً لموافقة أهوائهم وقضاء حاجاتهم وأغراضهم والسبيل -تُذكر وتُؤنث- والعِوج-بكسر العين- في الدين والأمر والرضا، وفي كل ما لم يكن قائماً، وبفتح العين في كل ما كان قائما، كالحائط والرمح ونحوه".(٦)وكذلك ﴿ **وَيَبۡغُونَهَا عِوَجًاۚ** ﴾فسرها الطبري" يلتمسون سبيل الله وهو دينه الذي ابتعث به رسوله، (عوجا) وتحريفها وتبديلاً بالكذب والزور".(٧)

"أي يبغون شريعة الله معوجة لتحقق لهم نزواتهم، وهكذا نجد ثلاث مراتب للضلال: استحباب الحياة الدنيا على الآخرة، والصد عن سبيل الله، وتشويه المنهج؛ كي يكرهوا الناس فيه".(٨)

---

(١) انظر التفسير المنهجي، أ.د. أحمد شكري، (١٣٨/٥)

(٢) انظر المرجع السابق، (١٣٧/٥)

(٣) انظر تفسير ابن كثير (٤٧٧/٤)

(٤) تفسير الطبري: (٥١٥/١٦)

(٥) تفسير الشعراوي (٧٤٣٢/١٢).

(٦) تفسير القرطبي (٩/ ٣٤٠)

(٧) تفسير الطبري(٥١٥/١٦)

(٨) تفسير الشعراوي: (٧٤٣٢/١٢)

ولما ذكر الله –تبارك وتعالى– هذه المراتب الثلاث لأحوال هؤلاء الكفار قال في صفتهم:﴿ ٱلَّذِينَ يَسۡتَحِبُّونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٖ ﴿٣﴾ ﴾إبراهيم، أولئك في ضلال بعيد وكان سبب وصف الله هذا الضلال بالبعد، "أي فهم باختيارهم لأنفسهم حب العاجلة، وصدهم عن الحق لا يرجى لهم الفلاح، وأنى لهم ذلك وقد كبّوا على وجوههم وزين لهم الفساد والغي، فيرون حسناً ما ليس بالحسن وقبحاً ما ليس بالقبح."(١)

يقول ابن كثير (رحمه الله): "بَعْدَ الْبَيَانِ وَإِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ يَضِلُّ تَعَالَى مَنْ يَشَاءُ عَنْ وَجْهِ الْهُدَى، وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى الْحَقِّ،﴿ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ﴾ الَّذِي مَا شَاءَ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، ﴿ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ فِي أَفْعَالِهِ، فَيُضِلُّ مَنْ يَسْتَحِقُّ الْإِضْلَالَ، وَيَهْدِي مَنْ هُوَ أَهْلٌ لِذَلِكَ".(٢)

٢–قوله تعالى:﴿ وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٢﴾ ﴾إبراهيم،يبين الله ﷻ أن ما قدره وقضاه سيكون هذا واضحاً للناس، وخاصة لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ: "أي لَمَّا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ فيقول إبليس: إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَهُوَ وَعْدُهُ سُبْحَانَهُ بِالْبَعْثِ وَالْحِسَابِ، وَمُجَازَاةِ الْمُحْسِنِ بِإِحْسَانِهِ وَالْمُسِيءِ بِإِسَاءَتِهِ وهذا ما قدره الله لعباده لكنى وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ أَيْ: وَعَدْتُكُمْ وَعْدًا بَاطِلًا وخالفت في أمر الله، وَما كانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطانٍ أَيْ: تَسَلُّطٍ عَلَيْكُمْ بِإِظْهَارِ حُجَّةٍ عَلَى مَا وَعَدْتُكُمْ بِهِ وَزَيَّنْتُهُ لَكُمْ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي أَيْ: إِلَّا مُجَرَّدُ دُعَائِي لَكُمْ إِلَى الْغَوَايَةِ وَالضَّلَالِ بِلَا حُجَّةٍ وَلَا بُرْهَانٍ، ... مَا أَنَا بِمُغِيثِكُمْ مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ مِنَ الْعَذَابِ، وَمَا أَنْتُمْ بِمُغِيثِيَّ مِمَّا أَنَافِيهِ؛ لأن هذا ما قدره الله لمن خالف أمره في الدنيا وقضاه له في الآخرة".(٣)

يقول ابن كثير:" بَعْدَمَا قَضَى اللَّهُ بَيْنَ عِبَادِهِ، فَأَدْخَلَ الْمُؤْمِنِينَ الْجَنَّاتِ، وَأَسْكَنَ الْكَافِرِينَ الدَّرَكَاتِ، فَقَامَ فِيهِمْ إِبْلِيسُ –لَعَنَهُ اللَّهُ –حِينَئِذٍ خَطِيبًا لِيَزِيدَهُمْ حُزْنًا إِلَى حُزْنِهِمْ وغبنا إِلَى غبْنهم، وَحَسْرَةً إِلَى حَسْرَتِهِمْ، فَقَالَ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ ﴾أَيْ: عَلَى أَلْسِنَةِ رُسُلِهِ، وَوَعَدَكُمْ فِي اتِّبَاعِهِمُ النَّجَاةَ وَالسَّلَامَةَ، وَكَانَ وَعْدًا حَقًّا، وَخَبَرًا صِدْقًا، وَأَمَّا أَنَا فَوَعَدْتُكُمْ وَأَخْلَفْتُكُمْ" ".(٤)

---

(١) تفسير المراغي (١٣/١٢٦)

(٢) تفسير ابن كثير ت سلامة (٤/ ٤٧٧).

(٣) فتح القدير للشوكاني (٣/ ١٢٤)

(٤) تفسير ابن كثير (٤/ ٤٨٩– ٤٩٠)

يقول السعدي:﴿ وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ ﴾الذي هو سبب لكل شر يقع ووقع في العالم، مخاطبا لأهل النار ومتبرئا منهم﴿ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ﴾ ودخل أهل الجنة الجنة وأهل النار.﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ ﴾ على ألسنة رسله فلم تطيعوه، فلو أطعتموه لأدركتم الفوز العظيم، ﴿ وَوَعَدتُّكُمۡ ﴾الخير ﴿ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ ﴾ أي: لم يحصل ولن يحصل لكم ما منيتكم به من الأماني الباطلة.

﴿ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ ﴾ أي: من حجة على تأييد قولي، ﴿ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ ﴾ أي: هذا نهاية ما عندي أني دعوتكم إلى مرادي وزينته لكم، فاستجبتم لي اتباعا لأهوائكم وشهواتكم، فإذا كانت الحال بهذه الصورة ﴿ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ ﴾ فأنتم السبب وعليكم المدار في موجب العقاب، ﴿ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ ﴾ أي: بمغيثكم من الشدة التي أنتم بها ﴿ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ ﴿٢٢﴾ ﴾ كل له قسط من العذاب."[1]

" وهنا نجد تصعيداً للحوار؛ فبعد أنْ كان من المتبوعين والتابعين؛ نجد هذا الارتقاء في الحوار ليكون بين الشيطان وبين البشر. ونلحظ أن الحق سبحانه هنا بالحال الذي يدور فيه الحوار وهو انقضاء الأمر؛ حيث يقرَّر الوَضْع النهائي لكل شيء". [2]

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٤٢٤)

(٢) تفسير الشعراوي (١٢/ ٧٤٨٤).

الفصل الرابـع

قضايا عقدية أخرى في سورة إبـراهيم

وفيه ثلاثة مباحث :-

المبحث الأول-أصناف الناس في ضوء سورة إبراهيم.

المبحث الثاني- مفهوم الإسلام والإيمان في سورة إبراهيم.

المبحث الثالث- عالمية الإسلام في سورة إبراهيم.

المبحث الأول

أصناف الناس في ضوء سورة إبراهيم

المتأمل في ثنايا سورة إبراهيم عليه السلام يدرك من خلال آياتها أن الناس في الدنيا أصناف كثيرة متعددة، وهناك من ذكر باعتبار الإيمان، أو باعتبار الطاعة أو المعصية.

وإليك هذه الأصناف المصرح بها أو اقتبست اقتباس:

١- **الضالون المهتدون:** قال تعالى:﴿ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ ﴾إبراهيم: ٤، "ممن لم ينقد للهدى، ويهدي من يشاء ممن أختصه برحمته".(١)

قال الشوكاني: "فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء مُسْتَأْنَفَةٌ، أي: يضل من يشاء.

قال الفراء: إذا ذكر فعل وبعده فعل آخر فإن لم يكن النسق مشاكلاً للأول فالرفع على الاستئناف هون الوجه، فيكون معنى هذه الآية: وما أرسلنا من رسول الله إلا بلسان قومه ليبين لهم تلك الشرائع باللغة التي ألفوها وفهموها، ومع ذلك فإن المضل والهادي هو الله عز وجل والبيان لا يوجب حصول الهداية إلى إذا جعله الله -سبحانه- واسطة وسبباً، وتقديم الإضلال على الهداية؛ لأنه متقدم عليها، إذ هو إبقاء على الأصل والهداية إنشاء ما لم يكن، وهو العزيز الذي لا يغالبه مغالب، الحكم الذي يجري أفعاله على مقتضى الحكمة، ثم لما بين أن المقصود من بعثة نبينا ﷺ هو إخراج الناس من الظلمات إلى النور أراد أن يبين أن الغرض من إرسال الأنبياء لم يكن إلا ذلك، وخص موسى عليه السلام بالذكر؛ لأن أمته المتقدمة على هذه الأمة المحمدية فقال:﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ ﴾إبراهيم:٥؛لِأَنَّ أُمَّتَهُ أَكْثَرُ الْأُمَمِ الْمُتَقَدِّمَةِ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ فَقَالَ:﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ ﴾أَيْ:مُتَلَبِّسًا بِهَا. وَالْمُرَادُ بِالْآيَاتِ: الْمُعْجِزَاتُ الَّتِي لِمُوسَى" .(٢)

وبعد أن يقوم الرسول بتبليغ رسالة ربه، يضل أناس من قومه ممن استحبوا الضلالة على الهُدى ولم يستجيبوا لأمره فيضلهم الله ويهدي أناس من قومه ممن انفتحت قلوبهم للهدى ، والتزموا أمر نبيهم فيهديهم الله وهو العزيز الذي لا يغالب في مشيئته، الحكيم فيما أوجب على الناس في شريعته.(٣)

٢- **الكافرون:** قال تعالى:﴿ وَوَيْلٌ لِّلْكَـٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ ﴾إبراهيم؛ثم يكشف عن صفة تحمل معنى العلة لكفر الكافرين بنعمة الله التي يحملها رسوله الكريم، قال تعالى﴿ ٱلَّذِينَ

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٤٢١)

(٢) فتح القدير للشوكاني (٣/ ١١٣)

(٣)انظر التفسير المنهجي، أ.د. أحمد شكري، (١٣٨/٥) .

﴿يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا عَلَى الْءَاخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٣﴾﴾إبراهيم، "فاستحباب الحياة الدنيا على الآخرة يصطدم بتكاليف الإيمان ويتعارض مع الاستقامة على الصراط، وليس الأمر كذلك حين تستحب الآخرة؛ لأنه عندئذ تصلح الدينا، ويصبح المتاع بها معتدلاً، ويراعي فيه وجه الله، فلا يقع التعارض بين استحباب الآخرة ومتاع هذه الحياة".(١)

٣- الشاكرون والجاحدون للنعمة: قال تعالى:﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾إبراهيم: ٧ من نعمي ﴿وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾إبراهيم، "ومن ذلك أن يزيل عنهم النعمة التي أنعم بها عليهم".(٢)

﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾إبراهيم: ٧، أي: لئن شكرتم نعمتي عليكم لأزيدنكم منها، ﴿وَلَئِن كَفَرْتُمْ﴾، أي: كفرتم النعم وسترتموها وجحدتموها، ﴿إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾إبراهيم، وذلك بسلبها عنهم، وعقابه إياهم على كفرهم. وقد جاء في الحديث: "**إِن الرَّجُلَ ليحرم الرزق بالذنب يصيبه**"(٣).

وعَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: **أَتَى النَّبِيَّ ﷺ سَائِلٌ فَأَمَرَ لَهُ بِتَمْرَةٍ فَلَمْ يَأْخُذْهَا أَوْ وَحَّشَ بِهَا قَالَوَ أَتَاهُ آخَرُ فَأَمَرَ لَهُ بِتَمْرَةٍ قَالَ فَقَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ تَمْرَةٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِﷺ قَالَ فَقَالَ لِلْجَارِيَةِ اذْهَبِي إِلَى أُمِّ سَلَمَةَ فَأَعْطِيهِ الْأَرْبَعِينَ دِرْهَمًا الَّتِي عِنْدَهَا**(٤)." (٥)وفي قوله:﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾إبراهيم: ٧، "ثلاثة أقوال: أحدها: لئن شكرتم لأزيدنكم من طاعتي، قاله الحسن. والثاني: لئن شكرتم إنعامي لأزيدنكم من فضلي، قاله الربيع. والثالث: لئن وحدتموني لأزيدنكم خيراً في الدنيا، قاله مقاتل. وفي قوله: ولئن كفرتم قولان: أحدهما: أنه كفر بالتوحيد. والثاني: كفران النعم. قوله تعالى:﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾﴾إبراهيم، أي: عني عن خلقه، محمود في أفعاله؛ لأنه إما مفضل بفعله، أو عادل."(٦)

"لئن شكرتم بنعمتي عليكم لأزيدنكم من فضلي ونعمي، فالشكر سبب لمزيد من النعم وسعة الرزق، ولئن كفرتم نعمتي عليكم بإنكارها أو بالتقصير في شكرها فإنكم ستستحقون بذلك العذاب الشديد بسبب إنكار النعم في الدنيا، والعقوبة في الآخرة،ومن هنا وجب على العامل التوجه إلى الله –تعالى– بالشكر على نعمه الكثيرة؛ حتى يزيد الله فيها ويبارك لهُ فيها، وليحذر

---

(١) في ظلال القرآن، لسيد قطب (٢٠٨٦/٤)

(٢) تفسير السعدي (ص:٤٢٢)

(٣) أخرجه ابن ماجه سننه في باب في القدر (١/ ٦٨) حديث رقم ٩٠، قال: شعيب الأرنؤوط: حسن لغيره.

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده حديث رقم ١٢٥٧٤ (٢٠/ ٣٦)

(٥) تفسير ابن كثير(٤٧٩/٤)

(٦) زاد المسير في علم التفسير لأبو الفرج الجوزي(٥٠٥/٢).

من كفر النعمة بالتقصير في شكرها أو بنسبة حصولها إلى غير الله، فتسلب منه النعمة ويجازي على كفران النعمة بالحرمان منها وبالعذاب الشديد في الآخرة".[١]

٤-المتوكلون

قال تعالى:﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١١﴾ ﴾إبراهيم،"أي على الله وحده فليعتمد المؤمنون في جميع أمورهم﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ ﴾، أي قالت الرسل: أي شيء يمنعنا من التوكل على الله؟ ﴿وَقَدۡ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ ﴾أي والحال أنه قد بصرنا طريق النجاة من عذابه﴿وَلَنَصۡبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيۡتُمُونَاۚ ﴾ أي ولنصبرن على أذاكم."[٢]وقال ابن الجوزي: "وإنما نصّ هذا وأمثاله على نبيّناﷺ ليقتديَ بمن قبله في الصبر وليعلم ما جرى لهم".[٣]﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾، ليس هذا تكراراً وإنما معناه الثبات على التوكل أي فليدوموا وليثبتوا عليه وحده، وهنا يسفر لطغيان عن وجهه متبجحاً بالقوة المادية التي يملكها المتجبرون".[٤]

والتوكل على الله معناه: الاعتماد عليه، وتفويض الأمر إليه، مع مباشرة الأسباب التي أمر _سبحانه_ بمباشرتها. أي: "وعلى الله وحده دون أحد سواه، فليتوكل المؤمنون، الصادقون، دون أن يعبث بعنادكم ولجاجكم، ونحن الرسل على رأس هؤلاء المؤمنين الصادقين. فالجملة الكريمة أمر من الرسل لمن آمن من قومهم بالتوكل على الله _عز وجل_ قد دفع بنا ما يوجب توكلنا عليه فقد هدانا لأقوم الطرق وأوضحها وأبينها، وهي طريق إخلاص العبادة له والاعتماد عليه وحده في كل شئوننا".[٥]﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ﴾في دفع شرور أعدائهم عنهم، وفي الصبر على معاداتهم. ثم زادوا أمر التوكل توثيقاً وتوكيداً فقالوا: ﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ ﴾ أي وكيف لا نتوكل على الله وقد هدانا إلى سبيل المعرفة، وأوجب علينا سلوك طريقها، وأرشدنا إلى طريق النجاة، ومن أنعم الله عليه بنعمة فليشكره عليها بالعمل بها. ﴿وَلَنَصۡبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيۡتُمُونَاۚ ﴾ أي ولنصبرن على إيذائكم بالعناد واقتراح الآيات ونحو ذلك مما لا خير فيه وندعوكم إلى عبادة الله وحده؛ ليكون ذلك منا شكراً على نعمة الهداية.

---

(١) التفسير المنهجي أ. د. أحمد شكري(١٤٢/٥)

(٢) صفوة التفاسير (٢/ ٨٥).

(٣) زاد المسير في علم التفسير (٢/ ٥٠٦)

(٤) صفوة التفاسير (٢/ ٨٥).

(٥) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، المؤلف: محمد سيد طنطاوي، الطبعة: الأولى ١٩٩٨، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة. (٥٣١/٧)

ثم ختموا كلامهم بمدح التوكل وبيان أن إيذاءهم لا يثنيهم عن تبليغ رسالة ربهم فقالوا:﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ﴾، أي وعلى الله وحده فليثبت المتوكلون على توكلهم وليحتملوا كل آذى في جهادهم، ولا يبالوا بما يصيبهم من أذى ولا بما يلاقون من صعاب وعقبات.

"ومن عنده مال أو علم لينفع به الناس وليكن كالنهر يسقى الزرع والشمس تضيء العباد، وليصبر على أذى الناس كما صبر الأنبياء وأوذوا، فالهداة ما خلقوا إلا ليعملوا فيه هداة بطباعهم، ولذاتهم في قلوبهم ومنهم تنتقل إلى الناس".(١)

وهذا أمر منهم للمؤمنين بالتوكل على الله دون من عداه، وكأن الرسل قصدوا بهذا الأمر للمؤمنين لهم أنفسهم قصداً أولياً، ولهذا قالوا:﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ أي عذر لنا في ألا نتوكل عليه سبحانه ﴿وَقَدۡ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ ﴾أي: والحال أنه قد فعل بنا ما يوجب توكلنا عليه من هدايتنا إلى الطريق الموصل إلى رحمته، وهو ما شرعه لعبادة وأوجب عليهم سلوكه، ولنصبرن على ما آذيتمونا بما يقع منكم من التكذيب لنا والاقتراحات الباطلة وعلى الله وحده دون من عداه فليتوكل المتوكلون. قيل: المراد بالتوكل الأول استحداثه، وبهذا يكون السعي لبقائه وثبوته، وقيل: معنى الأول: إن الذين يطلبون المعجزات يجب عليهم أن يتوكلوا في حصولها على الله- سبحانه- لا علينا، فإن شاء سبحانه أظهرها وإن شاء لم يظهرها. ومعنى الثاني: إبداء التوكل على الله ودفع شر الكفار وسفاهتهم.

"وقد أخرج ابن أبى حاتم عن الربيع في قوله: ﴿ وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡ ﴾قال: أخبرهم موسى عن ربه أنهم إن شكروا النعمة زادهم من فضله، وأوسع لهم من الرزق، وأظهرهم على العالم."(٢) وأخرج ابن جرير "عن الحسن لأزيدنكم قال: من طاعتي".(٣)وأخرج ابن المبارك وابن جرير وابن أبى حاتم والبيهقي في الشعب، عن علي بن صالح مثله.(٤)وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم عن سفيان الثوري في الآية قال : لا تذهب أنفسكم إلى الدنيا؛ فإنها أهون عند الله من ذلك ،ولكن يقول: لئن شكرتم لأزيدنكم من طاعتي.(٥)

"ونلحظ أن الحق –سبحانه– قد وصف المتوكلين في نهاية الآية السابقة بأنهم المؤمنون، وهنا يصفهم في نهاية بأنهم المتوكلون؛ لأن صفة الإيمان تدخل في صفة التوكل ضمناً.

---

(١) تفسير المراغي (١٣/١٣٦).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٩/ ١٧)رواية رقم ١٣٠٦٥

(٣) تفسير الطبري (١٦/ ٥٢٧)

(٤) انظر شعب الإيمان ، للبيهقي(٦/ ٢٩٥)

(٥) فتح القدير للشوكاني (٣/١١٧- ١١٨)

ونعلم أن هناك فارقا بين التوكل والتواكل، فالتوكل يعنى أن تستنفد أسباب الله الممدودة؛ لأن التوكل عمل القلوب؛ بعد أن تؤدي الجوارح ما عليها من عمل وأخذ بالأسباب؛ فالجوارح تعمل والقلوب هي التي تتوكل".(١)

"على وفق ما سألتم﴿ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ ﴾أي: بعد سؤالنا إياه في ذلك،﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾أي: في جميع أمورهم. ثم قالت الرسل: ﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ ﴾أي: وما يمنعنا من التوكل عليه، وقد هدانا لأقوم الطريق وأوضحها وأبينها، ﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَاۚ ﴾أي من الكلام السيئ والأفعال السخيفة،﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾"،(٢)وعلى الله فليتوكل المؤمنون، "والظاهر أن الأنبياء لما أجابوا عن شبهاتهم بذلك الجواب فالقوم أخذوا في السفاهة والتخويف والوعيد، وعند هذا قالت الأنبياء –عليهم السلام–: لا نخاف من تخويفكم ولا نلتفت إلى تهديدكم فإن توكلنا على الله واعتمادنا على فضل الله ،ولعل الله –سبحانه– كان قد أوحى إليهم أن أولئك الكفرة لا يقدرون على إيصال الشر والآفة إليهم وإن لم يكن حصل هذا الوحي، فلا يبعد منهم أن لا يلتفتوا إلى سفاهتهم لما أن أرواحهم كانت مشرقة بالمعارف الإلهية،ومشرقة بأضواء عالم الغيب والروح متى كانت موصوفة بهذه الصفات، فقلما يبالي بالأحوال الجسمانية، وقلما يقيم لها وزناً في حالتي السراء والضراء وطوري الشد والرخاء، فلهذا السبب توكلوا على الله وعولوا على فضل الله وقطعوا أطماعهم عما سوى الله،﴿ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَاۚ ﴾ يعنى أنه –تعالى– لما خصنا بهذه الدرجات الروحانية، والمعارف الإلهية الربانية فكيف يليق بنا أن لا نتوكل على الله، بل اللائق بنا أن لا نتوكل إلا عليه ولا نعول في تحصيل المهمات إلا عليه، فإن من فاز بشرف العبودية ووصل إلى مكان الإخلاص والمكاشفة يقبح به أن يرجع في أمر من الأمور إلى غير الحق، سواء كان ملكاً له أو ملكاً أو روحاً أو جسماً، وهذه الآية دالة على﴿ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَاۚ ﴾فإن الصبر مفتاح الفرج، ومطلع الخيرات، والحق لا بد وأن يصير غالباً قاهراً، والباطل لا بد وأن يصير مغلوباً مقهوراً، ثم أعادوا قولهم:﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾، والفائدة فيه أنهم أمروا أنفسهم بالتوكل على الله في قوله:﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ ﴾، ثم لما فرغوا من أنفسهم أمروا أتباعهم بذلك وقالوا:﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾، وذلك يدل على أن الآمر بالخير لا يؤثر قوله إلا إذا أتى بذلك الخير أولاً، ونقل الفخر الرازي عن الشيخ أبى حامد الغزالي (رحمه الله)قوله: "فصلاً حسناً وحاصِلهُ: أن الإنسان إما أن يكون ناقصاً أو كاملاً أو خالياً عن الوصفين، أما الناقص فإما أن يكون ناقصاً في ذاته ولكنه لا يسعى في تنقيص حال

---

(١) تفسير الشعراوي (١٢/٧٤٥٨)

(٢) تفسير ابن كثير (٤/٤٨٣)

غيره، وإما أن يكون ناقصاً ويكون مع ذلك ساعياً في تنقيص حال الغير، فالأول: هو الضال، والثاني: هو الضال المضل، وأما الكامل فإما أن يكون كاملاً ولا يقدر على تكميل الغير وهم الأولياء، وإما أن يكون كاملاً ويقدر على تكميل الناقصين وهم الأنبياء.

ولما كانت مرات النقصان والكمال ومراتب الإكمال والإضلال غير متناهية بحسب الكمية والكيفية، لا جرم كانت مراتب الولاية والحياة غير متناهية بحسب الكمال والنقصان، فالولي هو الإنسان الكامل الذي لا يقوى على التكميل، والنبي هو الإنسان الكامل المُكمل، همه قد تكون قوته الروحانية النفسانية وافية بتكميل إنسانين ناقصين، وقد تكون أقوى من ذلك فيفي بتكميل عشرة ومائة، وقد تكون تلك القوة قاهرة قوية تؤثر بأثير الشمس في العام؛ فيقلب أرواح أكثر أهل العالم من مقام الجهل إلى مقام المعرفة ومن طلب الدنيا إلى طلب الآخرة، وذلك مثل روح محمد ﷺ فإن وقت ظهوره كان العام مملوءاً من اليهود وأكثرهم كانوا مشبهة، ومن النصارى وهم حلولية، ومن المجوس وقبح مذاهبهم ظاهرة، ومن عبادة الأوثان وسخف دينهم، أظهر من أن يحتاج إلى بيان، فلما ظهرت دعوة محمد ﷺسرت قوة روحه في الأرواح فقلب أكثر أهل العالم من الشرك إلى التوحيد".[1]

"قوله تعالى: وقد هدانا سبلنا فيه قولان: أحدهما بين لنا رشدنا. والثاني: عرفنا طريق التوكل. وإنما نص هذا وأمثاله على نبينا ﷺليقتدي بمن قبله في الصبر وليعلم ما جرى له. قوله تعالى: ﴿لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾إبراهيم يعني: الكافرين بالرسل. وقوله: من بعدهم أي: بعد هلاكهم."[2]

﴿فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾إبراهيم،فإن يكفيك كل ما يهمهم، ثم قالت الرسل وهي تعظ أقوامها بما تقدم:﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا﴾"أي طريقنا التي عرفناه بها وعرفنا عظمته وعزة سلطانه فأي شيء يجعلنا لا نتوكل عليه وهو القوي العزيز ﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا﴾بألسنتكم وأيديكم متوكلين على الله حتى ينتقم الله تعالى لنا منكم،﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾إذ هو الكافل لكل من يثق فيه ويفوض أمره إليه متوكلاً عليه وحده دون سواه، وقوله تعالى:﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا﴾هذا إخبار منه – تعالى– على ما قالت الأمم الكافرة لرسلها: قالوا موعدين مهددين بالنفي والإبعاد من البلاد لكل من يرغب عن دينهم ويعبد غير آلهتكم".[3]

---

(١) تفسير الرازي (٧٥/١٩)

(٢) زاد المسير في علم التفسير، لأبو الفرج ابن الجوزي (٥٠٦/٢)

(٣) أيسر التفاسير للجوزي (٢/ ٢٥٩)

٥-الظالمون

قال تعالى:﴿ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ رَبُّهُمۡ لَنُهۡلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٣ ﴾إبراهيم،قوله تعالى:﴿ لَنُهۡلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾يعنى: الكافرين بالرسل. وقوله: ﴿ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ ﴾، أي: بعد هلاكهم.

ذلك الإسكان لمن خاف مقامي قال ابن عباس: خاف مُقامه بين يدي. قال الفراء: العرب قد ﴿ لَنُهۡلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾(١)، " على إضمار القول أو على إجراء الإيحاء مجراه لكونه ضرباً منه".(٢)

قال الطبري: "يقول عز ذكره: وقال الذي كفروا بالله لرسلهم الذين أرسلوا إليهم حين دعوهم إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له وفراق عبادة الآلهة والأوثان."(٣)

أوحى الله إلى رسله بأنه سيهلك الظالمين قال الطبري: "الظالمين الذين ظلموا أنفسهم حين اختاروا الكفر ومواجهة الحق، وظلموا الرسل وأتباعهم حين آذوهم وكذبوهم، الذين ظلموا أنفسهم فأوجبوا لها عقاب الله بكفرهم، وقد يجوز أن يكون قيل لهم "الظالمون" لعبادتهم من لا تجوز عبادته من الأوثان والآلهة، فيكون بوصفهم العبادة في غير موضعها، إذ كان ظلماً سُمُوا بذلك".(٤) " أوحى الله إلى رسله بأنه سيهلك الظالمين الذي ظلموا أنفسهم حين اختاروا الكفر ومواجهة الحق، وظلموا الرُسل وأتباعهم حين آذوهم وكذبوهم".(٥)

" وهكذا يأتي القانون السماوي بالعدل وهو إهلاك الظالمين، وتلك قضية إيمانية باقية ودائمة أبداً. ويكمل الحق -سبحانه- وعده لرسله من المؤمنين:﴿ وَلَنُسۡكِنَنَّكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ١٤ ﴾إبراهيم" (٦).

٦- الخائفون:

قال تعالى: ﴿ لِمَنۡ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ١٤ ﴾ إبراهيم،قال الشوكاني في تفسير قوله: "﴿ لِمَنۡ خَافَ مَقَامِي ﴾أي: موقفي، وذلك يوم الحساب، فإنه موقف الله -سبحانه-، والمَقام بفتح الميم مكان الإقامة، وبالضم فعل الإقامة، وقيل: إن المقام هنا مصدر بمعنى القيام، أي لمن خاف قيامي عليه ومراقبتي له كقوله تعالى: ﴿ أَفَمَنۡ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۗ ﴾الرعد: ٣٣،

---

(١) زاد الميسر في علم التفسير، لأبو الفرج ابن الجوزي(٥٠٦/٢)

(٢) تفسير أبى السعود (٣٨/٥)

(٣) تفسير الطبري (١٦/ ٥٣٩)

(٤)المرجع السابق: (٥٤١/١٦)

(٥) التفسير المنهجي أ.د. أحمد الشكري (٥/ ١٤٨).

(٦) تفسير الشعراوي (ص: ١٧٥٠)

وقال الأخفش: ذلك لمن خاف مقامي، أي: عذابي وعيد أي: خاف وعيدي بالعذاب، وقيل: بالقرآن وزواجره، وقيل: هو نفس العذاب، والوعيد الاسم من الوعد واستفتحوا معطوف على أوحى، والمعنى الأول قوله:﴿ إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ﴾ الأنفال: ١٩، أي: أن تستنصروا فقد جاءكم النصر، ومن المعنى الثاني قوله:﴿ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ الأعراف، أي: الحكم والضمير في استفتحوا للرسل وقيل: للكفار، وقيل: للفريقين﴿ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ ﴾إبراهيم،والجبار المتكبر الذي لا يرى لأحد عليه حقاً، وهكذا حكاه النحاس عن أهل اللغة، والعنيد: المعاند للحق والمجانب له وهو مأخوذ من العند، وهو الناحية، أي: أخذ في ناحية معرضاً قال الشاعر: إذا نزلت فاجعلوني وسطا إني كبير لا أطيق العندا.

قال الزجاج: العنيد: الذي يعدل عن القصد وبمثله، وقال الهروي. قال أبو عبيدٍ: هو الذي عند ويبغى، وقال ابن كيسان: هو الشامخ بأنفه وقيل: المراد به العاصي، وقيل الذي أبى أن يقول لا إله إلا الله، ومعنى الآية: أنه خسر وهلك من كان متصفاً بهذه الصفة من ورائه جهنم أي : من بعده جهنم والمراد بعد جهنم، والمراد بعد هلاكه على أن وراءها هنا بمعنى بعد: ومنه قول النابغة: حلفت فم أترك لنفسك ريبة وليس وراء الله للمرء مذهب.

أي: ليس بعد الله، ومثله قوله:﴿ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾ ﴾إبراهيم، أي: من بعده. كذا قال الفراء، وقيل: من ورائه أي: من أمامه، قال أبو عبيد: هو من أسماه الأضداد؛ لأن أحدهما ينقلب إلى الآخر، ومنهُ قول الشاعر:

أترجو بنو مروان سمعي وطاعتي...وقومي تميم والفلاة ورائيا

أي: أمامي. ومنه قوله تعالى:﴿ وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ ﴾الكهف، أي: أمامهم، ويقول أبو عبيدة هذا قال قطرب. وقال الأخفش: هو كما يقال: هذا الأمر من ورائك أي: شوف يأتيك، وأنا من وراء فلان، أي في طلبه. وقال النحاس: من ورائه أي: من أمامه وليس من الأضداد، لكنه من توارى أي: استتر فصارت جهنم من ورائه؛ لأنها لا ترى، وحكي مثله ابن الأنباري ويسقى من ماء صديد معطوف على مقدر جواباً عن سؤال سائل. كأنه قيل: فماذا يكون إذن؟ قيل: ويلقى فيها ويسقى، والصديد ما يسيل من جلود أهل النار واشتقاقه من الصد، لأنه

يصد الناظرين عن رؤيته، وهو دم مختلط بقيح، والصديد صفة لماء، وقيل: عطف بيان عنه ويتجرعه في محل جر على أنه صفة لماء".(١)

٧- الجبابرة:

قال تعالى :﴿ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ ﴾إبراهيم،"والجبار هو من يقهر الناس على ما يريد؛ والمقصود هنا هم المتكبرون عن عبادة الحقﷻ، ويعاندون في الإيمان به سبحانه".(٢)

﴿ عَنِيدٍ ﴾: "معاند للحق ولمن جاء به. وهذا هو الفتح الذي فتح لهم، وهو: خيبة المتكبرين وفلاح المؤمنين".(٣) "وقيل: العنود والعنيد الذي يتكبر على الرسل ويذهب عن طريق الحق فلا يسلكها، تقول العرب: شر الإبل العنود الذي يخُرج عن الطريق، وقيل: العنيد العاصي، وقال قتاده: العنيد الذي أبى أن يقول لا إله إلا الله، قلت: والجبار والعنيد في الآية بمعنى واحد، وإن كان اللفظ مختلفاً عن الحق جبار وعنيد أي متكبر".(٤)

﴿ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾"تنبيه على أن هؤلاء الكافرين كانوا متجبرين معاندين للحق، ومن كان كذلك معاتبته الخسران."(٥)

٨- الضعفاء والمتكبرون:

قال تعالى: ﴿ وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ ﴿٢١﴾ ﴾إبراهيم،﴿ الضُّعَفَاءُ ﴾،"أي: التابعين والمقلدون﴿ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا ﴾وهم: المتبوعون الذين هم قادة في الضلال"(٦)، "وقيل: الضعفاء يعني الأتباع والذين استكبروا وهم القادة وكانوا هم سبب ضلالهم وغيهم".(٧)

"وهكذا نرى أن هناك حواراً بين اثنين من البشر نوع متكبر وهم القادة والسادة الذين يلقون أوامرهم، لينفذها الضعاف ثم يُفاجأ الضعفاء التابعون أن رؤوسهمتساوت في اليوم الآخر مع

---

(١) فتح القدير للشوكاني (٣/١١٩- ١٢٠)

(٢) تفسير الشعراوي(ص: ١٧٢٥)

(٣)البحر المديد، أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الإدريسي الشاذلي الفاسي أبو العباس، الطبعة الثانية / ٢٠٠٢ م . ١٤٢٣ هـ،دار النشر / دار الكتب العلمية . بيروت (١٩٢/٣،).

(٤) تفسير القرطبي، (٣٥٠/٩).

(٥) التفسير المنهجي تأليف أ. د. أحمد شكري (١٥١/٥)

(٦) تفسير السعدي (ص: ٤٢٤)

(٧)تفسير القرطبي_ بتصريف(٩/ ٣٥٥).

هؤلاء الأقوياء الجبابرة، ويرون ما ينتظرهم من عذاب ينال الضعفاء أهل الجبروت. ﴿ فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ ﴾إبراهيم: ٢١، وهؤلاء المستكبرون سبق لهم أن استكبروا على هؤلاء الضعفاء بقوتهم وسيادتهم وجبروتهم واستكبارهم على رسل الله وباستكبارهم على الإيمان ومعاداتهم لله ولرسله، اليوم يوم خزيهم وعقاب الله لهم ولكل من اتبعهم الخزي يوم القيامة".(١)

٩-المكذبون:

قال تعالى:﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا ﴾إبراهيم: ٢٨، هذا حال سادة المشركين من أهل مكة الذين أنعم الله عليهم بنعمه، وأرسل لهم رسول الله، وأسكنهم الله مكة الحرم الآمن الذي يجبي إليه ثمرات كل شيء، فلم يعرفوا قدر هذه النعم العظيمة، وبدلوا الشكر لله على نعمه بالكفر بها، وبدلاً من أن يتبعوا رسول الله كفروا به وآذوه، فاستحقوا الخسران والهلاك وسلب النعمة، وهم ومن اتبعهم ومن كان على منهجهم من المشركين الجاحدين لنعمة الله.(٢)

١٠- أتباع الرسل ومخالفوهم:

قال تعالى:﴿ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ ﴾إبراهيم،"على ما جئت به من التوحيد والإخلاص لله رب العالمين ﴿ فَإِنَّهُۥ مِنِّى ﴾ إبراهيم، لتمام الموافقة، ومن أحب قوماً وتبعهم التحق بهم. ﴿ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ ﴾ إبراهيم، وهذا من شفقة الخليل عليه السلام حيث دعا للعاصين بالمغفرة والرحمة من الله، والله -تبارك وتعالى- أرحم منه بعباده لا يعذب إلا من تمرد عليه".(٣)

١١-المجرمون:

قال تعالى:﴿ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ ﴾إبراهيم، أي: الذين وصفهم بالإجرام وكثرة الذنوب، قال الطبري : "وتعاين الذين كفروا بالله، فاجترموا في الدنيا الشرك يومئذ"(٤)،قال ابن عباس: "وترى المجرمين يقصد هنا أهل الشرك أجرموا بإشراكهم بالله فانتقم الله منهم يوم القيامة بأن قيدهم في القيود مع الشياطين، وتعاين الذين كفروا بالله فأجرموا في الدنيا."(٥)

---

(١) تفسير الشعراوي (١٢/٧٤٨٠) (الخواطر) بتصرف يسير

(٢) انظر التفسير المنهجي تأليف أ. د. أحمد شكري (٥/١٦٤) بتصرف.

(٣) تفسير السعدي (ص٤٦٢)

(٤) تفسير الطبري (١٧/٥٢)

(٥)تنوير المقباس، لفيروز أبادي، (١/٢١٥).

١٢- أولو الألباب:

قال تعالى:﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾إبراهيم،"أي العقول الكاملة وما يفعلونه، وما يضرهم فيتركونه، وبذلك صاروا أولى الألباب والبصائر".[١]

"وتخصيص أهل العقول بالتذكير وإعلاء شأنهم وحض الناس على أن يكونوا منهم لينتفعوا من مواعظهم" [٢]، "وليذكر أولو الألباب يقول: وليتذكر فيتعظ بما أصبح الله به عليه من حججه التي في هذا القرآن، فينزجر عن أن يجعل معه إلهاً غيره، ويشرك في عبادته شيئاً سواه من أهل الحجى والعقول؛ فإنهم أهل الاعتبار والادكار، دون الذين لا عقول لهم ولا أفهام؛ فإنهم كالأنعام بلهم أضل سبيلاً".[٣]

١٣- المستحبون الحياة الدنيا على الآخرة:[٤]

ومن أصناف الناس الذين ذكرتهم "سورة إبراهيم" صنف يستحبون الدنيا ونعيمها على أجر الآخرة. قال تعالى:﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾إبراهيم: ٣، فهم يؤثرون البقاء أبد الدهر في هذه الحياة الدنيا على البقاء في الآخرة، كما يوثرون نعيم الدنيا وزينتها وزخرفها على نعيم الآخرة وجنانها.[٥]

ومعنى الايثار: "هو طلب الدنيا من غير نظر للآخرة، وذلك بأن يأخذ من حيث يجد، ولا يبالي أنه حرام أو حلال". [٦]

وهكذا ندرك أن السورة قد تعرضت لصنف الذين يعظمون الدنيا ويعلون شأنها، وبالمقابل يزدرون الآخرة وينكرونها، وهذا ما وقع به المشركون بالله ، بل ومن يفعل ذلك من أهل الملة فقد فعل مثل فعل الكفار، ومع أنه من أهل الملة فالحذر الحذر.

١٤.المنكرون لوجود الله ووحدانيته المقرون بوجود الله ووحدانيته.[٧]

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٤٢٨)

(٢) التفسير المنهجي، أ.د.أحمد شكري (٥/ ١٧٨).

(٣) تفسير الطبري: (٥٧/١٧).

(٤) المنتخب في تفسير القرآن الكريم لجنة من علماء الأزهر، الطبعة: الثامنة عشر، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م
الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - مصر، طبع مؤسسة الأهرام (ص: ٣٦٥)

(٥)انظر (تفسير الماوردي)، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان (١٢١/٣)

(٦) تفسير القرآن للسمعاني أبو المظفر منصور بن محمد التميمي(١٠٣/٣)

(٧) المنتخب في تفسير القرآن الكريم، لجنة علماء الأزهر (ص: ٣٦٥).

المبحث الثاني

الإسلام والإيمان في ضوء سورة إبراهيم

الإيمان والإسلام من الألفاظ التي إذا اجتمعت ألفاظها افترقت معانيها، وإذا افترقت يكون لها معنى واحدٌ. فالإيمان هو الإسلام والإسلام هو الإيمان. قال الله تعالى:﴿ فَأَخۡرَجۡنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٣٥ فَمَا وَجَدۡنَا فِيهَا غَيۡرَ بَيۡتٖ مِّنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٦ ﴾الذاريات، وأما إذا جمَعتُهما في لفظ واحد كأن أقول عمر بن الخطابﷺهو مؤمن مسلم، فيكون معنى الإيمان العبادات القلبية كالإيمان بالله واليوم الآخر، قال بعض أهل العلم: إن الإيمان قول وعمل، والإسلام فعل ما فرض على الإنسان فعله، وإذا ذكر كل اسم مضموماً إلى الآخر فقيل: المؤمنون والمسلمون مفردين أريد بأحدهما معنى له لم يرد في الآخر، وإن ذكر أحد الاسمين شمل الكل. ومن خلال هذا المبحث سأوضح المقصود بالإيمان لغة واصطلاحاً، وذلك في ضوء سورة إبراهيم ومن خلالها.

المطلب الأول- الإسلام والإيمان لغةً واصطلاحا:

أولاً – الإسلام لغة واصطلاحاً

أ- الإسلام لغة:

قال ابن فارس: "السِّينُ وَاللَّامُ وَالْمِيمُ مُعْظَمُ بَابِهِ مِنَ الصِّحَّةِ وَالْعَافِيَةِ... فَالسَّلَامَةُ: أَنْ يَسْلَمَ الْإِنْسَانُ مِنَ الْعَاهَةِ وَالْأَذَى... الْإِسْلَامُ وَهُوَ الِانْقِيَادُ ؛ لِأَنَّهُ يَسْلَمُ مِنَ الْإِبَاءِ وَالِامْتِنَاعِ".(١)

ويقول الراغب الأصفهاني: "الإسلام هو الدخول في السلم، وهو أن يسلم كل واحد منهما من أن يناله من ألم صاحبه".(٢)

ب- الإسلام اصطلاحاً:

"هو النطق بالشهادتين والعمل بالفرائض، فالإيمان أخص من الإسلام، إذ يؤخذ في معنى الإيمان مع النطق والعمل التصديق، والإحسان أخص من الإيمان، فكل محسن مؤمن، وكل مؤمن مسلم، ولا عكس".(٣)

---

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٣/ ٩٠)

(٢) مفردات القرآن (ص: ٧١١)

(٣) الموسوعة الكويتية الفقهية، صادر عن وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية الكويت، الطبعة الثانية دار السلاسل الكويت. (٧/ ٣١٥).

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب: "الإسلام هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله"،[١]وقال ابن عثيمين مفسراً ذلك: "أي بأن يستسلم العبد لربه استسلاماً شرعياً وذلك بتوحيد اللهﷻوإفراده بالعبادة ،وهذا الإسلام هو الذي يحمد عليه العبد ويثاب."[٢]

وجاء في حديث جبريل عليه السلام: "قال أخبرني عن الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: "**أن تشهد أن لا إله إلا الله ، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا**"[٣].

وهذا التعريف إنما هو بتعبير بالجزء عن الكل لبيان أهمية هذا الجزاء، ويدل على ذلك ما رواه ابن عمر –رضي الله عنهما – عن النبي ﷺقال:"**بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان.**"[٤][٥]

ثانياً: الإيمان لغة واصطلاحاً:

أ–**الإيمان لغة:** هو مصدر أمن يؤمن إيماناً فهو مؤمن، واتفق أهل العلم من اللغويين وغيرهم، على أن الإيمان معناه التصديق" [٦] ونقل الإمام محمد بن نصر المروزي عن طائفة من أهل السنة "والإيمان في اللغة: هو التصديق، ومعنى التصديق هو المعرفة بالله والاعتراف له بالربوبية وبوعده ووعيده وواجب حقه وتحقيق ما صدق به من القول والعمل."[٧]

ب– الإيمان اصطلاحاً:

"هو التصديق الجازم والإقرار الكامل، والاعتراف التام بوجود الله– تعالى– وربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته واستحقاقه وحده العبادة، واطمئنان القلب بذلك اطمئناناً تُرى آثاره في

---

(١)الأصول الثلاثة وأدلتها ،محمد بن عبد الوهاب الناشر الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ط١، ١٤٢٣هـ (ص١١).

(٢) شرح ثلاثة أصول ،المؤلف محمد بن صالح بن العثيمين ط١الناشر مكتبة العلم القاهرة(ص٤٦)

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان باب معرفة الإيمان والإسلام والقدر، حديث رقم ١٠٢(٢٨/١).

(٤)أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الإيمان باب قول النبي ﷺبني الإسلام على خمس،حديث رقم٨ (١١/١)

(٥) انظر منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام د. حمود بن أحمد خرج الرحيلي، ط١، الناشر عماد البحث العلمي بالجامعة الإسلامية المدينة المنورة المملكة العربية السعودية.(٤١/١)

(٦) لسان العرب لابن منظور مادة (١٣/٢٣)

(٧) تعظيم قدر الصلاة أبو عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المَرْوَزِي، تحقيق: د. عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦، الناشر: مكتبة الدار – المدينة المنورة .(٢/ ٦٩٥).والإيمان أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن مَنْدَه العبدي ،تحقيق: د. علي بن محمد بن ناصر الفقيهي، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت. (١/ ٣٤٧).

سلوك الإنسان والتزامه بأوامر الله –تعالى– واجتناب نواهيه وأن محمد بن عبد الله ﷺرسول الله وخاتم النبيين، وقبول جميع ما أخبر به ﷺعن ربه جل وعلا وعن دين الإسلام، من الأمور الغيبية والأحكام الشرعية وبجميع مفردات الدين والانقياد له ﷺبالطاعة المطلقة فيما أمر به، والكف عما نهى عنه ﷺوزجره، ظاهراً أو باطناً، وإظهار الخضوع الطمأنينة لكل ذلك وملخصه هو جميع الطاعات الباطنه والظاهرة؛ فالباطنه: كأعمال القلب وهي تصديق القلب وإقراره، والظاهرة: أفعال البدن من الواجبات والمندوبات ويجب أن يتبع ذلك كله قول اللسان، وعمل الجوارح والأركان، ولا يجزئ واحد من الثلاث إلا بالآخر؛ لأن أعمال الجوارح داخلة في مسمى الإيمان وجزء منه، فمسمى الإيمان عند أهل السنة والجماعة كما أجمع عليه أئمتهم وعلماؤهم هو:"تصديق بالجنان، وقول باللسان وعمل بالجوارح والأركان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية."[(١)].

الخلاصة: "الإسلام هو التسليم والانقياد لأمر الله تعالى، فمن طريق اللغة فرق بين الإسلام والإيمان، ولكن لا يكون إيمان بلا إسلام، ولا يوجد إسلام بلا إيمان، وهما كالظهر مع البطن، والدين اسم واقع على الإيمان والإسلام والشرائع كلها"[(٢)].

ثالثاً–أقوال العلماء في الفرق بين الإسلام والإيمان:

الإسلام والإيمان كما هو معروف عند أهل السنة والجماعة إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا[(٣)]، أي إذا اجتمعا باللفظ افترقا في المعنى، فيشمل الإسلام الأعمال الظاهرة، والإيمان الأعمال الباطنة، وإذا افترقا في اللفظ اجتمعا في المعنى، فيشمل كل واحد منهما الأعمال الظاهرة والباطنة. وقد صرح بهذا المعنى الشيخ الأمين (رحمه الله)، وذكر أمثله لورود الإيمان متضمناً للإسلام شاملاً للأعمال الظاهرة والباطنة. وبين (رحمه الله) أن الإيمان يطلق أحياناً على الأعمال القلبية فقط فيكون مغايراً لمعنى الإسلام. يقول (رحمه الله) في بيان ذلك كله عند تفسير قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ الزخرف، ظاهرة المغايرة بين الإيمان والإسلام، وقد دلّ بعض الآيات على اتحادهما ﴿ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا

---

(١) الإيمان حقيقته خوارمه نواقضه عند أهل السنة، عبد الله بن الحميد الأثري (ص ١٣).

(٢) كتاب الفقه الأكبر (مطبوع مع الشرح الميسر على الفقهين الأبسط والأكبر المنسوبين لأبي حنيفة ، محمد بن عبد الرحمن الخميس،الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م الناشر: مكتبة الفرقان الإمارات العربية (٥٧/١).

(٣) انظر شرح النووي على صحيح مسلم ١٤٨/ ١. وجامع العلوم والحكم، أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي،ط١، ١٤٠٨هـ، الناشر : دار المعرفة – بيروت(ص ٢٦).

﴿فِيهَا غَيۡرَ بَيۡتٖ مِّنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٦﴾الذاريات، ولا منافاة في ذلك؛ فإن الإيمان يطلق تارة على جميع ما يطلق عليه الإسلام من الاعتقاد والعمل، كما ثبت في الصحيح في حديث وفد عبد قيس". [١]

وكذلك قال الإمام أبو حذيفة: "إن الفرق بين الإسلام والإيمان ليس للتضاد و التباين، بل لأجل أن لكل منهما حقيقة لغوية وشرعية يجب اعتبارها مع التلازم بينهما بحيث لا ينفك أحداهما عن الآخر كالشهادتين، لأنه لكل من الشهادتين؛ حقيقة غير حقيقة الأخرى".[٢]

قال الشيخ البراك: "فمن أهل العلم من يقول: إنهما اسمان لمسمىً واحد، ومنهم من يقول: بل هما متغايران ومختلفان، والقول الوسط هو: أن الإسلام والإيمان إذا أفردا اتحد معناهما، وإذا اقترنا وذكرا جميعًا اختلف معناهما، كقوله تعالى:﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾الأحزاب: ٣٥، فإذا ذكر الإيمان والإسلام كان المراد بالإسلام الأعمال الظاهرة، وبالإيمان اعتقاد القلب، ولهذا فرق – ﷺ– بين الإسلام والإيمان في حديث جبريل، فلما قال: "أخبرني عن الإسلام" أخبره بأصول الأعمال الظاهرة، وهي أركان الإسلام، وعندما قال: "أخبرني عن الإيمان"، فسره له بأصول الاعتقاد وهي الأصول الستة، التي ذكرها الرسولﷺ في جوابه لجبريل حيث قال: "الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره". [٣]

وما تم الإجماع عليه: أن الإيمان أخص من الإسلام، فكل مؤمن مسلم، وليس كل مسلم مؤمناً فالإيمان والإسلام إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا، ولهذا يمكن أن نطلق كلمة المسلم ويراد بها المؤمن، كما في الأدلة السابقة عند أهل السنة والجماعة.[٤]

المطلب الثاني–الآيات التي ورد ذكر الإيمان فيها:

١–قال تعالى:﴿قَالَتۡ لَهُمۡ رُسُلُهُمۡ إِن نَّحۡنُ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأۡتِيَكُم بِسُلۡطَٰنٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١١﴾إبراهيم.

قال الطبري: "قالت الأمم التي أتتهم الرسل: ﴿إِن نَّحۡنُ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ﴾صدقتم في قولكم، إن أنتم إلا بشر مثلنا، فما نحن إلا من بني آدم، إنس مثلكم﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ

---

(١) كتاب جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقدية السلف المؤلف عبد العزيز بن صالح بن إبراهيم الطويان مكتبة العبيكان، الرياض المملكة العربية السعودية الطبعة الأولى

(٢) أصول الدين عن الأمام أبى حذيفة، محمد الخميس ، (٤٤٣/١).

(٣) شرح العقيدة الطحاوية للبراك (ص: ٢٠٧).

(٤) انظر شرح أصول العقيدة الإسلامية د. نسيم شحده ياسين (ص ٢٧) الطبعة الخامسة. بتصرف يسير

﴾،يقول: ولكن الله يتفضل على من يشاء من خلقه، فيهديه ويوفقه للحق، ويفضله على كثير من خلقه﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ﴾، يقول: إلا بأمر الله لنا بذلك﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾، يقول: بالله فليثق به من آمن به وأطاعه، فإنا به نثق، وعليه نتوكل."[1].

والتوكل الاعتماد وتفويض الأمر والتدبير إلى الآخر لثقته أنه أعلم بما يصلح حاله ومن غيره سبحانه يتوكل عليه ويعتمد عليه في تدبير الشؤون؛ فهو سبحانه فوق كل عزيز وفوق كل الأقوياء، لذا أمر الأنبياء الكرام المؤمنين الذين يؤذيهم الكفار ويسخروا منهم بأن يتوكلوا على الله ويصبروا؛ لأنه سبحانه لا محالة سيظهرهم على عدوهم لذا قالوا ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾وبما أن الرسل الكرام هم رأس المؤمنين فإنهم داخلون تحت هذا الأمر دخولاً أولياً، كما قيل الفاء في ﴿فَلْيَتَوَكَّلِ﴾لترتيب ما بعدها على ما قبلها، والمعنى: "إذا كنا معشر الرسل قد توكلنا على الله وحده فليتوكل المؤمنون على الله وحده، ويتضمن ذلك طلبين: أحدهما الصبر على أذى المشركين، والثاني: الاعتماد على الله وحده وأنه سبحانه ناصر الرسل ومن اتبعوهم، ولا يمكن لمشرك منهم".[2]فحاصل ما قالوه :إن أنتم إلا بشر مثلنا أي كيف نتبعكم بمجرد قولكم ،ولما نر منكم المعجزة فأتونا بسلطان مبين أي خارق نقترحه عليكم، قالت لهم رسلهم: ﴿إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾أي: صحيح أنا بشر مثلكم في البشرية﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾"أي: بالرسالة والنبوة﴿وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ﴾على وفق ما سألتم﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ﴾أي بعد سؤالنا إياه، وإذنه لنا في ذلك،﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾أي: في جميع أمورهم."[3]

ما أنتم إلا بشر مثلنا في الهيئة والصورة، تأكلون وتشربون كما نأكل ونشرب ولستم ملائكة تريدون أن تصدونا وصفوهم بالبشر أولاً، ثم بإرادة الصد لهم عما كان يعبد آباؤهم ثانياً، أي تريدون أن تصرفونا عن معبودات آبائنا من الأصنام ونحوها، فأتونا إن كنتم صادقين بأنكم مرسلون من عند الله بسلطان مبين أي بحجة ظاهرة تدل على صحة ما تدعونه، وقد جاءهم بالسلطان المبين والحجة الظاهرة، ولكن هذا النوع من تعنتهم، ولون من تلوناتهم، قال ولكن الله يمن على من يشاء من عباده "أي: يتفضل على من يشاء منهم بالنبوة، وقيل: بالتوفيق والهداية وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان أي: ما صح ولا استقام لنا أنا نأتيكم بحجة من الحجج إلا بإذن الله أي: إلا بمشيئته وليس ذلك في قدرتنا. قيل المراد بالسلطان هنا هو ما يطلبه الكفار من

---

(١) تفسير الطبري (٥٣٨/١٦).

(٢) تأملات في سورة إبراهيم (١١٢-١١٣)

(٣) تفسير ابن كثير (٤/ ٤٨٣-٤٨٢)

الآيات على سبيل التعنت وقيل أعم من ذلك، فإن ما شاءه الله كان وما لم يشأه لم يكن وعلى الله فليتوكل المؤمنون أي: عليه وحده، وهذا أمر منهم للمؤمنون بالتوكل على الله دون من عداه، وكأن الرسل قصدوا بهذا الأمر للمؤمنين الأمر لهم أنفسهم قصدا أوليا، ولهذا قالوا ما لنا ألا نتوكل على الله أي عذر لنا في ألا نتوكل عليه سبحانه وقد هدانا سبلنا أي: والحال أنه قد فعل بنا ما يوجب توكلنا عليه من هدايتنا إلى الطريق الموصل إلى رحمته، وهو ما شرع لعباده وأوجب عليهم سلوكه ولتنصبرن على ما آذيتمونا بما يقع منكم من التكذيب لنا والاقتراحات الباطن وعلى الله وحده دون من عداه فليتوكل المتوكلون قيل: المراد بالتوكل الأول استحداثه، وبهذا السعي في بقائه وثبوته، وقيل: معنى: الأول: إن الذين يطلبون المعجزات يجب عليهم أن يتوكلوا في حصولها عليَّ."[1]

وكذلك قال البغوي (رحمه الله):"تأكيداً على ما سبق من أقوال المفسرين: ﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾،بِالنُّبُوَّةِ وَالْحِكْمَةِ﴿ وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۖ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ ﴾وَقَدْ عَرَفْنَا أَنْ لا ينالنا شيء إِلَّا بِقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ، وَقَدْ هَدانا سُبُلَنا، بَيَّنَ لَنَا الرُّشْدَ وَبَصَّرَنَا طَرِيقَ النَّجَاةِ. وَلَنَصْبِرَنَّ، اللَّامُ لَامُ الْقَسَمِ مَجَازُهُ: وَاللَّهِ ﴿ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾إبراهيم."[2]قال الطبري: وما كان لنا أن نأتيكم بحجة وبرهان على ما ندعوكم إليه ﴿ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ ﴾، يقول: إلا بأمر الله لنا بذلك﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾،يقول: وبالله فليثق به من آمن به وأطاعه، فإنا به نثق، وعليه نتوكل.[3]

٢-قال تعالى﴿ وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ۖ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴿٢٣﴾ ﴾إبراهيم

---

(١) فتح القدير للشوكاني (١١٧/٣)

(٢) معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، تحقيق : عبد الرزاق المهدي،ط١ ، ١٤٢٠ هـ الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت. (٣/ ٣٢)

(٣) انظر تفسير الطبري (١٦/ ٥٣٨)

"وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها بإذن ربهم بإذن الله تعالى وأمره والمدخلون هم الملائكة. وقرئ «وأدخل» على التكلم فيكون قوله: بإذن ربهم متعلقاً بقوله: تحيتهم فيها سلام، أي تحييهم الملائكة فيها بالسلام بإذن ربهم"[1].

" ﴿ وَأُدْخِلَ ﴾والإدخال: النقل إلى محيط – هذا أصله ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾أي أوجدوا الإيمان﴿ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾أي تصديقاً لدعواهم الإيمان﴿ جَنَّٰتٍ تَجْرِى ﴾وبين أن الماء غير عام لجميع أرضها بإدخال الجار فقال:﴿ مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾فهي لا تزال ريّاً، لا يسقط ورقها ولا ثمرها فداخلها لا يبغي بها بدلاً ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا ﴾، ولما كانت الإقامة لا تطيب إلا بإذن المالك قال: ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ﴾الذي أذن لهم – بتربيته وأحسانه – في الخروج من الظلمات إلى النور، وقرىء «وأدخل» على التكلم فيكون عدل عن أن يقول «بإذني» إلى﴿ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ﴾ للإعلام بالصفة المقتضية للرحمة كما قال تعالى:﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ ﴾الكوثر،ولم يقل: لنا – سواء، ومن شكله﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ ﴾الفتح، فلا تنبغي المسارعة إلى إنكار شي يمكن توجيهه، بل يتعين إمعان النظر، فإن الأمر كما قال الإمام أبو الفتح ابن جني في كتابه المحتسب في توجيه﴿ لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾البقرة: ٧٤" [2]

" وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار لما أخبر سبحانه بحال أهل النار أخبر بحال أهل الجنة. وقرأ الجمهور «أدخل» على البناء للمفعول، وقرأ الحسن «وأدخل» على الاستقبال والبناء للفاعل، أي: وأنا أدخل الذين آمنوا، ثم ذكر سبحانه خلودهم في الجنات وعدم انقطاع نعيمهم، ثم ذكر أن ذلك بإذن ربهم، أي: بتوفيقه ولطفه وهدايته، هذا على قراءة الجمهور، وأما على قراءة الحسن فيكون بإذن ربهم متعلقاً بقوله: تحيتهم فيها سلام، أي: تحية الملائكة في الجنة سلام بإذن ربهم".[3]

يقول تعالى:﴿ وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ﴾إبراهيم: ٢٣، "أيْ بأمرِه أو بتوفيقه وهدايته وفي التعرُّض لوصفِ الربوبيةِ مع الإضافةِ إلى ضميرِهم إظهارُ مزيدٍ من اللطفِ بهم والمُدْخِلون هم الملائكةُ–عليهم السلام– وقرىء على

---

(١)تفسير البيضاوي (٣/ ١٩٨)

(٢)نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، للبقاعي،(١٠/ ٤٠٨-٤٠٩)

(٣)فتح القدير للشوكاني (٣/ ١٢٥-١٢٦)

صيغة التكلم في كون قوله تعالى: بِإِذْنِ رَبِّهِمْ متعلقاً بقوله تعالى﴿ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ إبراهيم، أي يحيهم الملائكةُ بالسلام بإذن ربهم".[١]

٣- قال تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ﴾إبراهيم، قال الطبري: "يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾إبراهيم، يحقق الله أعمالهم وإيمانهم﴿ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ ﴾، يقول: بالقول الحق، وهو فيما قيل: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله."[٢] "يخبر تعالى أنه يثبت عباده المؤمنين، أي: الذين قاموا بما عليهم من إيمان القلب التام، الذي يستلزم أعمال الجوارح ويثمرها، فيثبتهم الله في الحياة الدنيا عند ورود الشبهات بالهداية إلى اليقين، وعند عروض الشهوات بالإرادة الجازمة على تقديم ما يحبه الله على هوى النفس ومراداتها"[٣]في ظل الشجرة الثابتة مثلاً للكلمة الطيبة: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْءَاخِرَةِ ﴾إبراهيم.

"وفي ظل الشجرة الخبيثة المجتثة من فوق الأرض ما لها من قرار ولا ثبات: ﴿ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ ﴾ فتتناسق ظلال التعبير وظلال المعاني كلها في السياق! يثبت الله الذين آمنوا في الحياة الدنيا وفي الآخرة بكلمة الإيمان المستقرة في الضمائر، الثابتة في الفطر، المثمرة بالعمل الصالح المتجدد الباقي في الحياة. ويثبتهم بكلمات القرآن وكلمات الرسول وبوعده للحق بالنصر في الدنيا، والفوز في الآخرة، وكلها كلمات ثابتة صادقة حقة، لا تتخلف ولا تتفرق بها السبل، ولا يمس أصحابها قلق ولا حيرة ولا اضطراب.

ويضل الله الظالمين بظلمهم وشركهم (والظلم يكثر استعماله في السياق القرآني بمعنى الشرك ويغلب) وبعدهم عن النور الهادي، واضطرابهم في تيه الظلمات والأوهام والخرافات واتباعهم مناهج وشرائع من الهوى لا من اختيار الله، يضلهم وفق سنته التي تنتهي بمن يظلم ويعمى عن النور ويخضع للهوى إلى الضلال والتيه والشرود.﴿ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾بإرادته المطلقة، التي تختار الناموس، فلا تتقيد به ولكنها ترضاه. حتى تقتضي الحكمة تبديله فيتبدل في نطاق المشيئة التي لا تقف لها قوة، ولا يقوم في طريقها عائق والتي يتم كل أمر في الوجود وفق ما تشاء،وبهذه الخاتمة يتم التعقيب على القصة الكبرى للرسالات والدعوات.

---

(١) تفسير أبي السعود (٥/ ٤٣)

(٢)تفسير الطبري (١٦/ ٥٨٩)

(٣)تفسير السعدي (ص: ٤٢٥)

وقد استغرقت الشطر الأول والأكبر من السورة المسماة باسم إبراهيم أبي الأنبياء، والشجرة الظليلة الوارفة المثمرة خير الثمرات، والكلمة الطيبة المتجددة في الأجيال المتعاقبة، تحتوي دائماً على الحقيقة الكبرى، حقيقة الرسالة الواحدة التي لا تتبدل، وحقيقة الدعوة الواحدة التي لا تتغير، وحقيقة التوحيد لله الواحد القهار"[1].

يقول تعالى:﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ "بمحمدﷺ والقرآن ويقال آمنوا يوم الميثاق بطيبة الأنفس وهم أهل السعادة: ﴿ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ ﴾ شهادة أن لا إله إلا الله: ﴿ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾، لكيلا يرجعوا عنها: ﴿ وَفِي ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ يعني في القبر إذا سئل عنها﴿ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾يصرف الله﴿ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾المشركين عن قول لا إله إلا الله في الدنيا؛ لكيلا يقولوا بطيبة النفس ولا في القبر ولا إذا أخرجوا من القبور وهم أهل الشقاوة ﴿ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾". [2]

المطلب الثالث–الآيات التي أشارت إلى مفهوم الإسلام:

ومن الآيات التي وردت في سورة إبراهيم تشير إلى الإيمان نصاً، وإلى مفهوم الإسلام معنى لا نصاً:

١–قوله تعالى: ﴿ وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ إبراهيم، حيث ذكرت الآية لفظة الإيمان نصاً وأشارت إلى مفهوم الإسلام الذي يشمل الإيمان والعمل بمقتضى أحكام الشريعة الإسلامية، ولعل في هذه الآيةإشارة إلى تداخل مفهوم الإيمان والإسلام؛ فالإيمان يكون جزءاً من حقيقة الإسلام، والعمل بالجوارح والانقياد إلى أحكام الشريعة هو الجزء المكمل لمفهوم الإسلام.

٢– قوله تعالى:﴿ قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾ ﴾ إبراهيم. قوله تعالى: ﴿ قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾" أي إن أهل مكة بدلوا نعمة الله بالكفر، فقل لمن آمن وحقق عبوديته أن ﴿ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ يعني الصلوات الخمس، أي قل لهم أقيموا، والأمر معه شرط مقدر، تقول: أطع الله يدخلك الجنة، أي إن أطعته يدخلك الجنة، هذا قول الفراء.

وقال الزجاج:" يقيموا" مجزوم بمعنى اللام، أي ليقيموا فأسقطت اللام؛ لأن الأمر دل على الغائب ب" قل". قال: ويحتمل أن يقال:" يقيموا" جواب أمر محذوف، أي قل لهم أقيموا الصلاة يقيموا الصلاة.﴿ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ﴾ يعني الزكاة، عن ابن عباس وغيره.

---

(١) في ظلال القرآن، لسيد قطب (٤/ ٢٠٩٩)

(٢) تنوير المقباس، لفيروز أبادي (ص: ٢١٣)

وقال الجمهور: السر ما خفي والعلانية ما ظهر. وقال القاسم بن يحيى: إن السر التطوع والعلانية الفرض، وقد مضى هذا المعنى في" البقرة" مجوداً عند قوله: ﴿ إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ ﴾البقرة: ٢٧١﴿ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ ﴾البقرة: ٢٥٤تقدم في" البقرة" أيضا. و" خلال" جمع خلة كقلة وقلال. قال: فلست بمقلي الخلال ولا قالي" [1].

" «قل» يا محمد ﴿لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ بوحدانيتي ورسالتك ﴿يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ يؤدوها في أوقاتها ﴿وَيُنفِقُواْ ﴾ على الفقراء ﴿ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ ﴾ بفضلنا؛ لا بكدهم وجهدهم؛ فكم من ساع – يتصبب عرقه، وينهال دمعه ودمه – في سبيل العيش، فلا يحصل على قوت يومه، وكم من قاعد أثقلته النعمة، والأرزاق عليه تترى من حيث لا يحتسب، وكم من مناد على سلعته، حتى جف لسانه، ونضب ريقه، فما تزداد سلعته بندائه إلا بواراً، ولا يزداد بتعبه إلا خساراً، وكم من جالس على أريكته، لا يعلن عن بضاعته، ولا يدعو إليها، ولا يطنب في مدحها والمشترون من حوله كالذباب يحومون حول بضاعته المزجاة، ويتسابقون في شرائها، ويتزاحمون على اقتنائها. ومن هنا يصدق قول الحكيم العليم: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ الذاريات، فكيف لا تنفق مما رزقك مولاك أيها المسكين ﴿سِرًّا ﴾ إذا كان في ذلك كبحٌ لجماح غرورك، وطردٌ لشيطان ريائك، وستر للفقير، وحفظ لماء وجهه؟﴿وَعَلَانِيَةً ﴾ إذا كان في ذلك تعليمٌ للمنفقين، وحث للممسكين وحذار – رحمك الله – من الرياء والإيذاء؛ فـ «قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى»﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ ﴾ هو يوم القيامة ﴿لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا ﴾البقرة.

كحال الدنيا: بيع وشراء، وأخذ وعطاء. فليراع الله –تعالى– في بيعه وشرائه؛ لينفعه ذلك في يوم جزائه ﴿وَلَا خُلَّةٌ ﴾ولا صداقة. فليراع في الدنيا من يصادق، فلا يخالل فيها إلا في الله ولله، أو المراد ﴿لَّا بَيْعٌ فِيهِ ﴾البقرة: ٢٥٤لا عدل ولا فدية، فلا يستطيع المذنب أن يستبدل ذنبه، أو يفتدي نفسه بملء الأرض ذهباً ﴿وَلَا خُلَّةٌ ﴾أي ولا صديق ينفع في ذلك اليوم، أو يدفع عذاب الله تعالى"[2].

" أمر تعالى في هذه الآية الكريمة بالمبادرة إلى الطاعات، كالصلوات والصدقات من قبل إتيان يوم القيامة الذي هو اليوم الذي لا بيع فيه ولا مخالة بين خليلين، فينتفع أحدهما بخلة الآخر، فلا يمكن لأحدا أن تباع له نفسه فيفديها، ولا خليل ينفع خليله يومئذ". [3]

---

(١)تفسير القرطبي (٩/ ٣٦٦)

(٢)أوضح التفاسير (١/ ٣٠٩)

(٣)أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشنقيطي (٢/ ٢٤٧)

" وكذلك يقول ابن عباس في تفسيره تأكيداً على أن هذه الآية الكريمة أشارت إلى مفهوم الإسلام ﴿ قُل ﴾يا محمد ﴿ لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ بي وبالكتب والرسل ﴿ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾الصلوات الخمس بوضوئها وركوعها وسجودها وما يجب فيها في مواقيتها ﴿ وَيُنفِقُواْ ﴾يتصدقوا ﴿ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ ﴾ ما أعطيناهم من الأموال ﴿ سِرًّا ﴾خفياً ﴿ وَعَلَانِيَةً ﴾جهراً وهم أصحاب محمد ﷺ ﴿ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ ﴾ وهو يوم القيامة ﴿ لَّا بَيْعٌ فِيهِ ﴾ لا فداء فيه ﴿ وَلَا خِلَٰلٌ ﴾ لا مخالة للكافر والصالح تنفعه خلته[1]، ويقول السعدي: "ولا سبيل إلى استدراك ما فات لا بمعاوضة بيع وشراء ولا بهبة خليل وصديق، فكل امرئ له شأن يغنيه، فليقدم العبد لنفسه، ولينظر ما قدمه لغد، وليتفقد أعماله، ويحاسب نفسه، قبل الحساب الأكبر."[2].

(١) تنوير المقباس، لفيروز أبادي (ص: ٢١٤)

(٢) تفسير السعدي (ص: ٤٢٦)

المبحث الثالث

عالمية الإسلام في ضوء سورة إبراهيم

لقد أرسل اللهﷻ الرسل لأقوام خاصة، وأرسل محمداًﷺإلى الناس كافة فجعل دعوة الإسلام للعالمين، فلم يفرق اللهﷻ في هذه الدعوة بين عربي أو أعجمي، ولم يجعلها للون أو عرق، بل جعلها للعالمين، كما قال –سبحانه–:﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾ الأنبياء، وهذا يعني أن دعوة الإسلام عالمية، فهي شاملة لجميع البشر بغض النظر عن ألوانهم أو أجناسهم، فمن اتبع ديناً غير الإسلام فلا فائدة من دينه، كما قال اللهﷻ:﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٨٥ ﴾ آل عمران، ولهذا أصبح الإسلام يتميز بالعالمية والشمولية التي لم يتميز بها غيره من الأديان؛ فالأديان السابقة حرفت وبدلت، لكن الدين الإسلامي حفظه الله فلم يتغير أو يتبدل، فهو قائم إلى قيام الساعة.

ومن خلال هذا المبحث سنبين المقصود بعالمية الإسلام من خلال سورة إبراهيم.

المطلب الأول – عالمية الإسلام:

أولاً– تعريف العالمية:[العالَم]: واحد العالمين، وهم أصناف الخلق، قال الله تعالى: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢ ﴾ الفاتحة. "قال ابن عباس: العَالَم: ما يعقل من الملائكة والجن والإنس، ومن ذلك قول الله– تعالى–: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡعَٰلِمِينَ ٢٢ ﴾ الروم، وقرأ حفص عن عاصم بكسر اللام. وقيل: العالَم: كل ذي روح من عاقل وبهيمة؛ وقيل: العالَم: الدنيا وما فيها، واشتقاقه من العِلم عند من جعل العالَم لما يَعْقِل، واشتقاقه من العلامة عند من جعله لما يَعْقِل ولما لا يعقِل؛ لأن فيه علامة الحدث".(١)

" وَمِنَ الْبَابِ الْعَالَمُونَ، وَذَلِكَ أَنَّ كُلَّ جِنْسٍ مِنَ الْخَلْقِ فَهُوَ فِي نَفْسِهِ مَعْلَمٌ وَعَلَمٌ. وَقَالَ قَوْمٌ: الْعَالَمُ سُمِّيَ لِاجْتِمَاعِهِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٥ ﴾الأنعام، قَالُوا: الْخَلَائِقُ أَجْمَعُونَ. وَأَنْشَدُوا: مَا إِنْ رَأَيْتُ وَلَا سَمِعْ ... تُ بِمِثْلِهِمْ فِي الْعَالَمِينَا."(٢)

"وَلَا وَاحِدَ للعالَم مِنْ لَفْظِهِ؛ لأَن عالَماً جَمَعَ أَشياء مُخْتَلِفَةً، فَإِنْ جُعل عالَمٌ اسْمًا لِوَاحِدٍ مِنْهَا صَارَ جَمْعًا لأَشياء مُتَّفِقَةٍ، وَالْجَمْعُ عالَمُون، وَلَا يُجْمَعُ شَيْءٌ عَلَى فاعَلٍ بِالْوَاوِ وَالنُّونِ إِلَّا

(١) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان الحميري (٧/ ٤٧٢٢)

(٢)معجم مقاييس اللغة (٤/ ١١٠)

هَذَا، وَقِيلَ: جَمْعُ العالَم الخَلقِ العَوالِم. وَفِي التَّنْزِيلِ: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١ ﴾الفاتحة.؛ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: رَبِّ الْجِنِّ والإنس،(١) " وَقَالَ قَتَادَةُ: رَبُّ الْخَلْقِ كُلِّهِمْ، وقَالَ الأَزهري: الدَّلِيلُ عَلَى صِحَّةِ قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلُهُ ﷻ:﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١ ﴾الفرقان؛ وَلَيْسَ النَّبِيُّ، ﷺ، نَذِيرًا لِلْبَهَائِمِ وَلَا لِلْمَلَائِكَةِ وَهُمْ كُلُّهُمْ خَلق اللَّهِ، وَإِنَّمَا بُعث مُحَمَّدٍ، ﷺ، نَذِيرًا لِلْجِنِّ والإنس. وَرُوِيَ عَنْ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ أَنَّهُ قَالَ: لِلَّهِ تَعَالَى ثَمَانِيَةَ عَشَرَ أَلفَ عالَم، الدُّنْيَا مِنْهَا عالَمٌ وَاحِدٌ، وَمَا العُمران فِي الْخَرَابِ إِلَّا كفُسْطاطٍ فِي صَحْرَاءَ؛ وَقَالَ الزَّجَّاجُ: العالمين معناه كلُمَا خلق اللَّه، كَمَا قَال؛ ﴿ وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ الأنعام: ١٦٤وَهُوَ جَمْع عَالَم، تَقول: هُؤلاءِ عَالَمونَ، ورأيتُ عالَمِين، ولا واحدَ لعَالَمٍ منْ لَفْظه لأن عالَماً جمع لأشياء مختلفة، وأنْ جُعل" عَالَم " لواحد منها صار جمعاً لأشْياء مُتَفِقَة. (٢)قَالَ الأَزهري: "فَهَذِهِ جُمْلَةُ مَا قِيلَ فِي تَفْسِيرِ العالَم"(٣).

"وقد كان الرسل قبل يرسلون إلى أقوامهم وإلى عشائرهم فقط، وما أرسل للناس كافة بشيراً ونذيراً حال حياته وبعد حياته إلى يوم القيامة إلا نبينا محمد– صلوات الله وسلامه عليه–، فليست هناك ديانة عالمية إلا دين الإسلام، وليس هناك رسول عالمي إلا محمد خاتم الأنبياء – عليه الصلاة والسلام–"(٤).

فقد جاء الإسلام لينشئ أمة مثالية، وقيماً ربانية، وموازين ثابتة للإنسانية كلها بعيداً عن التعصب لقبيلة أو أمة أو جنس أو لون، إنّما هي آصرة واحدة، ورابطة فريدة، يجتمع عليها الأسود والأبيض والأحمر والأصفر من أجل تحقيق العبودية لله رب العالمين وإثبات عالمية الإسلام العظيم .(٥)

" عد معي سريعاً إلى الآية الكريمة حيث تجد تشابه في نسق التعبير بين صيغة الأمر الإلهي الصادر لرسولنا محمدﷺ وبين صيغة الأمر الإلهي الصادر لموسى عليه السلام، ففي الآية الأولى خوطب النبيﷺ بقول ربه: ﴿ الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ إبراهيم: ١ وفي الآية الخامسة خوطب موسى عليه السلام﴿ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ إبراهيم: ٥فالأمر الإلهي الواقع لإخراج الناس كلهم من الظلمات إلى النور دليلكما قلنا على عالمية الرسالة المحمدية والأمر في الموضع الثاني لإخراج قوم موسى من الظلمات إلى النور، وهذا

---

(١) تنوير المقباس، لفيروز أبادي(ص: ٢)

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٤٦)

(٣) تهذيب اللغة (٢/ ٢٥٣)

(٤) تفسير القرآن الكريم، المؤلف: محمد المنتصر بالله بن محمد الزمزمي الكتاني الإدريسي الحسني، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، ورقم الجزء=رقم الدرس.(٨٦/ ٢بترقيم الشاملة آليا)

(٥) انظر منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام (٢/ ٧٣٤)

دليل عل خصوصية الدعوة ولكن تبقى غايات الرسالات كلها واحدة، وهي إخراج الناس من براثن الشرك والكفر والجهل والضلال إلى نور التوحيد والإيمان والهدى، لذا تكرر قوله تعالى: ﴿ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾إبراهيم: ٥ تأكيداً على هذا المعنى". (١)

يقول تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٤ ﴾ إبراهيم، "لما مَنَّ الله- تعالى- على الناس بإنزال القرآن وهدايته وأثره بين لهم أن من كمال النعمة أن يرسل كل رسول إلى قومه بلغتهم ليبين لهم شرعه وليوضحه بلسانهم فتكمل الغاية من الرسالة، وهذا معنى قوله ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ ﴾ إبراهيم: وهنا يتبادر إلى الذهن اعتراض مهم جداً مفاده أن مفهوم الآية الكريمة أو مدلولها ينطبق على الرسل السابقين وعلى النبيﷺ؛لأن غيره أرسل إلى قومه خاصة بلسانهم ليفقهوا عنه رسالته ولا تبقى لهم حجة على الله بأنهم لم يفهموا رسالة من أرسل إليهم، أما الرسولﷺ فكما هو معلوم فإنه بعث إلى الناس كافة، كما يفهم من قوله تعالى فيأو السورة ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ ﴾إبراهيم. فلفظ الناس يدل على العموم" (٢) "فإرسال الرسل –عليهم السلام– إلى أقوامهم بلغاتهم تخفيف وتيسير على أقوام الرسل، حتى لا يجدوا مشقة وعنتاً في فهم الرسالات التي بلغت إليهم، وهذا المعنى يتوافق مع مدلول مادة الإرسال بما فيه تخفيف وسهولة، والله أعلم".(٣)وإرسال سيدنا محمدﷺ بلغة قومه اللغة العربية الفصحى إلا دليلاً واضحاً على عالمية هذا الدين العظيم وهو للناس كافة.

" وبهذا نستعين على فهم السر والحكمة في اختيار الله للعرب للنهوض بهذه الرسالة الإسلامية العالمية، واصطفائه إياهم لإنقاذ العالم مما كان فيه من شر وباطل. وهذا السر هو أن ما كانوا عليه من شرف النفس وعزتها والاعتداد بها هو الذي هيأهم لذلك، ولو كانوا أذلاء لما تهيأوا لذلك العمل العظيم". (٤) "وأما العرب فإنهم اختيروا لوظيفة عالمية عامة لما فيهم شرف متأصل، واستعداد كامل، وصفات مهيأة، ولهذا كان منبع الرسالة بمكة، وشأنها عند العرب هو شأنها!! فهم مجمعون على تقديسها. ولأنها في وسط الجزيرة وصميمها، ووسط الجزيرة بعيد كل البعد عن المؤثرات الخارجية في الطباع والألسنة، تلك المؤثرات التي يجلبها الاحتكاك بالأجانب

---

(١) تأملات في سورة إبراهيم تفسير بلاغي تطبيقي ،د. عادل أحمد صابر الرُّوَيني(ص٦٢)

(٢) المرجع السابق (ص٤٢)

(٣) المرجع السابق نفسه (ص٤٩)

(٤) في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، تفسير ابن باديس ، عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي، تحقيق: علق عليه وخرج آياته وأحاديثه أحمد شمس الدين، (ص: ٣٩١)

والاختلاط بهم. وكل أطراف الجزيرة لم تخل من لوثة في الطباع، وعجمة في الألسنة جاءت من الاختلاط بالأجنبي، ولا أضر على مقومات الأمم من العروق الدساسة. فاليمن دخلتها الدخائل الأجنبية من الحبشة والفرس على طباع أهلها وألسنتهم، والشام ومشارفه كانت مشرفة على الاستعجام، والعراق والجزيرة لم يسلما من التأثر بالطباع الفارسية. فكانت هذه الأطراف تنطوي على عروبة مزعزعة للمقومات، ولم يحافظ على الطبع العربي الصميم إلاّ صميم الجزيرة ومنه مكة التي ظهر فيها الإسلام. وهذا الوسط وإن كان عريقاً في الصفات التي تسمى العصر لأجلها جاهلياً، ولكنه كان بعيداً عن الذل الذي يقتل العزة والشرف من النفوس، والجاهل يمكن أن تعلمه، والجافي يمكن أن تهذبه، ولكن الذليل الذي نشأ على الذل يعسر أو يتعذر أن تغرس في نفسه الذليلة المهينة عزة وإباء وشهامة تلحقه بالرجال، هذا توجيه موجز مقرب لاختيار الله –تعالى–العرب للنهوض بالرسالة العامة، وشيء آخر يرتبط بهذا: وهو أن الله كما اختار العرب للنهوض بالعالم، كذلك اختار لسانهم ليكون لسان هذه الرسالة، وترجمان هذه النهضة، ولا عجب في هذا؛ فاللسان الذي اتسع للوحي الإلهي لا يضيق أبداً بهذه النهضة العالمية مهما اتسعت آفاقها وزخرت علومها".[1]قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ﴾ "أَيْ: هَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ، وَهُوَ الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ، الَّذِي هُوَ أَشْرَفُ كِتَابٍ أَنْزَلَهُ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ، عَلَى أَشْرَفِ رَسُولٍ بَعَثَهُ اللَّهُ فِي الْأَرْضِ، إِلَى جَمِيعِ أَهْلِهَا عَرَبِهِمْ وَعَجَمِهِمْ" [1] .﴿لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾أَيْ: إِنَّمَا بَعَثْنَاكَ يَامُحَمَّدُ بِهَذَا الْكِتَابِ؛ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِمَّا هُمْ فِيهِ مِنَ الضَّلَالِ وَالْغَيِّ إِلَى الْهُدَى وَالرُّشْدِ، كَمَا قَالَ:﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ﴾البقرة: ٢٥٧،وَقَالَ تَعَالَى:﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾﴾الحديد .

وَقَوْلُهُ:﴿ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ﴾ "أَيْ: هُوَ الْهَادِي لِمَنْ قَدر لَهُ الْهِدَايَةَ عَلَى يَدَيْ رَسُولِهِ الْمَبْعُوثِ عَنْ أَمْرِهِ يُهْدِيهِمْ﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ﴾أَيِ: الْعَزِيزِ الَّذِي لَا يُمَانَعُ وَلَا يُغَالَبُ، بَلْ هُوَ الْقَاهِرُ لِكُلِّ مَا سِوَاهُ، "الْحَمِيدُ" أَيِ: الْمَحْمُودُ فِي جَمِيعِ أَفْعَالِهِ وَأَقْوَالِهِ، وَشَرْعِهِ وَأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، الصَّادِقُ فِي خَبَرِهِ".[2]

ونلحظ هنا أن القرآن نزل للناس كافَّة، ولم يَقُلِ الحقُّ–سبحانه –ما قاله للرسُل السابقين على رسول الله؛ حيث كانت رسالة أيٍّ منهم مُحدَّدة بقوم مُعيَّنين، مثل قوله تعالى:﴿ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾﴾ الأعراف: ٦٥وقوله الحق:﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟

---

(١)تفسير ابن باديس (ص: ٣٩٢).

(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ٤٧٦)

ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ الأعراف: ٨٥.

وكذلك قوله سبحانه لموسى:﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ آل عمران

"وهكذا كان كُلُّ رسول إنما يبعثه الله إلى بُقْعة خاصة، وإلى أُنَاسٍ بعينهم، وفي زمن خاصٍّ، إلا محمداً ﷺ؛ فقد بعثه الله إلى الناس كَافَّة".(١)﴿ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾ " الصحيحة والعقول السليمة في هذا؟؟ الإلهي الذي هو عبر وعظات وذكرى ما وراءها وراء ليعظوا بها ويتعظوا، يرشدوا ويرشدوا، واعلم أن هذه الجملة لم تختم بها غير هذه السورة، بما يدل أنها أكبر عظة لمن يتذكر".(٢)قال تعالى :﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾ إبراهيم . " والآية الدالة على عالمية هذا الدين في سورة إبراهيم **قوله تعالى:** ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾ إبراهيم،وتدل على أيضاً عالمية الإسلام وأنه جاء لبني البشر جميعاً في كل زمان ومكان حتى قيام الساعة، يَقُولُ تَعَالَى: هَذَا الْقُرْآنُ بَلَاغٌ لِلنَّاسِ، كَقَوْلِهِ: ﴿لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ ﴾ الأنعام: ١٩،أَيْ: هُوَ بَلَاغٌ لِجَمِيعِ الْخَلْقِ مِنْ إِنْسٍ وَجَانٍّ، كَمَا قَالَ فِي أَوَّلِ السُّورَةِ: ﴿الر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ﴾ إبراهيم،﴿ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ ﴾أَيْ: لِيَتَّعِظُوا بِهِ،﴿ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾أَيْ: يَسْتَدِلُّوا بِمَا فِيهِ مِنَ الْحُجَجِ وَالدَّلَالَاتِ عَلَى أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴿وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾أَيْ: ذَوُو الْعُقُولِ".(٣)

كذلك يقول ابن عباس في بيان عالمية الإسلام :﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ ﴾ " أبلغهم عن الله، ويقال: بيان لهم بالأمر والنهي والوعد والوعيد والحلال والحرام﴿ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ ﴾ لكي يخوفوا بالقرآن﴿ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ ﴾لكي يعلموا ويقروا﴿ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾بلا ولد ولا شريك﴿ وَلِيَذَّكَّرَ ﴾ولكي يتعظ بالقرآن﴿ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ ذوو العقول من الناس".(٤)

---

(١) تفسير الشعراوي (١٢/ ٧٤٢٣)

(٢) بيان المعاني للعانى ، (٤/ ٢٩٣)

(٣) تفسير ابن كثير (٤/ ٥٢٣)

(٤) تنوير المقباس ،لفيروز أبادي (ص: ٢١٦)

وكذلك في تفسير العز بن عبد السلام أن قول الله تعالى :﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ ﴾ " هذا الإنذار كافٍ للناس، أو هذا القرآن كافٍ للناس.﴿ وَلِيُنذَرُواْ ﴾بالقرآن ﴿ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ ﴾ بما فيه من الدلائل على التوحيد ﴿ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ ﴾ بمواعظه ذوو العقول".(١)

"قَوْله تَعَالَى: ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٞ ﴾ " يَعْنِي: هَذَا الْقُرْآن، وَهَذَا الَّذِي أنزلته عَلَيْك بَلَاغ للنَّاس، أَي: فِيهِ تَبْلِيغ للنَّاس. قَوْله: ﴿ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ ﴾أَي: وليخوفوا بِهِ، وَقَوله: ﴿ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ ﴾أَي: ليستدلوا بِهَذِهِ الْآيَات على وحدانية الله تَعَالَى، وَقَوله: ﴿ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ إبراهيم: مَعْنَاهُ: وليتعظ أولو الْأَلْبَاب – أَي أولو الْعُقُول –"(٢)

"(هذا) أي ما ذكر من قوله –سبحانه – وَلاَ تَحْسَبَنَّ الله غافلاً ... سَرِيعُ الحساب (بَلاَغٌ) كفايةٌ في العظة والتذكيرِ منْ غيرِ حاجةٍ إلى ما انطوت عليه السورةُ الكريمة أو كلُّ القرآن المجيدِ من فنون العظات والقوارعِ (لِلنَّاسِ) للكفار خاصةً على تقدير اختصاصِ الإنذار بهم في قوله تعالى وَأَنذِرِ الناس أو لهم وللمؤمنين كافةً على تقدير شمولِه لهم أيضاً، وإن كان ما شرح مختصاً بالظالمين ﴿ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ ﴾ عطفٌ على مقدر واللامُ متعلقةٌ بالبلاغ أي كفاية لهم في أن ينصحوا وينذروا به، أو هذا بلاغٌ لهم ليفهموه ولينذَروا به على أن البلاغَ بمعنى الإبلاغ، كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ١٨ ﴾ العنكبوت، أو متعلقة بمحذوف أي ولينذَروا به أُنزل أو تُلِيَ وقرىء لينذروا به من نذر الشيء إذا علمه وحذروه واستعدّ له (وَلِيَعْلَمُواْ) بالتأمل فيما فيه من الدلائل الواضحة التي هي إهلاكُ الأمم وإسكانُ آخرين مساكنهم وغيرُهما مما سبق ولحِق ﴿ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ ﴾لا شريكَ له، وتقديمُ الإنذار لأنه الداعي إلى التأمل المؤدِّي إلى ما هو غايةٌ له من العلم المذكور والتذكير في قوله تعالى:﴿ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ أي ليتذكروا ما كانوا يعملوا به من قبلُ من التوحيد وغيره من شئون الله ﷻومعاملتِه مع عباده فيرتدعوا عما يُرديهم من الصفات التي ينصف بها الكفارُ، ويتدرعوا بما يُحظيهم من العقائد الحَقَّة والأعمالِ الصالحةِ، وفي تخصيص التذكرِ بأولي الألباب تلويحٌ باختصاص العلمِ بالكفار، ودَلالةٌ على أن المشارَ إليه بهذا ما ذكرنا من القوارع المَسوقةِ لشأنهم لا كلُّ السورةِ المشتملةِ عليها وعلى ما سبق للمؤمنين أيضاً؛ فإن فيه ما يفيدهم فائدةً جديدةً، وحيث كان ما يفيده البلاغُ من التوحيد وما يترتبُ عليهِ من الأحكام بالنسبة إلى الكفرة أمراً حادثاً، وبالنسبة إلى أولي الألباب الثباتَ على ذلك حسبما

---

(١) تفسير العز بن عبد السلام (٢/ ١٦٩)

(٢) تفسير السمعاني (٣/ ١٢٧)

أشير إليه عبر عن الأول بالعلم، وعن الثاني بالتذكير، ورُوعيَ ترتيبُ الوجودِ مع ما فيه من الختم."[1]

المطلب الثاني–ربط أول السورة بآخرها وعلاقتها بعالمية رسالة الإسلام.

وما ألحظه في هذه السورة العظيمة عن عالمية هذا الدين أن دعوة رسول الله لا تختص بإقليم خاص أو أمة معينة بل إنها اختتمت سورة إبراهيم عليه السلام ختاماً يتسق مع مطلعها﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٥٢ ﴾إبراهيم، كما بدأت السورة ببيان وظيفة الرسول وما أوتيه من كتاب في إخراج الناس من الظلمات إلى النور بإذن الله ،وتختم السورة بهذا المعنى وبالحقيقة الكبرى التي تضمنتها الرسالة ألا وهي حقيقة التوحيد﴿ هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٥٢ ﴾إبراهيم.

وكل هذا يبين عالمية هذا الدين ،وأن الهدف واحد لجميع الرسل، ألا وهو إخراج الناس من الظلمات إلى النور، أي إلى نور التوحيد، وكما بينا سابقاً أن الصراع من أول الخليقة بين الأمم ورسلهم كان من أجل توحيد الألوهية.

(١)تفسير أبي السعود (٥/ ٦٢).

المبحث الرابع

تثبيت الله لأوليائه من خلال سورة إبراهيم

المطلب الأول :معنى التثبيت لغة واصطلاحاً

أولاً: التثبيت لغةً: من "ثَبَتَ الشَّيْءُ يَثْبُتُ ثُبُوتًا أي دَامَ وَاسْتَقَرَّ فَهُوَ ثَابِتٌ" ([1])

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: التَّثْبِيتُ هُوَ التَّثَبُّتُ كَقَوْلِهِ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾﴾ النساء، وَالتَثَبَّت هُوَ الْقُوَّةُ وَالْمُكْنَةُ وَضِدَّهُ الزَّلْزَلَةُ وَالرَّجْفَةُ. ([2])

قال أبو جعفر الطبري: "في قول القائل: ثَبَّتُّ فلانًا في هذا الأمر إذ صححت عزمَه، وحققته، وقويت فيه رأيه أثبته تثبيتًا" ([3])

قال ابن القيم : "فَالْخَلْقُ كُلُّهُمْ قِسْمَانِ: مُوَفَّقٌ بِالتَّثْبِيتِ، وَمَخْذُولٌ بِتَرْكِ التَّثْبِيتِ، وَمَادَّةُ التَّثْبِيتِ أَصْلُهُ وَمَنْشَؤُهُ مِنْ الْقَوْلِ الثَّابِتِ وَفِعْلِ مَا أُمِرَ بِهِ الْعَبْدُ، فَبِهِمَا يُثَبِّتُ اللَّهُ عَبْدَهُ، فَكُلُّ مَنْ كَانَ أَثْبَتَ قَوْلًا وَأَحْسَنَ فِعْلًا كَانَ أَعْظَمَ تَثْبِيتًا". ([4])

ثانيا – التثبيت اصطلاحاً:

قال ابن الجوزي: " ومعنى تثبيت الفؤاد: تسكين القلب ها هنا، ليس للشك، ولكن كلما كان البرهان والدلالة أكثر، كان القلب أثبت". ([5])

([1]) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (١/ ٨٠) وانظر المغرب في ترتيب المعرب (ص: ٦٥) لسان العرب (٢/ ١٩).مادة ثبت

(٢) انظر مجموع الفتاوى (١٤/ ٩٤).

(٣) تفسير الطبري (٥/ ٥٣١):

(٤) إعلام الموقعين عن رب العالمين (١/ ١٣٦)

(٥)زاد المسير في علم التفسير (٢/ ٤٠٩):

المطلب الثاني : أقوال المفسرين الواردة في آية التثبيت في سورة إبراهيم

قال تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ﴾ إبراهيم

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ﴾ إبراهيم

قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ ، يحقق الله أعمالَهم وإيمانهم ﴿ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ ﴾، يقول: بالقول الحق، وهو فيما قيل: شهادة أن لا إله إلا الله، وأنّ محمدًا رسول الله.

وأما قوله: ﴿ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ ، فإن أهل التأويل اختلفُوا فيه، فقال بعضهم: عنى بذلك أن اللهَ يثَبتهم في قبورهم قبلَ قيام الساعة.

وفي حديث البَراء بن عازب، في قوله: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ ، قال: التثبيت في الحياة الدنيا إذا أتاه المَلكان في القبر فقالا له: مَن ربك؟ فقال: ربّي الله. فقالا له: ما دينك؟ قال: دينيَ الإسلام. فقالا له: مَن نبيك؟ قال: نبيِّي محمدٌ ﷺ. فذلك التثبيت في الحياة الدنيا.

عن البراء قال، ذكر النبيّ ﷺ المؤمنَ والكافرَ، فقال: إن المؤمن إذا سئل في قبره قال: رَبّي الله، فذلك قوله: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ﴾. (١)

وكذلك قال العز بن عبد السلام في تفسيره: أن التثبيت هو أن يديم الله المؤمنين على القول الثابت الشهادتان، أو العمل الصالح ﴿ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ إبراهيم زمن الحياة، وأما ﴿ وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ﴾ إبراهيم عند المساءلة في القبر. (٢)

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (١٦/ ٥٨٩-٥٩٠) بتصرف يسير.

(٢)تفسير العز بن عبد السلام (٢/ ١٦٥):

وما ذكره ابن كثير في تفسيره: أن التثبت هو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله وهذا ما ذكرته كثير من التفاسير أن التثبت هو توحيد الله وعدم الإشراك به بالتثبت على القول الثابت ألا وهو الشهادتين عند سؤال القبر . (١)

والتثبيت يكون لأهل الإيمان فِي الدُّنْيَا فلَا يرجِعوا عَنْهَا فِي الْآخِرَة يَعْنِي فِي الْقَبْورهم إِذا سُئِلَوا عَنْهَا وَالله يصرف أهل الظُّلم والظالمين عَن قَول لَا إِلَه إِلَّا الله فِي الدُّنْيَا لكَي لَا يَقُولُوها فِي الْقَبْر وَلَا بعد خروجُهم منه أهل الشقاوة والضلال.(٢)

المطلب الثالث : العبر المستفادة من تثبيت الله لأوليائه

١- تبشير الله للمؤمنين بالتثبيت والثبات على التوحيد الخالص لله سبحانه وتعالى في الحياة الدنيوية والبرزخية والأخروية .

٢- زرع بذور الطمأنينة واليقين في قلوب المؤمنين وعدم الاضطراب عند الفتن في الدنيا والسؤال في القبر من الملكين وعند الحساب والجزاء في الآخرة

٣- أن التثبيت تدعيم لأصول الإيمان وتحقيق وترسيخ ، وذلك بفضل الله تعالى فهو هبة ومنحة تضاف إلى إيمان العبد بالله ونظيره في قوله تعالى:﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾ آل عمران، فهو يهب القلوب المهدية عامل التثبيت من لدنه فهو منحة لدنية من رب البرية لعباده وأوليائه.

٤- إن الظالمين محرومون من هذه المنحة لأنهم لم يستعدوا لها ولم يمهدوا لها باختيار التوحيد على الجاهلية بل آثروا الحياة الدنيا على الآخرة وآثروا الشرك على الإيمان بالله وعليه فإنه سبحانه لم يثبتهم على الخير والتوحيد بل أضلهم وزادهم ضلالا جزاءاً وفاقا لأنهم اشتروا الكفر بالإيمان بداية فظلموا أنفسهم بهذه الجريمة العقدية العظيمة فلم يستمعوا من الله إلا من يثبتهم على الضلال كما قال سبحانه﴿ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ ﴾ .

٥- ما ورد في فاصلة الآية من قوله﴿ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿٢٧﴾ ﴾ إبراهيم فيه اثبات لعظمة الله ومهابته وجلال قدره ووجوب تقديره والمهابة منه فهو المتصرف المطلق في هذا الوجود يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ولا يسأل عما يفعل لأنه فعله يكون بموجبة مطلق العدل والإحسان.

---

(١) انظر تفسير ابن كثير ت سلامة (٤/ ٤٩٤) وما بعدها بتصرف.

(٢) انظر تنوير المقباس من تفسير ابن عباس (ص: ٢١٣)بتصرف

فالثبات على الحق وعدم التبديل، هَمٌ يشغل الصادقين من أولياء الله في كل زمان ، فكم من شخص عرف الهُدى وسلكه ثم طال عليه الطريق فاستبدل غيره بشهوة عاجلة ، أو دنيا يصيبها أو جاه أو سلطان يحصل عليه ، فاستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير ، فيجب علينا أن نعرف الهدى ، ونعرف هَديَ الحبيب محمدﷺ في سيره إلى ربه، في دعوته في تعاملاته مع محبيه وخصومه في المنشط والمكره.

الخاتمة

هذه هي أبرز النتائج والتوصيات التي خلصت إليها الباحثة:

أهم النتائج والتوصيات:

أولاً- النتائج :

١. إن المتأمل في ثنايا سورة إبراهيم يدرك أن معظم أصول العقيدة وقضاياها قد تناولتها السورة بشكل عميق وواضح
٢. إن حكمة الله تعالي تتجلى في تسمية هذه السورة بإبراهيم الذي أشتهر بالحوار وجدال المشركين لأجل التوحيد وكذللك بكثرة تأمله وتبصره بأدلة التوحيد.
٣. اشتملت سورة إبراهيم على طائفة من الآيات الكونية وسنن الله الاجتماعية الدالة على وحدانيته وتيسير لشؤن هذا الكون الرحب.
٤. اشتملت السورة على اثبات حجة العقيدة أسلوب القصة وضرب الأمثال والترغيب والترهيب وأسلوب الحوار والمناقشة .
٥. أوردت السورة مجموعة من اسماء الله تعالى في ثنايا السورة وهي العزيز والغفور والحكيم والرب والشكور والعظيم ولفظ الجلالة الله والرحيم والسميع والبصير.
٦. إن التكامل في آيات السورة يقف على طائفة من ثمار التوحيد وأثاره الطيبة منها : إخراج الناس من الظلمات إلى النور وإيثار الأخرة على الدنيا. والحصول على الطمأنينة وراحة البال والصبر على المصائب وسعة النظر ووضوح الهدف
٧. تحدثت السورة عن كثير من الأنبياء عليهم السلام ومنهِم موسى ونوح وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق.
٨. تحدثت السورة عن بعض الأقوام السابقين مع أنبيائهم وأظهرت مدي صبر الأنبياء على أقوامهم.
٩. تناولت سورة إبراهيم بعض الغيبيات العقائدية مثل حقيقة الموت وعلاقة الإنسان بالشيطان.
١٠. تناولت السورة أصناف الناس وعالمية الإسلام وعالمية الدعوة إلى الله.

ثانياً- التوصيات:

١. توصي الباحثة استكمال سلسلة الرسائل الجامعية المحكمة لقسم العقيدة بكلية أصول الدين في الجامعة بعنوان أصول العقيدة في جميع سور القرآن الكريم
٢. توصي الباحثة بإجراء مزيد من الدراسات العلمية التي تبين أصول العقيدة الصحية المستمدة من الكتاب والسنة
٣. توصي الباحثة بتعزيز وتفصيل البحث العلمي في التفسير الموضوعي والحديث الموضوعي لدراسة العقيدة

واصلي وأسلم على نبينا محمد وعلى وآله وصحبه وسلم أجمعين...

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الباحثة:

سمية شعبان خليل الدهشان

الفهارس العامة

أولاً: فهرس الآيات القرآنية.

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية.

ثالثاً: فهرس المصادر والمراجع.

رابعاً: فهرس الموضوعات.

أولاً- فهرس القرآن الكريم

الفاتحة		
﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢﴾	١	١٦٥،١٦٦
البقرة		
﴿مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا﴾	٢٥٤	١٦٣
﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾	٢٥٧	١٦٨
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾	٢١	٤٧
﴿لَمَا يَهۡبِطُ مِنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ﴾	٧٤	١٦٠
﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ﴾	١٢٤	٨٤
﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗىۖ﴾	١٢٥	٨٤
﴿وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ﴾	١٢٧	٩٠،٩٥،٩٤
﴿وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥ﴾	١٣٠	٧
﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ﴾	١٥٦	١٣٧
﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا﴾	١٦٥	٤٧
﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ﴾	٢٥٨	٣،٦٤
﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ﴾	٢٦٠	٣
﴿إِن تُبۡدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَۖ﴾	٢٧١	١٦٣
آل عمران		
﴿وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾	١٥٩	٩١
﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا﴾	٨	١٧٤
﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا﴾	٣٣	٧٤

﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾	٤٩	١٦٩
﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن ﴾	٨٥	١٦٥
﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيۡتٖ وُضِعَ لِلنَّاسِ ﴾	٩٦	٩٥
﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ ﴾	١٢٩	٤١
﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٞۖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ ﴾	١٤٤	١١٧
﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ ﴾	١٦٦	١٣٧
﴿ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ ﴾	١٨٥	١٠٨
﴿ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾	١٩٠	١٩
النساء		
﴿ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولٗا ﴾	٤٧	١٣٧
﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ ﴾	٦٥	٥٩
﴿ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ ﴾	٦٦	١٧٢
﴿ يَعِدُهُمۡ وَيُمَنِّيهِمۡۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾	١٢٠	١٣٤
﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ ﴾	١٢٥	٧٢
﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمٗا ﴿١٤٧﴾ ﴾	١٤٧	٣٩
﴿ وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ ﴾	١٦٤	٥٩ ،٦٨
المائدة		
﴿ فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ لَعَنَّٰهُمۡ ﴾	١٣	١١٦
﴿ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾	١١٨	٣٧
الأنعام		
﴿ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ ﴾	١٩	٥٦،٢٥،١٦٩
﴿ وَقَالُوٓاْ إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا ﴾	٢٩	١١٧
﴿ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾	٤٥	١٦٥

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾	٧٥	٣،٦١
﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم ﴾	٨٢	١١٨،٥٦
﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ ﴾	٩٢	١١٧
﴿ شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي ﴾ الأنعام	١١٢	١٢٦،١٢٨،١١٢
﴿ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي ﴾	١٦٢	١٤،١٠٦
﴿ وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيۡءٖ ﴾	١٦٤	١٦٦
الأعراف		
﴿ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي ﴾	١٢	١٢٧
﴿ قَالَ أَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴾	١٤	١٢٧
﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ ﴾	١٦	١٢٧
﴿ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنۡ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ ﴾	٢٠	١٢٩
﴿ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾	٢١	٣٤،١٢٩
﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا ﴾	٢٣	٣٥
﴿ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْ ﴾	٣١	٦٠
﴿ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا ﴾	٥٤	٢٠
﴿ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗا ﴾	٦٥	١٦٨
﴿ أَوَعَجِبۡتُمۡ أَن جَآءَكُمۡ ذِكۡرٞ مِّن رَّبِّكُمۡ ﴾	٦٩	٧٨
﴿ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ ﴾	٧٤	٧٨
﴿ وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗا ﴾	٨٥	١٦٨
﴿ ۚ رَبَّنَا ٱفۡتَحۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ قَوۡمِنَا بِٱلۡحَقِّ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰتِحِينَ ﴾ :	٨٩	١٥٠
﴿ وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ ﴾	٩٦	٥٩
﴿ قَالَ إِن كُنتَ جِئۡتَ بِـَٔايَةٖ فَأۡتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾	١٠٦	٨٦
﴿ قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ	١٢٩	٨٣

﴿ مَا ﴾		
﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾	١٣٠	٨٧
﴿ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾	١٤٤	٦٧
﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ ﴾	١٧٩	١٣٨
﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ ﴾	١٨٠	٣٠
الأنفال		
﴿ لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ﴾	٤٢	١٣٧
﴿ إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ﴾	١٩	١٥٠
التوبة		
﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ ﴾	١١٤	٧٣،٩١
يونس		
﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾	٣١	١٣
﴿ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ ﴾	٦٥	٣٢
﴿ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ ﴾	٧٢	٦٩
﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ ﴾	٨٨	٨٧
هود		
﴿ قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا ﴾	٣٢	٩٩
﴿ يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴾	٣٣	١٠٠
﴿ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ﴾	٣٧	١٠١
﴿ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ ﴾	٣٨	١٠١،١٠٣

﴿ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ ﴾	٣٩	١٠٢
﴿ ۞ وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ ﴾	٤١	١٠٢
﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ ﴾	٤٧	٧٠،٣٥
﴿ فَلَمَّا رَأَىٰٓ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ ﴾	٧٠	٦٦
﴿ وَامْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ ﴾	٧١	٩٦
﴿ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ ﴾	٧٢	٩٦
﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴾	٧٥	٧٣
يوسف		
﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾	٥	١٢٧
﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ﴾	٢١	٨٣
﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ ﴾	٤٠	٤٧،٣٧
﴿ فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا ﴾	٤١	٣٧
﴿ ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ ﴾	٤٢	٣٧
﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ﴾	١٠٨	٨٩
الرعد		
﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ ﴾	١٠	٤٢
﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ﴾	١٦	١٣،١٥١
﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌۢ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ﴾	٣٣	١٤٩
﴿ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾	٣٨	٤
إبراهيم:		
﴿ الٓرٰ ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ ﴾	١	٣٢،٤،٥،٦،٢٥،٥٣،٥٦،١١٦
﴿ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى	٢	٧،٣١،١٠٨،٦،١٤٣

ٱلْأَرْضِ ۗ ﴾		
﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾	٣	١٤٣،١٣٩،١٢١،٥٣،١٥٣
﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ ﴾	٤	٣٦،١٤٣،١٦٦،٣٢،،١٣٨
﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ ﴾	٥	٦٨،٧١،٦٦،٧٩،١٤٣،١٦٦
﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ ﴾	٦	٣٨،٨٠،٦٧،٦٦،٨
﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ ﴾	٧	٥٣،٧،٣٨،٨١،١٤٤
﴿ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾	٨	٦٨،٧١،٥،٤١،٨١،١٤٤
﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ ﴾	٩	٩٩،٦،٨،٦٦،٧٨
﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾	١٠	٥،٤٧،٤٩،٦،٧،١٧،٣٢
﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾	١١	١٥٧،٤،١٤٥
﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا ﴾	١٢	٧٢،٥٤،٦٩،١٥٩
﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم ﴾	١٣	١٤٩،١٠٨،٧
﴿ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ ﴾	١٤	١٤٩
﴿ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ إبراهيم	١٥	١٥١،١٥٠
﴿ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ إبراهيم،	١٦	١٢١

﴿ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ ﴾	١٧	١٠٧،١١٠،١١٢،١٥٠،١٢١
﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ ﴾	١٨	٨
﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾	١٩	٥٤،١٩،٣٣
﴿ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ﴾	٢١	١٥٩،١٥١،١٥٢،٥٤،١٠
﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ﴾	٢٢	١٣٠،١٠،١٣٤،١٤٠
﴿ وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾	٢٣	٥٩،١٦٠،٥٤،١٢٢،١٦٢،٧،١٦١
﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً ﴾	٢٤	٥٢،٩
﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾	٢٧	١٦١،٧،١٧٣،١٧٤
﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ﴾	٢٨	١٥٢،٣
﴿ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴾	٢٩	١٢٠
﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾	٣٠	٣
﴿ قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾	٣١	٥٦،١٢٠،١٦٢
﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾	٣٢	٦،١٩،٢٠
﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ ﴾	٣٣	١٩
﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا ﴾	٣٥	،٣٠،٥،٣٥،٣٨،٨٥،٨٤،٦٦،٩١،٧١،٣
﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ ﴾	٣٦	١٥٢،٨٤،٧٣
﴿ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ ﴾	٣٧	٩٢
﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ ﴾	٣٨	٣٨،٥٥

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ ﴾	٣٩	٨٨،٤،٣٢،٦٦،٧٤،٤٣،٩١
﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾	٤٢	٧،١١٨
﴿ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾ ﴾ إبراهيم	٤٣	١١٨
﴿ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ ﴾	٤٤	،١١٨،١١٩،١٦،٥٦
﴿ وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ﴾	٤٥	١١٩
﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ﴾	٤٧	٣٣
﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ﴾	٤٨	٤٣،٤٤،١٢٠،١١٩
﴿ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴾	٤٩	٥٤،١٢٠،١٥٢
﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ ﴾	٥٢	٥،٢٤،٦١،١٥٣،٢٤،٥٦،١٦٩،١٧١
الحجر		
﴿ الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ ﴾	١	٤
النحل		
﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ﴾	٣٨	١٢٩
﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾	١٢٠	٧٣
الإسراء		
﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾	٢	٧٩
﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ﴾	٣	٧٣،٦٩
﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ﴾	٥٣	١٢٩
﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ ﴾	١٠١	٧٩

﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ ﴾	١٠٢	٤٩
الكهف		
﴿ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ ﴾	٢٩	١١١
﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾	٤٩	٢٨
﴿ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ ﴾	٦٣	١٢٩
﴿ وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾	٧٩	١٥٠
﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾	١١٠	٢٥
مريم		
﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا ﴾	٤١	٧٢
﴿ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن ﴾	٤٨	٩٠
﴿ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾	٤٩	٧٧،٩٠
﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ ﴾	٥١	٦٧
﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ﴾	٥٤	٧٤،٧٥
﴿ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ ﴾	٥٥	٧٤
﴿ وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ ﴾	٦٦	١٠٧
طه		
﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾	٥	٢٧
﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴾	١٧	٨٥
﴿ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾	٧٢	٨٣
﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ ﴾	٧٧	٨٨
﴿ فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴾	١٢٣	٦٠
الشورى		

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ۖ﴾	١١	٣٠،٢٩
﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ﴾	٢١	٥٨،٢٦
الأنبياء		
﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾	٢٣	١٣٨
﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا﴾	٥١	٨٤
﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ﴾	٥٨	٦٥
﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ﴾	٧٢	٧٦
﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ﴾	١٠٤	١١٥
﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾	١٠٧	١٦٥
الحج		
﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ﴾	٧٨	٨٤
﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ﴾	٥٢	٥٩
المؤمنون		
﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ﴾	١٦	١١٥
﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ﴾	٨٤	٤٧
النور		
﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟﴾	٥٥	٥٨
الفرقان		
﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾	١	١٦٦
الشعراء		
﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ﴾	٣٠	٨٥
﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾	٤٧	٨٥
﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾	٥٤	٨٣
﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾	٦١	٨٦
النمل		

﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا ﴾	١٤	٤٩، ٥١،
﴿ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ﴾	٤٠	ت
القصص		
﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ ﴾	٤	٧٩، ٨٠
﴿ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ﴾	٥٧	٨٨
العنكبوت		
﴿ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾	١٨	١٧٠
﴿ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ﴾	٢٧	٩٨
﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا ﴾	٦٧	٧١
الروم		
﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴾	٢٢	١٦٥
﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ﴾	٣٠	٢٤
لقمان		
﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾	٢٥	١٧، ٤٧
السجدة		
﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا ﴾	١٣	١٣٨
الأحزاب		
﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ ﴾	٣٥	١٥٧
﴿ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾	٣٨	١٣٧
﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ ﴾	٤٠	٥٨
فاطر		
﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾	٦	١٢٥
﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ﴾	٨	١١٦
﴿ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ ﴾	١٣	٢٠
﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ﴾	١٥	٣٣، ٤٠، ٤١
﴿ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ	٣٦	١١١

يس		
﴿ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ ﴾	٤٠	٢٠
الصافات		
﴿ رَبِّ هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ ﴾	١٠٠	٩٠
﴿ فَبَشَّرۡنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٖ ﴾	١٠١	٩٦،٩٢،٦٧
﴿ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ ﴾	١٠٢	٧٥
﴿ وَبَشَّرۡنَٰهُ بِإِسۡحَٰقَ نَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾	١١٢	٧٦،،٩٨،٩٦
﴿ وَبَٰرَكۡنَا عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ إِسۡحَٰقَۚ ﴾	١١٣	٧٩
ص		
{وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ}	٢٣	٣٢
﴿ وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ ﴾	٤٥	٧٦،٩٨،١٠
﴿ وَإِنَّهُمۡ عِندَنَا لَمِنَ ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ﴾	٤٧	٧٦
﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾	٨٢	١٢٩
{وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ }	٤٨	٧٥
الزمر		
﴿ ۞ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ ﴾	٥٣	٣٥
﴿ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾	٦٥	ج
غافر		
﴿ لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ﴾	١٦	٤٥
فصلت		
﴿ فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ ﴾	١٢	١٣٦
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآۗ ﴾ فصلت	٤٠	٣٠
الشورى		

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ﴾	١١	٢٨،٣١
﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم ۚ ﴾	٢١	٢٥،٥٨
الزخرف		
﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ ﴾	٣٦	١٢٩
﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴾	٦٩	١٥٦
﴿ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ ﴾	٥٤	٨٣
الدخان		
﴿ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ﴾	٧	٤٦
﴿ ۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ ﴾ :	١٧	٧٩
الأحقاف		
﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾	٣٣	١٩
محمد		
﴿ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴾	١٥	١١١
الفتح		
﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾	١	١٦٠
ق		
﴿ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ ﴾	١١	١٠٧
الذاريات		
﴿ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾	٣٥	١٥٤،١٥٦
﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾	٥٦	٤٧
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾	٥٨	١٦٣
القمر		
﴿ فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴾	١٢	١٣٧
﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾	٤٩	١٣٨
الحديد		
﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ﴾	٩	١٦٨

المنافقون		
﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾	٨	59
التغابن		
﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾	١١	١٣٧
﴿ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴾	١٧	٣٩
الطلاق		
﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ ﴾	٢	٩٥،١١٤
﴿ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ ﴾	٧	١٣٧
الملك		
﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ ﴾	١	١٠٨
﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ ﴾	٢	٣٥
نوح		
﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ﴾	٥	٧٠
﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴾	١٠	٤٢
﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ﴾	٢٦	٨٨
الإنسان		
﴿ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴾	٢٢	٣٩
النازعات		
﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴾	١٥	٧٩
﴿ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾	٢٤	٤٨
البروج		
﴿ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴾	١٤	٣٥
الأعلى		
﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴾	١٤	٦٠
الشمس		
﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن ﴾	٩	٦٠
الكوثر		

﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١﴾	١	١٦٠
الإخلاص		
﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾	١	١٣،٤٣

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية

طرف الحديث	الكتاب	الحكم	الصفحة
أَتَى النَّبِيَّ ﷺ سَائِلٌ فَأَمَرَ لَهُ..	مسند أحمد	–	١٤٤
إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ...	سنن النسائي	صحيح	٩٨
أعددت لعبادي الصالحين	صحيح مسلم	صحيح	١٢٢
أكثرهم ذكراً للموت...	المعجم الأوسط للطبراني	حسن	١١٣
أَكْثِرُوا ذكر هَادِمِ اللَّذَّاتِ...	سنن ابن ماجة	حسن صحيح	١١٢
أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ	البخاري	صحيح	٢٣
إن الرَّجُلَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ...	سنن ابن ماجة	حسن لغيرة	١٤٤
أن تشهد أن لا إله إلا الله،	صحيح مسلم	صحيح	١٥٥
أَنَّ جِبْرِيلَ عليه السلام جَاءَ...	شعب الإيمان للبيهقي	صحيح الاسناد	١١٢
إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ نُوحًا عليه السلام...	مسند أحمد	اسناده صحيح	٦٤
الإِيمَانِ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ...	صحيح مسلم	صحيح	١٣٧
بني الإسلام على خمس ...	صحيح البخاري	صحيح	١٥٥
ترى المؤمنين في توادهم	صحيح البخاري	صحيح	٦٢
الدُّنْيَا سجن الْمُؤمن...	صحيح مسلم	صحيح	١١٦
سُئِلَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ...	المعجم الأوسط للطبراني	صحيح	١٠٧
عَجِبْتُ لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ...	مسند أحمد	صحيح	١١٥
القبر أول منزل من...	سنن الترمذي	حسن	١١٣
كانت بنوا اسرائيل	صحيح البخاري	صحيح	٥٩
الْكَرِيمُ ابْنُ الْكَرِيمِ....	البخاري	صحيح	٧٧،٩٧،١٠٠
كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ حَتَّى...	مسلم	صحيح	١٣٨
كل مولود يولد	صحيح البخاري	صحيح	١٧
كل هوى شاطن في النار...	تاريخ دمشق	–	١٢٥
كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ...	الترمذي	حسن صحيح	١٣٨
لا تُخَيِّرُوا بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ...	البخاري	صحيح	٦٨
لَا يَشْكُرُ اللَّهَ مَنْ ...	أبوداود	صحيح	ت
لا يؤمن أحدكم حتى...	السنة	حسن صحيح	٦٠
لَمَّا صَوَّرَ اللَّهُ آدَمَ...	صحيح مسلم	صحيح	١٢٧

اللهمَّ لا عيشَ إلا عيشُ...	صحيح البخاري	صحيح	١١٦
لو كنت لا أريتكم قبره،...	البخاري	صحيح	٦٣
نحن أحق بالشك	صحيح البخاري	صحيح	٣
وَاعْلَمْ أَنَّمَا أَصَابَكَ...	أبوداود	حسن صحيح	١٣٧
والله ما الدنيا في الآخرة	صحيح مسلم	صحيح	١١٦
وَاللَّهِمَ االدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ...	صحيح مسلم	صحيح	١١٧
وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ...	صحيح مسلم	صحيح	١٣٧
وأن تُؤْمِنَ بالقَدَرِ خَيرِهِ...	صحيح مسلم	صحيح	١٣٧
يَا إِخْوَانِي لِمِثْلِ هَذَا...	سنن ابن ماجة	حسن	١١٢
يُقَرَّبُ إِلَى فِيهِ فَيَ كْرَهُهُ...	سنن النسائي	صحيح	١١١
يَهْرَم ابنُ آدمَ وتَشِبُّ...	صحيح مسلم	صحيح	١١٣

ثالثاً: فهرس المصادر والمراجع

١. **الأثر المشهور عن الإمام مالك رحمه الله في صفة الاستواء دراسة تحليلية**، عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، الطبعة: السنة الثالثة والثلاثون، العدد الحادي عشر بعد المائة، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م،الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

٢. **أخبار الزمان ومن أباده الحدثان، وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران**، أبو الحسن على بن الحسين بن على المسعودي (المتوفى: ٣٤٦هـ)، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

٣. **أخبار مكة أخبار مكة وما جاء فيها من الأثار**، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن الوليد بن عقبة بن الأزرق الغساني المكي المعروف بالأزرقي، تحقيق: رشدي الصالح ملحس، الناشر: دار الأندلس للنشر – بيروت.

٤. **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، المسمى تفسير أبي السعود**، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٥. **أساليب التربية والدعوة والتوجيه من خلال سورة إبراهيم**، د. وسيم فتح الله، بدون طبعة، بدون دار، بدون تاريخ.

٦. **الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى** – محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري القرطبي – ضبط نصه وشرح مادته اللغوية : د. محمد حسن جبل ، خرج أحاديثه وعلق عليه : طارق أحمد محمد.ط١، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م الناشر دار التراث طنطا.

٧. **أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة**، نخبة من العلماء، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية.

٨. **الأصول الثلاثة وأدلتها** ،محمد بن عبد الوهاب، ط١، ١٤٢٣هـ، الناشر الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

٩. **أصول الدين عن الأمام أبى حذيفة** المؤلف محمد بن عبد الرحمن الخميس الناشر دار الصميعي المملكة العربية السعودية.

١٠. **أصول مسائل العقيدة عند السلف وعند المبتدعة**، سعود الخلف، ط١: ١٤٢٠هـ-١٤٢١هـ.

١١. **أضواء البيان في إيضاح القرآن** ، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، ١٤١٥هـ _ ١٩٩٥م.دار الفكر، بيروت – لبنان.

١٢. **إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد**، الشيخ، صالح بن فوزان الفوزان، الطبعة الثالثة، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م،الناشر:مؤسسة الرسالة.

١٣. **الألفاظ المختلفة في المعاني المؤتلفة**، محمد بن عبد الله الطائي الجياني جمال الدين، تحقيق محمد حسن عواد، /، دار الجيل – بيروت.

١٤. **الألفاظ والمصطلحات المتعلقة بتوحيد الربوبية**، آمال بنت عبد العزيز العمرو.

١٥. **الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل**، مجير الدين الحنبلي العليمي، تحقيق : عدنان يونس عبد المجيد نباتة– ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م،دار النشر : مكتبة دنديس – عمان.

١٦. **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي،(تفسير البيضاوي) تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

١٧. **أوضح التفاسير**، محمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب، الطبعة: السادسة،١٣٨٣ هـ – ١٩٦٤ م الناشر: المطبعة المصرية ومكتبتها.

١٨. **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير**، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري،الطبعة : الخامسة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م الناشر : مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية.

١٩. **إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل**، لأبي عبد الله، محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي الشافعي، بدر الدين ، تحقيق: وهبي سليمان غاوجي الألباني، ط١، ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م. دار السلام للطباعة والنشر – مصر.

٢٠. **الإيمان** ، أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن مَنْدَه العبدي ،تحقيق: د. علي بن محمد بن ناصر الفقيهي، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت.

٢١. **الإيمان أركانه حقيقة نواقضه** – د محمد نعيم ياسين ، دار التوزيع والنشر.

٢٢. **الإيمان بالجن بين الحقيقة والتهويل**، جمع وإعداد: علي بن نايف الشحود، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢ هـ – ٢٠١٠ م ،الناشر: دار المعمور، بهانج – ماليزيا.

٢٣. **الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة**، عبد الله بن عبد الحميد الأثري، تحقيق: د. عبد الرحمن بن صالح، ط١،دار: مدار الوطن للنشر، الرياض،١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ مِ.

٢٤. **الإيمان والحياة**، يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة.

٢٥. **البحث العلمى أساسياته النظرية وممارسته العملية**، رجاء وحيد دويدري، دار الفكر المعاصر–بيروت–لبنان–دار الفكر–دمشق–سورية، ط (١) ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.

٢٦. **البحر الرائق شرح كنز الدقائق**، زين الدين بن إبراهيم المعروف بابن نجيم المصري، وفي آخره: تكملة البحر الرائق لمحمد بن حسين بن علي الطوري الحنفي القادري، وبالحاشية: منحة الخالق لابن عابدين، ١١٥، ط٢، دار الكتاب الإسلامي.

٢٧. **بحر العلوم(تفسير السمرقندي)**، أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي، تحقيق: د. محمود مطرجي، دار النشر : دار الفكر – بيروت.

٢٨. **البحر المديد** ، أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الإدريسي الشاذلي الفاسي أبو العباس، الطبعة الثانية / ٢٠٠٢ م . ١٤٢٣ هـ،دار النشر / دار الكتب العلمية . بيروت

٢٩. **البداية والنهاية**، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، المحقق: على شيرى، الطبعة: الأولى ١٤٠٨، هـ- ١٩٨٨م ، دار إحياء التراث العربي.

٣٠. **بدائع الفوائد**، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، تحقيق: علي بن محمد العمران، دار النشر : دار عالم الفوائد

٣١. **بنو اسرائيل ووعد الآخرة**، محمد فوزي محمد أبو زيد، ط١ ، ٢٠١١/١٤٣٢م الناشر دار الإيمان والحياة مصر.

٣٢. **بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار**، أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن حمد آل سعدي، تحقيق: عبد الكريم بن رسمي الدريني، ط١، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م، دار النشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع،.

٣٣. **بيان المعاني [مرتب حسب ترتيب النزول]**، عبد القادر بن ملاّ حويش السيد محمود آل غازي العاني، ،ط١، ١٣٨٢هـ – ١٩٦٥م، مطبعة الترقي – دمشق،.

٣٤. **بينات الرسولﷺ ومعجزاته**، عبد المجيد الزنداني، ، دار الإيمان – القاهرة.
٣٥. **تاج العروس من جواهر القاموس**، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني الزَّبيدي، تحقيق مجموعة من المحققين، /،بدون طبعة، دار الهداية.
٣٦. **تاريخ الطبري** ، الطبعة الثانية،١٣٨٧هـ دار التراث _ بيروت.
٣٧. **تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل**، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر، تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري، ط١، ١٩٩٥، الناشر: دار الفكر بيروت.
٣٨. **تأصيل علم العقيدة**، عبدالرحيم العلياني السلمي، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية
٣٩. **تأملات في سورة إبراهيم تفسير بلاغي تطبيقي** ،د. عادل أحمد صابر الرُّوَيني ،ط١، ١٤٣٤-٢٠١٣، الناشر جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم.
٤٠. **تأويل مشكل القرآن**، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، المحقق: إبراهيم شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان .
٤١. **تبسيط العقائد الإسلامية**، حسن محمد أيوب ،٢١١، ط٥، دار الندوة الجديدة، بيروت – لبنان، ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣م.
٤٢. **تحرير المعني السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد" التحرير والتنوير** " محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي،ط١، ١٩٨٤م الدار التونسية للنشر – تونس.
٤٣. **التحفة المهدية شرح العقيدة التدمرية**، لفالح بن مهدي بن سعد بن مبارك آل مهدي، الدوسري ط٣، ١٤١٣هـ، مطابع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
٤٤. **تخريج العقيدة الطحاوية**، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي، شرح وتعليق: محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة: الثانية، ١٤١٤ هـ، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت.
٤٥. **تذكرة المؤتسي شرح عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي**، عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، الناشر: غراس للنشر والتوزيع.

٤٦. **التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة**، أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الانصاري الخزرجي الأندلسي ثم القرطبي ،تحقيق د. صادق بن محمد بن ابراهيم،ط١ ،١٤٢٥هـ الناشر دار المنهاج.

٤٧. **تسهيل العقيدة الإسلامية**، عبد الله بن عبد العزيز بن حمادة الجبرين، الطبعة الثانية، دار العصيمي للنشر والتوزيع .

٤٨. **التعريفات**، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت -لبنان.

٤٩. **تعظيم قدر الصلاة**، أبو عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المَرْوَزِي، تحقيق: د. عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦، الناشر: مكتبة الدار - المدينة المنورة .

٥٠. **تفسير أسماء الله الحسنى** - إبراهيم بن السري بن سهل أبو اسحاق الزجاج - المحقق احمد يوسف الدقاق - دار الثقافة العربية.

٥١. **تفسير الإمام الشافعي** الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي ، جمع وتحقيق ودراسة: د. أحمد بن مصطفى الفرَّان (رسالة دكتوراه)، الطبعة الأولى١٤٢٧- ٢٠٠٦ م، دار التدمرية - المملكة العربية السعودية.

٥٢. **تفسير الشعراوي - الخواطر**، محمد متولي الشعراوي،ط١، ١٩٩٧م، الناشر: مطابع أخبار اليوم.

٥٣. **تفسير الفاتحة والبقرة**، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، ط١، ١٤٢٣ هـ، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية.

٥٤. **تفسير القرآن / اختصار النكت للماوردي**، عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي الدمشقي الشافعي، تحقيق الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي، ط١، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م الناشر دار ابن حزم بيروت.

٥٥. **تفسير القرآن العظيم** لابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، الطبعة: الثالثة – ١٤١٩ هـ، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية.

٥٦. **تفسير القرآن العظيم**، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي سامي بن محمد سلامة، ط٢، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩م، دار طيبة للنشر والتوزيع.

٥٧. **تفسير القرآن الكريم**، المؤلف: محمد المنتصر بالله بن محمد الزمزمي الكتاني الإدريسي الحسني، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، ورقم الجزء هو رقم الدرس.

٥٨. **تفسير القرآن من الجامع لابن وهب**، أبو محمد عبد الله بن وهب بن مسلم المصري القرشي، ط١، ٢٠٠٣ تحقيق: ميكلوش موراني ،الناشر: دار الغرب الإسلامي

٥٩. **تفسير القرآن**، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني، تحقيق ياسر بن إبراهيم و غنيم بن عباس بن غنيم، ط١، ١٤١٨هـ– ١٩٩٧م الناشر دار الوطن – الرياض– السعودية

٦٠. **تفسير القرآني للقرآن**، عبد الكريم يونس الخطيب ، الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة.

٦١. **تفسير المراغي**، أحمد بن مصطفى المراغي ط١، ١٣٦٥ هـ – ١٩٤٦ م، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر .

٦٢. **التفسير المنهجي**، أ.د. أحمد شكري، ط١،٢٠٠٥، بإشراف أ. عمر خليل يوسف، المراجعة العلمية أ.د. عمر سليمان الأشقر، الناشر دار المنهل.

٦٣. **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، وهبة بن مصطفى الزحيلي، ط٢،١٤١٨ هـ، دار الفكر المعاصر – دمشق.

٦٤. **التفسير الميسر**، نخبة من أساتذة التفسير الطبعة: الثانية، مزيدة ومنقحة، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩ م، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف – السعودية.

٦٥. **التفسير الواضح**، محمد محمود الحجازي، ط١٠، ١٤١٣هـ،دار الجيل الجديد – بيروت.

٦٦. **التفسير الوسيط**، د وهبة بن مصطفى الزحيلي، ط١،١٤٢٢ هـ ، دار الفكر – دمشق.
٦٧. **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، المؤلف: محمد سيد طنطاوي، الطبعة: الأولى ١٩٩٨، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة.
٦٨. **تقريب التدمرية**، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، ط١، ١٤١٩هـ، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الدمام.
٦٩. **تنوير المقباس من تفسير ابن عباس**، الفيروز آبادي، الناشر دار الكتب العلمية لبنان.
٧٠. **تهذيب اللغة**، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، تحقيق محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٧١. **التوحيد وبيان العقيدة السلفية النقية**، عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن حسين بن حميد، تحقيق أشرف بن عبد المقصود ط١، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢ م مكتبة طبريا.
٧٢. **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط١، ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠ م، مؤسسة الرسالة.
٧٣. **الثمر المجتنى مختصر شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسُّنَّة**، سعيد بن علي بن وهف القحطاني، دار مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، الرياض، مطبعة سفير، الرياض.
٧٤. **جامع الأصول في أحاديث الرسول – ومعه: تتمة جامع الأصول**، المؤلف: ابن الأثير الجزري، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، ط ١٣٨٩هـ، الناشر: مكتبة الحلواني – مطبعة الملاح – مكتبة دار البيان.
٧٥. **جامع البيان في تأويل القرآن**، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م، الناشر: مؤسسة الرسالة.

٧٦. **جامع العلوم والحكم**، أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي،ط١، ١٤٠٨هـ، الناشر : دار المعرفة – بيروت

٧٧. **جامع المسائل**، تقي الدين أبو محمد ابن تيمية، تحقيق : محمدعزيرشمس،ط١، ١٤٢٢هـ،إشراف : بكر بن عبد الله أبو زيد، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع،

٧٨. **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول ﷺوسننه وأيامه**، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله، تحقيق : محمد زهير بن ناصر الناصر، ط١٤٢٢،١،الناشر : دار طوق النجاة.

٧٩. **الجامع لأحكام القرآن** المؤلف أبو عبدالله محمد بن أحمد بن ابي بكر فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة.

٨٠. **جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقدية السلف**، عبد العزيز بن صالح بن إبراهيم الطويان، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م مكتبة العبيكان، الرياض المملكة العربية السعودية .

٨١. **الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء**، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م، الناشر: دار المعرفة – المغرب.

٨٢. **حقيقة التوحيد**، يوسف القرضاوي، ط١ ،٢٠٠١ الناشر مؤسسة الرسالة.

٨٣. **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، الناشر: دار الفكر بيروت.

٨٤. **دَرْءُ تَعَارُضِ العَقْلِ وَالنَّقْلِ أو مُوَافَقَةُ صَحِيْحِ المَنْقُوْلِ لِصَرِيْحِ المَعْقُوْلِ**، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، ط ١، ١٣٩١، الناشر : دار الكنوز الأدبية – الرياض.

٨٥. **الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية**، شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، تحقيق: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، ط١، ١٩٩٨، الناشر: مكتبة أضواء السلف – الرياض.

٨٦. **دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين**، محمد علي البكري الصديقي الشافعي، ط٤، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤م،اعتنى بها: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان.

٨٧. **رسالة في أسس العقيدة**، محمد بن عودة السعوي، ط١، ١٤٢٥هـ، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، ١٤٢٥هـ.

٨٨. **رسائل في العقيدة**، للشيخ محمد بن عثيمين.

٨٩. **روح المعاني في تفسير القرآن الكريم العظيم والسبع المثاني**، أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي، قرأه وراجعه، محمد حسين العرب، دار الفكر، بيروت – لبنان، وبدون تاريخ.

٩٠. **زاد المسير في علم التفسير**، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت.

٩١. **زاد المعاد في هدي خير العباد**، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، ط٢٧، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م ، دار: مؤسسة الرسالة، بيروت – مكتبة المنار الإسلامية، الكويت.

٩٢. **الزاهر في معاني كلمات الناس**، أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري، تحقيق د. حاتم صالح الضامن ١٤١٢ هـ –١٩٩٢الناشر مؤسسة الرسالة، مكان النشر بيروت .

٩٣. **زهرة التفاسير**، محمد بن أحمد بن مصطفي بن أحمد المعروف بأبي زهرة، بدون طبعة وتاريخ ، دار الفكر العربي.

٩٤. **السنة**، عمرو بن أبي عاصم الضحاك الشيباني، المحقق : محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٠الناشر : المكتب الإسلامي – بيروت.

٩٥. **سنن ابن ماجه**، أبوعبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية .

٩٦. **سنن أبي داود**، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت .

٩٧. **سنن الترمذي**، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى، تحقيق: بشار عواد معروف، ١٩٩٨ م، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت.

٩٨. **سنن النسائي**، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي، ط٥، ١٤٢٠هـ، دار النشر: دار المعرفة، بيروت.

٩٩. **شرح ابن القيم لأسماء الله الحسنى** أ.د. عمر سليمان الأشقر، ط١، ١٤٢٨-٢٠٠٨م دار النفائس للنشر والتوزيع – الأردن.

١٠٠. **شرح أصول العقيدة الإسلامية** د نسيم شحده ياسين الطبعة الخامسة .

١٠١. **شرح الأربعين النووية**، محمد بن صالح العثيمين، دار الثريا للنشر.

١٠٢. **شرح العقيدة الطحاوية**، الإمام القاضي علي بن علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي – حققه وعلق عليه وخرّج أحاديثه وقدم لهم د عبد الله بن عبد المحسن التري – شعيب الأرنؤط – الجزء الأول مؤسسة الرسالة

١٠٣. **شرح العقيدة الطحاوية**، صدر الدين محمد بن علاء الدين على بن محمد ابن أبى العز الحفني ، الأذرعي الصالحي الدمشقي المتوفى هـ تحقيق شعيب الأرنؤوط – عبد الله بن المحسن التركي، الناشر مؤسسة الرسالة، ، بيروت.

١٠٤. **شرح العقيدة الطحاوية**، عبد الرحمن بن ناصر بن براك بن إبراهيم البراك، إعداد: عبد الرحمن بن صالح السديس، ط٢، ١٤٢٩هـ -٢٠٠٨م الناشر: دار التدمرية.

١٠٥. **شرح ثلاث أصول**، المؤلف محمد بن صالح بن العثيمين ط ١، الناشر مكتبة العلم القاهرة.

١٠٦. **شعب الإيمان**، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْ جِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي – الهند، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند.

١٠٧. **شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل**، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية ،ط١، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م الناشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان.

١٠٨. **شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم**، نشوان بن سعيد الحميرى اليمني، تحقيق حسين بن عبد الله العمري وآخرين، ط١، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م دار: الفكر المعاصر - بيروت - لبنان.

١٠٩. **صفوة التفاسير** محمد علي الصابوني، ط١، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة.

١١٠. **الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة**، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، تحقيق : د. علي بن محمد الدخيل الله الطبعة الثالثة ، ١٤١٨ - ١٩٩٨، الناشر : دار العاصمة - الرياض.

١١١. **صور الإعلام الإسلامي في القرآن الكريم – دراسة في التفسير الموضوعي**، عاطف إبراهيم رفاعي، إشراف فضيلة الدكتور: حاتممحمدمنصورمزروعة،١٤٣٢هـ - ٢٠١١م،(الناشر: رسالة ماجستير، قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية العلوم الإسلامية، جامعة المدينة العالمية (ماليزيا).

١١٢. **الطريق إلى الإسلام**، محمد بن أحمد الحمد، ط٢، دار بن خزيمة.

١١٣. **طريق الهجرتين وباب السعادتين**، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، تحقيق : عمر بن محمود أبو عمر، الطبعة الثانية ، ١٤١٤ - ١٩٩٤، الناشر : دار ابن القيم - الدمام.

١١٤. **عالم الجن في ضوء الكتاب والسنة**، د.عبد الكريم نوفات عبيدات، ط٢، ١٤١٩هـ، الناشر دار إشبيليا الرياض.

١١٥. **عالم الجن والشياطين**، عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي، الطبعة: الرابعة، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م، الناشر: مكتبة الفلاح، الكويت

١١٦. **عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين**، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، تحقيق : زكريا علي يوسف، الناشر : دار الكتب العلمية - بيروت.

١١٧. **العرش**، الذهبي، المحقق محمد بن خليفة بن على التميمي، ط٢، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م الناشر عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية.

١١٨. **العقائد الإسلامية**، سيد سابق ، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت .

١١٩. **عقيدة التوحيد في القرآن الكريم**، محمد أحمد محمد عبد القادر خليل ملكاوي، ط١، ١٤٠٥هـ –١٩٨٥م، الناشر مكتبة دار الزمان.

١٢٠. **عقيدة المؤمن**، أبو بكر الجزائرى، ، بدون طبعة، مكتبة العلوم والحكم– السعودية.

١٢١. **غريب الحديث**، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق: د. عبد الله الجبوري، الطبعة: الأولى، ١٣٩٧، الناشر: مطبعة العاني – بغداد.

١٢٢. **غريب القرآن**، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ،تحقيق: أحمد صقر، ط١ ، ١٣٩٨ هـ – ١٩٧٨ م، الناشر: دار الكتب العلمية .

١٢٣. **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي بدون رقم طبعة، الناشر دار المعرفة– بيروت.

١٢٤. **فتح القدير**، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني،ط١، ١٤١٤هـ، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت

١٢٥. **فقه الأسماء الحسنى** لعبد الرزاق بن عبد المحسن البدر ، ط٢، ١٤٣١هـ /٢٠١٠

١٢٦. **الفقه الأكبر** (مطبوع مع الشرح الميسر على الفقهين الأبسط والأكبر المنسوبين لأبي حنيفة ، محمد بن عبد الرحمن الخميس، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م الناشر: مكتبة الفرقان – الإمارات العربية

١٢٧. **الفوائد**، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، الطبعة الثانية ، ١٣٩٣ – ١٩٧٣ الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت.

١٢٨. **في ظلال القرآن**، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، الطبعة: السابعة عشر – ١٤١٢ هـ، الناشر: دار الشروق – بيروت– القاهرة.

١٢٩. **في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، تفسير ابن باديس** ، عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي، تحقيق: علق عليه وخرج آياته وأحاديثه أحمد شمس الدين، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م. الناشر: دار الكتب العلمية بيروت– لبنان.

١٣٠. **القاموس المحيط**، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادى ، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان.

١٣١. **قصص الأنبياء**، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، الطبعة: الأولى، ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م الناشر: مطبعة دار التأليف – القاهرة.

١٣٢. **القصص القرآني إيجار ونفحاته** فضل عباس، ط٢، دارة الفرقان– الأردن..

١٣٣. **القضاء والقدر**، عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر، الطبعة: الثالثة عشر، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م، الناشر: دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن.

١٣٤. **القول المفيد على كتاب التوحيد**، محمد بن صالح العثيمين ، ط٢، محرم ١٤٢٤هـ، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية.

١٣٥. **الكامل في التاريخ** أبو الحسن على بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الحرري، عز الدين ابن الأثير المتوفى هـ تحقيق عمر عبد السلام تدمير، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م ، دار الكتاب العربي، بيروت– لبنان.

١٣٦. **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، ط٣، ١٤٠٧هـ دار الكتاب العربي، بيروت.

١٣٧. **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق ،تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي،ط١ ، ١٤٢٢-٢٠٠٢م، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان .

١٣٨. **لا تحزن**، عائض بن عبد الله القرني، الناشر: مكتبة العبيكان.

١٣٩. **لباب التأويل في معاني التنزيل**، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن، تحقيق محمد علي شاهين، ط١، ١٤١٥هـ، الكتب العلمية – بيروت.

١٤٠. **اللباب في علوم الكتاب**، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، ط١، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م ، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان.

١٤١. **لسان العرب**، محمد بن مكرم بن على جمال الدين ابن منظور، ط٣، دار صادر- بيروت،١٤١٤ هـ.

١٤٢. **لطائف الإشارات = تفسير القشيري**، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الطبعة: الثالثة، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر.

١٤٣. **لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية**، شمس الدين، سالم السفاريني الحنبلي، ط٢،١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢م ، مؤسسة الخافقين ومكتبتها - دمشق.

١٤٤. **مجلة البحوث الإسلامية**، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.

١٤٥. **مجمل أصول أهل السنة**، ناصر بن عبد الكريم العلي العقل، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، http://www.islamweb.net

١٤٦. **مجموع الفتاوى**، تقي الدين بن تيمية الحراني، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ط١٤١٦،١هـ/١٩٩٥م دار: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية.

١٤٧. **محاسن التأويل**، "**تفسير القاسمي**" ،محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط١، ١٤١٨هـ، الناشر: دار الكتب العلميه - بيروت.

١٤٨. **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد،ط١٤٢٢،١هـ، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت.

١٤٩. **مختار الصحاح**، زين الدين بن عبد القادر الحنفي الرازي، تحقق يوسف الشيخ محمد، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م. المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا.

١٥٠. **مختصر الفقه الإسلامي في ضوء القرآن والسنة**، محمد بن إبراهيم التويجري، ط١١ ، ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م،دار أصداء المجتمع، المملكة العربية السعودية،

١٥١. **مختصر الفقه الإسلامي في ضوء القرآن والسنة**، محمد بن إبراهيم التويجري،ط١١، دار أصداء المجتمع، المملكة العربية السعودية، ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م.

١٥٢. **مختصر تفسير ابن كثير** اختصار وتحقيق محمد علي الصابوني، ط٧، ١٤٠٢ هـ – ١٩٨١م. دار القرآن الكريم، بيروت – لبنان.

١٥٣. مختصر معارج القبول، أبو عاصم هشام بن محمد آل عقدة، ط٥، ١٤١٨ هـ ، مكتبة الكوثر –الرياض.

١٥٤. **المخصص**، أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي المعروف بابن سيده، تحقيق : خليل إبراهم جفال، الطبعة : الأولى١٤١٧هـ ١٩٩٦م، دار النشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت.

١٥٥. **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد ابن قيم الجوزية، تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي، ط٣، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦م. دار النشر الكتاب العربي بيروت.

١٥٦. **مدارك التنزيل وحقائق التأويل تفسير النسفي**، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو،ط١٤١٩،١–١٩٩٨م الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت.

١٥٧. **المسائل العقدية المتعلقة بآدم**عليه السلام، ألطاف الرحمن بن ثناء الله ،الناشر عمادة البحث العلمي الجامعة الإسلامية بالمدينة.

١٥٨. **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١، ١٤٢١هـ–٢٠٠١م الناشر: مؤسسة الرسالة.

١٥٩. **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ**، " صحيح مسلم "مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري ،تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

١٦٠. **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي**، أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، الناشر : المكتبة العلمية – بيروت.
١٦١. **معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول**، حافظ بن أحمد بن علي الحكمي، تحقيق عمر بن محمود أبو عمر، ط١،١٤١٠ هـ – ١٩٩٠ م، دار ابن القيم – الدمام.
١٦٢. **معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي** محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، تحقيق : عبد الرزاق المهدي،ط١ ، ١٤٢٠ هـ الناشر : دار إحياء التراث العربي –بيروت.
١٦٣. **معاني القرآن الكريم**، النحاس تحقيق : محمد علي الصابوني،ط١، ١٤٠٩الناشر : جامعة أم القرى – مكة المكرمة.
١٦٤. **معاني القرآن وإعرابه**، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، ط١، ١٤٠٨–١٩٨٨م، الناشر: عالم الكتب – بيروت.
١٦٥. **معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات**، لمحمد بن خليفة بن علي التميمي، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية.
١٦٦. **المعجم الأوسط**، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين – القاهرة
١٦٧. **معجم اللغة العربية المعاصرة**، أحمد مختار عمر، ط١، ٢٠٠٨ م دار عالم الكتب.
١٦٨. **المعجم الوسيط**، لمجمع اللغة، /، القاهرة، دار الدعوة.
١٦٩. **معجم مقاييس اللغة**، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، تحقق عبد السلام محمد هارون، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م ، دار الفكر.
١٧٠. **مفاتيح الغيب = التفسير الكبير**، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، ط٣، ١٤٢٠، الناشر: دار إحياء التراث العربي – .
١٧١. **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة**، محمد بن أبي بكر الدين ابن قيم الجوزية ، دار الكتب العلمية – بيروت.

١٧٢. **مفهوم الأسماء والصفات** لسعد بن عبد الرحمن ندا الناشر الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة / بترقيم الشاملة.

١٧٣. **المفيد في مهمات التوحيد**، لعبد القادر بن محمد عطا صوفي، ١٤٢٢هـ- ١٤٢٣هـ، دار الاعلام.

١٧٤. **مناهج الدعاة**، يحيى على الدجني_ محمد حسن بخيت، ص، ط٢، ٢٠٠٩م بدون دار.

١٧٥. **المنتخب في تفسير القرآن الكريم**، لجنة من علماء الأزهر، الطبعة: الثامنة عشر، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - مصر، طبع مؤسسة الأهرام.

١٧٦. **المنتظم في تاريخ الأمم والملوك**، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن على بن محمد الجوزي محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى١٤١٢هـ ، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٧٧. **المنهاج الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى** ، لزين محمد شحاته

١٧٨. **منهاج السنة النبوية**، شيخ الإسلام بن تيمية، تحقيق : د. محمد رشاد سالم، الطبعة لأولى، الناشر: مؤسسة قرطبة.

١٧٩. **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

١٨٠. **منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام**، د حمود بن أحمد خرج الرحيلي ط١، الناشر عماد البحث العلمي بالجامعة الإسلامية المدينة المنورة المملكة العربية السعودية.

١٨١. **منهج القرآن في إصلاح المجتمع**، لمحمد السيد يوسف ، ط٣ ، ٢٠٠٧م، الناشر دار السلام.

١٨٢. **موجز التاريخ الإسلامي منذ عهد آدم عليه السلام تاريخ ما قبل الإسلام إلى عصرنا الحاضر**، أحمد معمور العسيري، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦ م

١٨٣. **موسوعة الفقه الإسلامي**، محمد بن إبراهيم التويجري، ط١، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، بيت الأفكار الدولية.

١٨٤. **الموسوعة الكويتية الفقهية**، صادر عن وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية الكويت، الطبعة الثانية دار السلاسل الكويت.

١٨٥. **موقف ابن تيمية من الأشاعرة**، عبد الرحمن بن صالح بن صالح المحمود، الطبعة الأولى١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م ، مكتب الرشد–الرياض.

١٨٦. **موقف الطوائف من توحيد الأسماء والصفات**، محمد بن خليفة بن على التميمي، الطبعة الأولى١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م ، الناشر أضواء السلف، الرياض المملكة العربية السعودية، .

١٨٧. **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة .

١٨٨. **النكت في القرآن الكريم (في معاني القرآن الكريم وإعرابه)**، علي بن فَضَّال بن علي بن غالب المُجَاشِعِي القيرواني، أبو الحسن، دراسة وتحقيق: د. عبد الله عبد القادر الطويل،ط١ ،١٤٢٨–٢٠٠٧م دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

١٨٩. **النكت والعيون(تفسير الماوردي)**، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان.

١٩٠. **النهاية في غريب الحديث والأثر**، مجد الدين أبو السعادات المبارك الشيباني الجزري ابن الأثير، تحقيق طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي، دار المكتبة العلمية – بيروت

١٩١. **النهج الاسمي في شرح أسماء الله الحسنى**، محمد الحمود النجدي، /، مكتبة الإمام الذهبي، الكويت.

١٩٢. **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، ط١، ١٤١٥هـ، دار النشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق، بيروت.

١٩٣. **الوجيز في عقيدة السلف الصالح أهل السنة والجماعة**، عبد الله بن عبد الحميد الأثري، مراجعة وتقديم صالح آل الشيخ، ، ط١،١٤٢٢هـ دار النشر وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد السعودية.

١٩٤. **الوسيط في تفسير القرآن المجيد**، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

١٩٥. **الولاء والبراء في الإسلام**، أبو عاصم الشحات شعبان محمود عبد القادر البركاتي المصري، الطبعة: الأولى، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م، الناشر: دار الدعوة الإسلامية.

مواقع الانترنت

١. **موسوعة توحيد رب العبيد، عقيدة التوحيد في القران،**
/http//madrasato-mohammedcom

٢. **موقع اسلام ويب، أثر التوحيد، صالح الفوزان**، /http//audioislamwebnet

٣. **موقع هدي الإسلام، منتدى القرآن الكريم، المفاتيح الدعوية لسور القرآن الكريم، عبد الحي الفرماوي**، wwwstartimescom

٤. **موقع يقظة فكر، أثر العقيدة في بناء الفرد**،/http//fekernet

٥.مقال بعنوان حقيقة العلاقة بين النفس الإنسانية والشيطان وانعكاساتها التربوية بقلم د. محمد عمر الفقيه.

.http://pulpit.alwatanvoice.com/content/print/187557.htm

رابعاً: فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	ث
التمهيد	١
تعريف بسورة إبراهيم	٢
اسم السورة	٢
عدد آياتها	٢
فضلها.	٣
زمن نزولها	٤
المناسبة التي نزلت فيها.	٤
الأهداف العامة للسورة.	٥
الفصل الأول: التوحيد ونواقضه في سورة إبراهيم	١٢
المبحث الأول–تعريف التوحيد لغةً واصطلاحًا.	١٣
المبحث الثاني– أنواع التوحيد في ضوء السورة.	١٥
المطلب الأول– توحيد الربوبية	١٥
المطلب الثاني– توحيد الألوهية:	٢١
المطلب الثالث– توحيد الأسماء والصفات	٢٦
مذهب أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات:	٢٧
أسماء الله ﷻ الواردة في سورة إبراهيم.	٣١
١– الله:	٣١
٢–العزيز:	٣٢
٣– الحميد	٣٣
٤– الغفور:	٣٤
٥– الحكيم:	٣٦
٦– الرب:	٣٧
٧– الشكور:	٣٨
٨– العظيم:	٣٩
٩– الغني:	٤٠

١٠- الغفور:	٤١
١١- الرحيم:	٤٢
١٢- السميع:	٤٢
١٣- الواحد	٤٣
١٤- القهار	٤٤
المبحث الثالث- نواقض أنواع التوحيد.	٤٦
المطلب الأول - نواقض توحيد الألوهية	٤٦
المطلب الثاني - نواقض توحيد الربوبية	٤٨
المطلب الثالث - نواقض توحيد الأسماء والصفات	٤٩
المبحث الرابع- أثر التوحيد على الفرد والمجتمع في ضوء سورة إبراهيم.	٥١
الفصل الثاني: النبوات في سورة إبراهيم	٥٧
تمهيد: النبي والرسول والفرق بينهما	٥٨
المبحث الأول- الأنبياء المذكورين في السورة.	٦٢
أولاً- أسماء الأنبياء المذكورون في السورة.	٦٢
ثانياً- تعريف مختصر بالأنبياء المذكورين:	٦٢
موسى -عليه السلام:-	٦٢
نوح - عليه السلام-:	٦٣
إبراهيم -عليه السلام-.	٦٤
إسماعيل -عليه السلام-:	٦٥
إسحاق- عليه السلام-:	٦٥
ثالثاً- الآيات التي ذكرت فيها أسماء الأنبياء:	٦٦
المبحث الثاني- فضائل الأنبياء وصفاتهم في ضوء السورة.	٦٧
أولاً- فضائل موسى عليه السلام وصفاته:	٦٧
ثانياً- فضائل نوح عليه السلام وصفاته:	٦٩
ثالثاً- فضائل إبراهيم عليه السلام وصفاته:	٧١
رابعاً: فضائل إسماعيل وإسحاق -عليهما السلام- وصفاتهم:	٧٤
المبحث الثالث- قصص الأقوام السابقين مع أنبيائهم في ضوء السورة والعبر المستفادة منها.	٧٨
قصة موسى عليه السلام:	٧٩

قصة إبراهيم عليه السلام	٨٣
قصة سيدنا إسماعيل عليه السلام:	٩١
قصة إسحاق عليه السلام	٩٦
قصة نوح عليه السلام في سورة إبراهيم مع قومه	٩٩
الفصل الثالث- الغيبيات في ضوء سورة إبراهيم	١٠٥
المبحث الأول-حقيقة الموت في ضوء السورة.	١٠٦
المطلب الأول- الموت لغةً واصطلاحاً	١٠٦
المطب الثاني- أسماء الموت وأنواعه	١٠٧
المبحث الثاني-أحداث اليوم الآخر في ضوء السورة.	١١٣
المطلب الأول- التعريف باليوم الآخر	١١٣
المطلب الثاني- أثر الإيمان باليوم الآخر:	١١٥
المطلب الثالث- سر اهتمام القرن الكريم باليوم الآخر	١١٧
المطلب الرابع- اليوم الآخر من خلال سورة إبراهيم	١١٨
المطلب الخامس-الجنة وأحوال أهلها من خلال قوله ﴿ وَأُدۡخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ﴾	١٢٢
المبحث الثالث-علاقة الإنسان بالشيطان في ضوء السورة.	١٢٥
المطلب الأول- الشيطان لغة واصطلاحاً:	١٢٦
المطلب الثاني- علاقة الشيطان بالإنسان:	١٢٧
المطلب الثالث- الصراع بين الحق والباطل والإنسان والشيطان	١٢٨
المطلب الرابع- موقف إبليس من أوليائه كما تعرضه السورة	١٣٠
المبحث الرابع- القضاء والقدر في ضوء السورة.	١٣٦
المطلب الأول- القضاء والقدر لغةً واصطلاحاً	١٣٦
المطلب الثاني- حكم الإيمان بالقضاء والقدر:	١٣٦
المطلب الثالث – القضاء والقدر في سورة إبراهيم	١٣٨
الفصل الرابع :قضايا عقدية أخرى في سورة إبراهيم	١٤٢
المبحث الأول- أصناف الناس في ضوء سورة إبراهيم	١٤٣
١- الضالون المهتدون:	١٤٣
٢- الكافرون:	١٤٣
٣- الشاكرون والجاحدون للنعمة	١٤٤
٤- المتوكلون	١٤٥

٥- الظالمون	١٤٩
٦- الخائفون:	١٤٩
٧- الجبابرة:	١٥١
٨- الضعفاء والمتكبرون:	١٥١
٩- المكذبون	١٥٢
١٠- أتباع الرسل ومخالفوهم:	١٥٢
١١- المجرمون:	١٥٢
١٢- أولو الألباب:	١٥٣
١٣- المستحبون الحياة الدنيا على الآخرة:	١٥٣
١٤.المنكرون لوجود الله ووحدانيته المقرون بوجود الله ووحدانيته.	١٥٣
المبحث الثاني- الإسلام والإيمان في ضوء سورة إبراهيم	١٥٤
المطلب الأول- الإسلام والإيمان لغةً واصطلاحا:	١٥٤
المطلب الثاني- الآيات التي ورد ذكر الإيمان فيها:	١٥٧
المطلب الثالث- الآيات التي أشارت إلى مفهوم الإسلام	١٦٢
المبحث الثالث- عالمية الإسلام في سورة إبراهيم	١٦٥
المطلب الأول - عالمية الإسلام:	١٦٥
المطلب الثاني- ربط أول السورة بآخرها وعلاقتها بعالمية رسالة الإسلام.	١٧١
المبحث الرابع - تثبيت الله لأوليائه من خلال سورة إبراهيم	١٧٢
المطلب الأول - التثبيت لغة واصطلاحاً	١٧٢
المطلب الثاني- أقوال المفسرين الواردة في آية التثبيت في سورة إبراهيم	١٧٣
المطلب الثالث- العبر المستفادة من تثبيت الله لأوليائه	١٧٤
الفهارس العامة	١٧٨
فهرس الآيات القرآنية	١٧٩
فهرس الأحاديث النبوية	١٩٤
فهرس المصادر والمراجع	١٩٦
فهرس الموضوعات	٢١٥
الملخص بالغة العربية واللغة الانجليزية	٢١٩

ملخص البحث

تهدف هذه الدراسة إلى بيان القضايا العقائدية التي تناولتها سورة إبراهيم من خلال آياتها، فتناولت السورة موضوعات التوحيد من حيث الربوبية والالوهية والأسماء والصفات، وبينت من خلال ذلك الأسماء التي تناولتها السورة وذكرت الأنبياء الواردة أسمائهم في السورة وصفاتهم وفضائلهم وقصصهم والعظات والعبر المستفادة من هذه القصص، ثم تكلمت عن الغيبيات في سورة مثل حقيقة الموت واليوم الآخر وأثره، وبينت سر اهتمام القرآن باليوم الآخر ثم بينت علاقة الانسان بالشيطان وبينت من خلال ذلك طبيعة الصراع بين الشيطان والانسان وأنه دائم إلى يوم الدين ثم تكلمت عن القضاء والقدر كما بينته السورة وأثبت هذه العقيدة من خلال الادلة القرآنية والسنة النبوية، ثم ذكرت أصناف الناس كما ذكرتهم السورة وبينت الفرق بين الإيمان والإسلام كما وضحته السورة وبينت أن الاسلام عالمي صالح لكل زمان ومكان وختمت بخاتمة ذكرت فيها أهم النتائج والتوصيات.

Research Summary

This study aims to statement faith issues Addressed by surah Ibrahim Through Ayat, sura contains a Tawhid issues in terms of the Godhead and divinity and nouns and adjectives. It showed through it names addressed by the Surah said the prophets named in Surah and their attributes and their virtues and their stories and sermons and lessons learned from these stories, then talked about the Occult in the Surah such as the fact of death and the Last Day and its impact and showed interest in the mystery of the Qur'an in the Last Day, and the relationship of man and the devil showed through it the nature of the conflict between the devil and man and it permanently to the Day of Judgment, then I spoke about fate and destiny as shown by Surah and proved this doctrine through the evidence of Quranic and Sunnah then reported types of people, as surah mentioned and showed the difference between faith and Islam as shown by Surah and showed that Islam is global and benefit to anytime, anywhere and sealed a conclusion stating the most important findings and recommendations and finished conclusion it stated that the most important findings and recommendations.